تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

لمؤلفه العارف الكامل والولي الواصل مولانا

السيد حيدر الآملي

المتجلي والمتوفى في القرن الثامن

المجلد الخامس

المجلد السادس

حققه وقدم له وعلق عليه

السيد محسن الموسوي التبريزي

تفسير

المحيط الأعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

لمؤلفه العارف الكامل والولي الواصل مولانا

السيد حيدر الآملي

المتجلي والمتوفى في القرن الثامن

المجلد الخامس

حققه وقدم له وعلق عليه

السيد محسن الموسوي التبريزي

آملی، حیدر بن علی، ۷۲۰ ـ ۷۸۲ ق.
[المحیط الاعظم والبحر في تأویل کتاب الله العزیز المحکم]
تفسیر المحیط الاعظم الخضم في تأویل کتاب الله العزیز المحکم / حیدر آملی؛ حققه وقدم له وعلق علیه محسن الموسوی التبریزی. ـ قم: مؤسسه فرهنگی و نشر نورٌ علیٰ نور، ۱۴۲۸ ق = ۱۳۸۵.
ج ۵.
کتابنامه: به صورت زیر نویس.
۱. تفاسیر شیعه ۲. تفاسیر عرفانی ۳. تفسیر. الف. موسوی تبریزی، محسن، ۱۳۳۰ ـ مصحح. ب. عنوان
۳ م ۸ آ / ۱۰۲ / BP ۲۹۷ / ۱۸

تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

تأليف: سيد حيدر آملي



العناية والنشر: المعهد الثقافي نورٌ علىٰ نور

الطبعة الاولى: ۱۳۲۸ ه.ق = ۱۳۸۵ ه.ش.

السعر المجلد ٦ و ٥ : ۸۰۰۰۰ ريال

المطبعة: الأسوة

الكمية: ۲۰۰۰

المجلد الخامس

هاتف: ۷۷۳۱٦٦۷ ـ ۰۲۵۱ **فاكس: ۲۹۱۱۷۴۲ ـ ۰۲۵۱**

EAN – ISBN : 978-964-8016-03-1 (دوره)
EAN – ISBN : 978-964-8016-00-0 (ج ۵)



تفسير

المحيط الأعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

المجلد الخامس


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الله مفتّح الأبواب

هذا المجلد الثاني[1] من الكتاب الموسوم بالمحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، للعبد الفقير إلىٰ رحمة ربّه الغنيّ، حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسيني الآملي أصلح الله شأنه ووفّقه لإتمامه بمحمّد وآله. وقد اتّفق ذلك سلخ شوّال بالمشهد المقدّس الغروي سلام الله علىٰ مشرّفه، في سنة سبع وسبعين وسبعماة هجريّة نبويّة.

---

(١) قوله: المجلد الثاني.

أي المجلد الثاني من النسخة الأصليّة وبخط السيّد المؤلّف المبارك.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خطبـة الكتـاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِين

(البسملة جامعة لكتب السّماويّة كلّها)

الحمد لله أنزل القرآن علىٰ عبيده بلسان النّبيّ الصادق الكريم، وجعل إفتتاحه تبرّكاً وتيمّناً بإسمه الأعظم الّذي هو «بسم الله الرّحمن الرّحيم»، وجعله جامعاً للكتب السّماويّة المنزّلة على أنبيائه ورسله من عيسى وموسى وداوُد وإبراهيم، ووشّحه بجميع الحقايق والدّقايق العِلويّة والسِفليّة من الحقير والعظيم، ليظهر علىٰ خلقه أسرار الشّريعة والطّريقة والحقيقة الّتي هي عبارة عن دينه القويم، ويحصل لكلّ واحد منهم الإستقامة على طريق الحقّ الّذي أشار إليه بصراطه المستقيم.

وصلّى الله على من خصّ أزلاً بمثل هذه الموهبة ولطفه الجسيم، وظهر لمعجزته... من الملك القديم.

وعلىٰ آله وأصحابه وأهل بيته أهل الفوز والجنّة والنعيم.

(غاية البسملة غاية الحمد والثناء)

أمّا بعد، فهذا الكتاب وإن سبقت خطبته على العموم مطوّلة مبسوطة، ومقدّماته مشروحة مفصّلة، ولم يكن محتاجاً إلىٰ خطبة أخرىٰ لكن إذا وَصلنا إلىٰ أوّل القرآن الّذي هو الفاتحة وما بعدها إلىٰ آخر الرّبع الأوّل، وشرعنا في تأويله وتفسيره على ما قرّرناه، أردنا أن يكون إفتتاحه بخطبة أخرى غير الاولىٰ مختصرة مفيدة تبرّكاً وتيمّناً، ودلالة على كمال الفصاحة والبلاغة والتركيب والتلفيق، وهذا ليس بخارج عن الأدب ولا هو من التكرار بل من التذكار والتعليم للعباد في الإبتداء للأمور كلّها، بحمد الله وثنائه وشكراً لآلائه ونعمائه، سيّما «بسم الله الرحمن الرحيم» الّذي (في) بائها غاية الحمد والثّناء عليه، وقد سبق هذا بالفعل منه في كتابه الكريم لإبتدائه في كلّ سورة سورة بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإن شاء الله نفعل مثل ذلک في أوّل كلّ مجلّد من المجلّدات الباقية أسوة بالله وبرسولهﷺ لقوله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وحيث تمهّد العذر وتحقّق المقصد فلنشرع في المقصود ونقول:

إعلم، أيّها الطّالب كحّل الله عين بصيرتك بنور الهداية والتوفيق وأرشدك إلى تفسير القرآن وتأويله في عين التّحقيق.

أنّ هذا المقام قبل الشروع في التأويل والتفسير يحتاج إلى ذكر بعض فضيلة القرآن إجمالاً من حيث النقل والعقل مطابقاً للكشف والذّوق، ثمّ إلى ذكر بعض فضيلة الفاتحة كذلك، ثمّ إلى ذكر بعض فضيلة «بسم الله الرحمن الرحيم» كمثلها، وقد ورد عن النّبيّﷺ:

«من ذكر فضيلة من فضيلة القرآن او سورة من سوره كتب الله له لكلّ حرف قصراً في الجنّة».[٢]

وهذه الفضائل الثلاث وإن تقدّمت في المقدّمات المذكورة مفصّلة، لكن كانت تلك من حيث البسط والتطويل لإقتضاء مكانه، وهذا من حيث الإختصار والتقليل، لإقتضاء ضيق الوقت وإنتفاء السعة والمجال وبينهما فرق ظاهر، وقد جعلنا لكلّ فضيلة منها مقدّمة برأسها غير طويلة ولا مملّة بل في غاية اللّطف والخفّة، فأوّل الشروع يكون في فضيلة القرآن، ثمّ في غيره على الترتيب المذكور، وهو هذا:



---

(٢) قوله: وقد ورد عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: من ذكر فضيلة.

أقول: لم أجد بعد الفحص الكثير لالفظه ولا حديثا في مضمونه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقــدّمة الأولــى

في فضيلة القرآن إجمالاً بموجب النّقل والعقل

إعلم، أنّ القرآن له فضيلة كثيرة وأوصاف جليلة يشهد بصدقه النـقل والعقل كما سبق ذكرها مبسوطاً مبيّناً.

(للقرآن ظهر وبطن)

أمّا النّقل، فالّذي ورد عن النّبيّ ﷺ بأسناد صحيح أنّه قال:

«إنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن».

وقال أيضاً:

«ما من آية إلاّ ولها ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ ومطّلع».(٣)

---

(٣) قوله: أنّ للقرآن ظهراً – وقوله: ما من آية.

قد مرّ بيان مصادرهما والتفصيل فيهما، راجع التفسير المحيط الأعـظم ج ١ ص ٢٠٣ التعليق ١٠ و ١١، وص ٢٠٢، ٣، وأيضاً ج ٢ ص ٣٣٠ وص ٤٠٢.

(في أنّ المراد من الظّهر والبطن تفسير القرآن وتأويله)

ومعلوم أنّ المراد بالظّهر تفسير، وبالبطن تأويل، وببطن البطن تأويل تأويل إلى أن يصل إلى نهاية الأبطن السبعة، وقد عرفت بيان ذلك مفصلاً منقسما في المراتب السبعة، وعلّة انحصارها فيها بوجوه مختلفة.

وأمّا الحدّ لكلّ حرف، فقيل: المراد به بعد الظّهر والبطن العلم بالحقايق والأعيان الثّابتة، فإنّ الحروف في القرآن بمثابتها.

وأمّا المطّلع، فقد سبق أنّ المراد به الشهود الحقيقي للمشهود الحقيقي في ضمن حروفه وكلماته وآياته الآفاقيّة والأنفسيّة كما بيّناه أيضاً مشروحاً مفصّلاً.

وبل قيل: إنّ المطّلع هو الّذي يسمع الكلام من المتكلّم من غير حجاب بينه وبينه، كما قال الله تعالى:

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠].

وروي عن إبن مسعود رضي الله عنه، أنّه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«من أراد علوم الأوّلين والآخرين فعليه بالقران».[٤]

---

(٤) قوله: من أراد علوم الأوّلين.

اتّحاد الإنسان الكامل والقرآن
(وأنّه ليس في الوجود شيء بخارج عن القرآن)

➲ راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ التعليق ١٣٦، وتدلّ على مضمونه بعض الآيات والروايات، وهي هذه: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الأنعام ٥٩.

وفي «نهج البلاغه» الخطبة ١٩٨ (صبحي) عن عليّ عليه السلام قال: **«ثمّ أنزل الكتاب نوراً لأُتطفأ مصابيحه»** إلى أن قال: **«فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره»**.

والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾. الأنعام ٣٨.

ويقول:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. النحل ٨٩.

وفي «ينابيع المودّة» ص ٤١٢، قال الإمام علي عليه السلام:

«**ما من شيءٍ إلاّ وعلمه في القرآن، ولكنّ عقول الرّجال تعجز عنه**».

وفي «بحار الأنوار» ج ٦٢، ص ٢٦٧، الحديث ٤٢، عن «دعوات الراوندي»:

سئل أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ في القرآن كلّ علم إلاّ الطبّ؟ فقال: «**أما في القرآن لآية تجمع الطبّ كلّه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾** الأعراف ٣١.

وفي «المحاسن» ج ١ ص ٢٦٧ الحديث ٢٥٣ بإسناده عن الصّادق عليه السلام قال:

«**إنّ الله أنزل عليكم كتابه الصادق النازل فيه خبركم وخبر ما قبلكم وخبر ما بعدكم وخبر السماء وخبر الأرض، فلو أتاكم من يخبركم عن ذلك لعجبتم**».

أيضاً فيه الحديث ٢٥٢ بإسناده، عن الصادق عليه السلام قال:

«**إنّ الله عزّوجلّ أنزل في القرآن تبياناً لكلّ شيء حتّى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العبد، حتّى والله مايستطيع عبد أن يقول: لو كان في القرآن هذا وقد أنزله الله فيه**».

وورد عن النبيّ ﷺ أيضاً أنّه قال (في) ليلة أسري به:
«عُلّمت علوم الأوّلين والآخرين». الحديث:[٥]
ويصدّق ذلك ما ورد في الخبر عن ابن عبّاس رضي الله عنه:
«إنّ النبيّ ﷺ سئل عن خُلقه إذا أنزل:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
فقال:
خُلقي القرآن، وعلمي القرآن، وليس في الوجود شيء بخارج عن القرآن».[٦]

---

(٥) قوله: علّمت علوم الأوّلين والآخرين.

روي قريب منه في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص ١٥٢ في سورة البقرة الآية ٢١: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ وأخرج قريب منه الترمذي ج ٥ ص ٣٦٦، الحديث ٣٢٣٣ و ٣٢٣٤. وراجع تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٢٥٨ التعليق ٣٩، وج ٢ ص ٤١٨ التعليق ٢١٦، وج ٣ ص ٥٠٥ التعليق ٢٣١، وج ٤ ص ١٠٤ التعليق ٦٤، فتجد في كلّ منها مطلباً ومصدراً يرتبط الحديث.

(٦) قوله: خلقي القرآن.

أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤٢ (الطبع الجديد) ص ١٨٣، الحديث ٢٥٣٠٢ص ٣٥٣، الحديث ٢٥٥٤٧، وأخرجه الطبري في تفسيره ج ٢٩ ص ١٣ في سورة القلم الآية ٤: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأيضاً الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ٣٩٢.

وفي «اللباب في علوم القرآن» ج ١٩ ص ٢٦٩، عن علي عليه السلام، في تفسير سورة القلم،

وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وبقوله:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وبقوله:

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ونعم الفضيلة هذه سيّما إذا كانت من الله ورسوله.

(أودع الله سبحانه علوم جميع الكتب السّماويّة في نقطة باء بسم الله)

وورد عنه ﷺ إنّه قال:(٧)

⇐ قال:

«هو أدب القرآن».

(٧) قوله ورد عنه ﷺ: أنزل الله تعالى.

في «الدرّ المنثور» ج ١ في تفسير الفاتحة ص ١٦: أخرج البيهقي عن الحسن (البصري) قال: «أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب، أودع علومها (في) أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثمّ أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (في القرآن)، ثمّ أودع علوم القرآن (في) المفصّل، ثمّ أودع المفصّل (في) فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزّلة، (ومن قرأها فكأنّما قرأ ⇐

«أنزل الله تعالى من السّماء مأة وأربع كتب وأودع علوم المأة في الأربع وهي التّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان، ثمّ أودع علوم هذه الأربعة في القرآن، ثمّ أودع علوم القرآن في المفصّل منه، ثمّ أودع علوم المفصّل في الحروف المقطّعة الّتي هي في أوائل السّور، ثمّ أودع علوم الكلّ في الفاتحة، ثمّ أودع علوم الفاتحة في «بسم الله الرّحمن الرّحيم»، ثمّ أودع علوم «بسم الله الرحمن الرحيم» في بائها، ثمّ في نقطتها، فمن علم تفسير الفاتحة كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها كمن قرأ التّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان. ومن علم تفسير «بسم الله الرّحمن الرّحيم» كمن علم تفسير الفاتحة بأجمعها، ومن علم تفسير باء «بسم الله الرّحمن الرّحيم» كمن علم تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» وكذلك تفسير النقطة وما ضمّنها.

ومن هذا قال النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم».(٨)

وقال أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء «بسم الله الرحمن

⊃ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان).

راجع أيضاً «اللباب في علوم الكتاب» ج ١ ص ١٦٤ وأيضاً تفسير ابوالفتوح الرازي ج ١ ص ٣٠، وتفسير الثعلبي سورة الفاتحة.

(٨) قوله: ظهرت الموجودات.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢١٠ التعليق ١٣.

الرحيم»».[٩]

وقال أيضاً عليه السلام:

«أنا النّقطة تحت الباء».[١٠]

وقال غيره من العارفين:

«بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود».[١١]

وأيّ لسان يتمكّن من تفسير هذه الرّموز والإشارات، ومن الأسرار المندرجة تحت هذه الأخبار والآيات؟، وأيّ إنسان يقوم بكشف هذه الحقايق والدّقايق، الّتي يتضمّن هذه الألفاظ والكلمات؟، ومن يرفع حجاب هذه الوجوه الحسان الّتي هي خلف براقع التراكيب واللّغات؟، وإلى طائفة لهم الإطّلاع والإنكشاف على أمثال هذه اللّطائف والنكات؟، أشار الحقّ تعالى وقال:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ

---

(٩) قوله: والله لو شئت لأوقرت.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٦٢ التعليق ٩٢، وأيضاً الجزء الثاني ص ٣٢٦ التعليق ١٣٧.

(١٠) قوله: أنا النقطة تحت الباء.

قد مرّ الحديث والإشارة الى مصادره في الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٢١١ التعليق ١٤، فراجع، وأيضاً الجزؤ الثاني ص ٣٧٠.

(١١) قوله: بالباء ظهرت.

قاله الشيخ الأكبر راجع «الفتوحات المكيّة» المجلد الأوّل ص ١٠٠ وأيضاً الجزء الثاني ص ٣٦٩.

عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وفي الحديث القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».(١٢)

إشارة إلى أمثال هذه المخدّرات الأبكار في غاية الحسن والكمال وإلى أنواع هذه المحصّنات الأبرار في ألطف لباس الجلال والجمال كما قال:

﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٢ و ٧٤].

وقوله:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩].

إشارة إلى بحر التفسير وبحر التأويل، و:

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

إشارة إلى فضاء وسيعة قابلة للحقايق التفسيريّة والدقائق التأويليّة، فإنّ هذا البرزخ ليس له نهاية ولا غاية، و:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢١].

إشارة إلى ما يخرج من بينهما من العلوم والحقائق الإلهيّة والرّموز والأسرار الرّبانيّة، والكلمات القرانيّة لو لم تتضمّن مثل هذه الحقايق

---

(١٢) قوله: أعددت لعبادي.

قد مرّت الإشارة، إلى مصادرها في الجزء الثالث من تفسير المحيط الأعظم ص ٨٩ التعليق ٥١، فراجع.

والدّقائق، والآيات الرّبانيّة لو لم يندرج تحتها مثل هذه الرّموز والأسرار، كيف يوصفها الحقّ تعالى بأنّها غير قابلة للنهايات سيّما بالأسباب المنسوبة إلى عالم المحسوسات من الأشجار والبحار وما فيه من الموجودات، والمخلوقات، لقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ۲۷].

ولقوله:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ۱۰۹].

(لا يصل الى أسرار القران إلاّ الكامل)

ومعلوم للفطن اللبيب، والفائز من هذه الأسرار بأوفر النصيب أنّ الخائض في مثل هذا البحر العظيم والقائم بحلّ كلام الملك القديم لو لا أنّ له اطّلاعاً تامّاً وانكشافاً بالغاً على أمثال هذه الأسرار الشّريفة والإشارات الرفيعة الدّقيقة بقدر إستعداده وقابليّته لم يتمكّن من الشروع في شيء منها، لأنّها مخصوصة بخواصّ الخواصّ من العلماء الكبار المعبّر عنهم بالنّبيّ والوليّ والكامل والمكمّل، والعارف والمحقّق وامثالهم، والحمد لله الّذي جعلنا منهم وفضّلنا على كثير من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم.

وبالجملة الأخبار المذكورة سيّما الأخيرة وإن كانت مخصوصة بالقرآن فقط لكن صارت شاملة للفضائل الثلاث من فضيلة القرآن والفاتحة و«بسم الله الرحمن الرحيم»، والكلّ واحد عند التحقيق، لأنّ

الفاتحة و«بسم الله» هما نفس القرآن.

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذلك الجمال يشير

وهذه فضيلة له بعد فضيلة أخرىٰ أزددّت له مدحاً فما من فضيلة ما قلّت الأصل عنها، وفضيلة الفاتحة وبسم الله مع ذلك كلّه... سنذكر هما في موضعهما إن شاء الله.

وحيث ثبت بالنّقل أنّه جامع لجميع الكتب السّماويّة المنزلة، والكتب الآفاقيّة والأنفسيّة، وما في المجموع من العلوم والأسرار وأنّه مشتمل على علوم الأوّلين والآخرين.

فلنشرع في فضيلته من حيث العقل كما شرطناه، وهو هذا:

(جامعيّة القرآن للكتب والآفاق والأنفس عقلاً)

فالعقل الصّحيح يحكم بأنّه يكفي في فضيلته وشرفه ما سبق في المقدّمات وغيرها مراراً بأنّه جامع للكتب السّماويّة بأسرها، وأنّه صورة كتابَيِ الآفاق والأنفس بأجمعها إجمالاً وتفصيلاً، وأنّ مطالعته حقّ المطالعة يوجب المطالعة الكتابَين المذكورَين حقّ المطالعة، وكما أنّ مطالعته موجبة لمشاهدة الحق تعالىٰ في ضمن كلماته وآياته ذوقاً ووجداناً مشاهدة المعاني تحت الألفاظ أو مشاهدة المتكلّم في ضمن الكلام، كذالك مطالعتهما فإنّها أيضاً موجبة لمشاهدته كشفاً وعياناً في ضمن كلماتهما وآياتهما المعبّرة عنهما بالموجودات والمخلوقات عِلوا وسفلاً مشاهدة الظّاهر في المظاهر أو مشاهدة الصّور في المرايا بحكم ما ورد في الأوّل:

«لقد تجلّى الله بعباده في كتابه ولكن لا يبصرون».[١٣]

وبمقتضي ما أشار إليه في الثّاني:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وإلى هذه أشرنا في الخطبة الأولىٰ إجمالاً وقلنا: إنّه لايمكن مشاهدته من حيث الكشف والعيان إلاّ من مطالعة هذين الكتابين اللّذين صار القران صورة إجمالهما وتفصيلهما، وبل قلنا: شرف القران على غيره من كتب الله السّماويّة ليس إلاّ بهذا، وهذا عظيم شريف جليل جدّاً، لأنّه فضيلة فوق كلّ فضيلة بحكم العقل الصّحيح الصّريح والنصّ الصريح، ولايمكن أن يكون هناك فضيلة أعظم من هذا أصلاً لأنّ أعظم الفضائل وأشرفهابالإتّفاق معرفة الحقّ تعالىٰ ومشاهدته كشفاً وعياناً، وهذه الفضائل لا يحصل إلاّ من مطالعة كتابه ومطالعة آياته وكلماته. فكيف يمكن فضيلة أعظم من هذه الفضيلة.

وحينئذٍ ترجع الفضائل المذكور كلّها إلى الكتابين الجامعين أعني الكتاب القرآني والكتاب الآفاقي. لأنّ الأنفسي داخل في الآفاقي

---

(١٣) قوله: لقد تجلّى الله.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوْه بما أراهم من قدرته» نهج البلاغة الخطبة ١٤٧.

وروى المجلسي في البحار ج ٩٢ ص ١٠٧ عن الشهيد الثاني في كتابه «أسرار الصلاة» عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنّهم لايبصرون»

كالفاتحة في القرآني، وإليهما أشار بقوله جلّ ذكره في كتابه:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

وقد بيّنا في المقدّمات أنّ المراد بهما ليس التّوراة والإنجيل على ما ذهب إليه المفسّرون لأنّهما ليسا بأهدىٰ من القرآن إلى الله تعالىٰ، فالمقصود بهما لا يكون إلاّ الكتابين المذكورين فإنّه ليس في الإمكان أهدىٰ منهما إلى الله كشفاً وعياناً وذوقاً ووجداناً، رزقكم الله وايّانا مشاهدته بهما وكشفه منهما فإنّهما المقصودتان بالذّات من مطالعتهما ومطالعة آياتهما وكلماتهما، ويعضد هذا قوله عقيب الآيه:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وكذلك قوله:

﴿هُوَ الأَوّل وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الحديد: ٣].

وكذلك قول النّبيّ ﷺ:

«سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر».(١٤)

---

(١٤) قوله: سترون ربّكم.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، الباب ١٢١٨ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يُومَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ الحديث ٢٢٣.

ورواه الصدوق في «معاني الأخبار» باب معني قول النّبيّ ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ

وقد سبقت كيفيّة مشاهدته في ضمن آياته الآفاقيّة والقرانيّة وغير ذلك غير مرّة في المقدّمات من الجلد الأوّل[١٥] وجوه كثيرة فارجع إليها، فإن هذا المقام لا يحتمل شرحها وبسطها أكثر من ذلك والحمد لله وحده هذا وجه.

(الإحاطة بحقائق القرآن مستحيل إلاّ لِمَن اتّصف بالمقام المحمّدي ﷺ)

ووجه آخر، وهو انّه قال في صفته:

﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومراده أنّ الإتيان بمثله محال، لأنّ الإتيان بمثله إنّما يتصوّر مع امكان الإحاطة بمعانيه وحقائقه على ما هو عليه في نفس الأمر، وهذا محال بالنّسبة إلى الإنس والجنّ، فيكون الإتيان بمثله محال، أمّا وجه الإستحالة فهو أنّ الإتّصاف بهذا المقام يقتضي الإتّصاف بالمقام المحمّدي والإتّصاف بالمقام المحمّدي ﷺ على الحقيقة بالإتّفاق مستحيل فيكون

مولاه» ص ٧٢ وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ١٦١، التعليق ٦٩ وص ٥٤٩ التعليق ٣٤٨، وج ٤ ص ٢١٤، التعليق ١٤٧.

(١٥) قوله: من الجلد الأوّل.

المراد من المجلد الأوّل هو الّذي كان مخطوط بخط السيد المؤلف المبارك وهو مشتملة على خطبة الكتاب والمقدمات السبعة، والّذي طبع على تجزئتنا في أربع مجلّدات، مع أن في الخطبة سقط كبير والمقدمة السابعة أيضاً ساقطة رأساً.

الإتيان بمثل كتابه مستحيل وهو المقصود، والحمدلله.

أنّ القائل بهذا القول عليم بحقائق المعلومات، خبير باستعداد الموجودات، بصير بأحوال الخلق من الإنس والجنّ، سميع لإستدعاء العباد والتماساتهم بلسان الحال والقال، لقوله فيه تأكيداً فيه:

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

أمّا أمّ الكتاب الّذي هو العقل الأوّل، وأمّا اللوح المحفوظ الّذي هو النّفس الكلّيّة، وأمّا القرآن الجامع بينهما، وأخرهما من الآفاق والأنفس لأنّه الجامع لصورة إجمالهما وتفصيلهما كما عرفته مراراً والكلّ راجع إلى علم الله تعالى بالكلّ وأنّ الكلّ لا يتمكّنون من الإتيان بمثل القرآن وهو المقصود، ومن هذا ثبت له فضيلة فوق فضيلة كلّ كتاب نزل من السّماء.

واكثر هذا الأبحاث قد سبق في المجلد الأوّل، ومع ذلك هٰهنا دقيقة شريفة لابدّ منها وهي:

أنّ الإنس والجنّ من عالم المحسوسات، وكتابه القرآن شامل لجميع ما في العوالم العلويّة والسفليّة من الرّوحانيّات والجسمانيّات المعبّرة عنها بالكلمات والآيات، وعالم المحسوس بأسره بالنّسبة إلى تلك العوالم كالقطرة بالنّسبة إلى البحر المحيط فكيف يمكن إحاطة القطرة بالمحيط أو إحاطة الجزء بالكلّ، ومن هذا قال:

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

وفيه قيل:

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفه أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

(حقائق القرآن وأسرارها غير متناهية)

وهذا البحث يريد بسطاً غير هذا، فنقول:

إعلم، أنّ الله تعالى قال:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقال:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

الآيتين كما عرفتهما مراراً، فمراده من هذه الكلمات الغير القابلة للنّهايات لايخلو من وجهين:

إمّا أن يكون الكلمات القرانيّة بحسب اللّفظ والتّركيب وهذا محال، لأنّه لو كان كذلك لم تكن ببالغة في عدم تناهيها ونفادها إلى هذه الغاية، مع أنّه عالم بأنّ كلماته من هذه الحيثيّة تنفد وتنهى بوقته من المداد أو أقلّ منه فضلاً عن البحور السّبعة وما بعدها.

وإمّا ان يكون معاني تلك الكلمات لا لفظها ولا صورتها، وهذا هو المناسب بها المطابق لفحواها لأنّ معناها مطابق للكلمات الآفاقيّة الغير المتناهية صورةً ومعناً بحكم التّطبيق بينهما لأنّ القرآن صورة إجمالها وتفصيلها.

أمّا صورة فلأنّ صورة الكلمات الآفاقيّة تارة يعبّر عنها بالممكنات مطلقاً وتلك ليست بقابلة للنّهايات أصلاً كلّيّة كانت أو جزئيّة كما لا يخفىٰ على أهلها، وتارة يعبّر عنها بالمظاهر الإلٰهيّة وتلك أيضاً ليست بقابلة للنّهاية فإنّها في الحقيقة ترجع إلى الممكنات لأنّ غير الحقّ تعالىٰ الّذي هو الواجب بذاته في حكم الممكنات الّتي نسبة الوجود والعدم إليها

بالسّويّة، والموجود بالإتّفاق منحصر فيهما، وإن شئت قلت: بما سوى الله، لأن ما سوى الله لا يصدق إلاّ على الممكنات صورة ولا مشاحّه في العبارة.

وأمّا معنى فلأن المعنى إمّا أن يرجع إلى علم الله بالمعلومات المكنونة في حضرته العلميّة موجودة كانت أو معدومة وتلك غير متناه بالإجماع، وإمّا أن يرجع إلى ما في الذوات الممكنة وماهيّاتها من المعلومات والمعاني والحقائق وتلك أيضاً غير متناهية، حيث ذواتها غير متناهية، وقد أشرنا إلى هذا في المقدمات أبسط من ذلك.

(كِبَر الكواكب وبُعد كلّ واحد منها عن الآخر)

واذا جئنا إلى هذا وبيّنا الكلام على معنى الكلمات القرانيّة المطابق لمعنى الكلمات الآفاقيّة فعالم المحسوس بأسره وجميع ما فيه من البحور والأشجار والموجودات المركّبة والبسيطة ما يكون بجنب تلك الكلمات المنسوبة إلى العوالم العلويّة من الجبروت والملكوت والحضرات القدسيّة والمفارقات المجرّدة وغير ذلك من العقول والنفوس والأفلاك والأجرام إلاّ كقطرة في بحر لا نهاية له. لأنّ عالم المحسوسات عند أرباب المعقول والعلوم الرّياضة فضلاً عن أهل المكاشفات والعلوم الإلهيّة بالنّسبة إلى تلك العوالم أقلّ من قطرة في بحر، ولا سيّما البحر المحسوس المحدود في بعض عالم المحسوس، وذلك لأنّ أصغر كوكب في السّماء هو أكبر من كرة الأرض بمرار متعدّدة ومقادير مقدرّة، فقس على هذا باقي العوالم وفسحتها وسعتها وعظمتها وعلوّها لقوله:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان: ٢٠].

وإن تصعب عليك هذا المعنى بهذا الوجه نستشهد فيه ببعض النقليّات مطابقا للعقليّات والكشفيّات ليطمئن به قلبك وتميل إليه نفسك ويسكن عنك إضطرابك وقلقك كما قال تعالىٰ لإبراهيمعليه السلام:

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فأعظم النقليّات في هذا قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومعلوم أنّ الكرسي يطلق بحسب الظاهر على الفلك الثامن، وبحسب الباطن على النفس الكلّيّة.

وعلى التّقدير الأوّل يكون الكرسيّ محيطة بالأفلاك والأجرام والكواكب السّيارة وكلّ ما فيها من المخلوقات والموجودات والبسائط والمركّبات مع بُعد كلّ فلك وعالمٍ عن فلك آخر وعالم آخر بكذا وكذا سنة، فأين عالم المحسوسات وما فيه من الموجودات من تلك العوالم وما فيها من المخلوقات مع سعتها وعظمتها.

وعلى التقدير الثاني تكون النّفس الكلّيّة ميحطة بالنفوس الجزئيّة وأين النفوس الجزئيّة من النّفس الكلّيّة وعظمتها وعلوّ شأنها واتّساع قدرها، لأنّ أيّ جزئي فرض مع الكلّي يكون هو أقلّ من القطرة في البحر،يعرف هذا من تصوّر الحيوان الكلّي مع حيوان الجزئي أو تصوّر نوع الإنسان الّذي هو الكلّي أيضاً مع تصوّر شخص جزئيّ منه كعمرو وزيد مثلاً وهذا لا يخفىٰ علىٰ أهله، وروي عن أبيذر الغفّاري رحمة الله عليه أنّه قال:

سئل النّبيّصلى الله عليه وآله عن الكرسي وسعته مع الأفلاك، فقال:

«ما السّماوات السّبع والأرضون السّبع في الكرسي إلاّ كحلقة ملقاة

بأرض فلاة لا نهاية لها، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».(١٦)

---

(١٦) قوله: ما السّماوات السبع.

رواه الصدوق في «الخصال» ج ٢، ص ٥٢٤، ابواب العشرين وما فوقه الحديث ١٣،رواه أيضاً في «معاني الأخبار» باب معنى تحيّة المسجد، الحديث ١، ص ٣٣٣، عنهما «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٥، الحديث ١. وأخرجه السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ١ ص ٣٢٨ في تفسير آية الكرسي وروى الكليني في «الرّوضة من الكافي» ج ٨ ص ١٥٣ الحديث ١٤٣ بإسناده عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ هذه الأرض بمن عليها عند الّتي تحتها لحلقة ملقاة في فلاة قيّ، وهاتان بمن فيهما ومن عليهما عند الّتي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والثالثة حتّى انتهىٰ إلى اسابعة، وتلا هذه الآية:

﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الطلاق: ١٢، والسبع الأرضين بمن فيهنّ ومن عليهنّ على ظهر الديك كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والديك له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب ورجلاه في التخوم والسبع والدّيك بمن فيه ومن عليه على الصّخرة كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والصخرة بمن فيها ومن عليها على ظهر الحوت كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والسبع والدّيك والصخرة والحوت بمن فيه ومن عليه على البحر المظلم كحلقة ملقاة في فلاة قيّ والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم على الهواء الذّاهب كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والسبع والدّيك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء على الثرى كحلقة ملقاة في فلاة قيّ ثمّ تلا هذه الآية ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾.

⬅

(أنّ لله تعالى خلقاً لا يعلمون خلق آدم أم لم يخلق)

وروي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«إنّ لله تعالىٰ أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلثون يوماً، هي مثل أيّام الدّنيا ثلاثين مرّة مشحونة خلقاً لا يعلمون أنّ الله خلق السّموات

⇐ طه: ٦ ثمّ انقطع الخبر عند الثرى؛ السبع والدّيك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء الاولى كحلقة في فلاة قيّ وهذا كلّه وسماء الدّنيا بمن عليها ومن فيها عند الّتي فوقها كحلقة في فلاة قيّ وهاتان السماثان ومن فيهما ومن عليهما عند الّتي فوقهما كحلقة في فلاة قيّ وهذه الثلاث فيها عند الّتي فوقها كحلقة في فلاة قيّ وهاتان السماثان ومن فيهما ومن عليهما عند الّتي فوقهما كحلقة في فلاة قيّ وهذه الثلاث بمن فيهنّ ومن عليهنّ عند الرابعة كحلقة في فلاة قيّ حتّى انتهى إلى السّابعة وهنّ ومن فيهنّ ومن عليهنّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ وهذه السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيّ وتلا هذه الآية: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ النور: ٤٣، وهذه السّبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء الّذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النّور عند الكرسي كحلقة في فلاة قيّ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة: ٢٥٥، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البردالهواء وحجب النور والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قيّ وتلا هذه الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

والأرض، ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم وإبليس.(١٧)

---

(١٧) قوله: إنّ الله تعالى أرضاً بيضاء.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٠٠ الحديث ١٤٣ وروى مثله الديلمي عن ابن عبّاس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله فصل من كلام سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ص ٢٨٠.

وروى الكليني في الرّوضة من الكافي ج ٨ ص ٢٣١ الحديث ٣٠٠ بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«ألا إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوّة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله عزّ وجلّ طرفة عين، ما يدرون خُلِقَ آدم أم لم يخلق».

وروى المفيد في الإختصاص ص ٣١٩ في انّ الأرض لتطوى لهم عليهم السلام بإسناده عن أبان بن تغلب قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن فقال له: **«يا أخا اليمن أعندكم علماء؟»** قال: نعم، قال: **«فما يبلغ من علم عالمكم؟»** قال: يسير في اللّيلة مسيرة شهر يزجر الطير ويقفوا الأثر، فقال أبو عبدالله عليه السلام: **«عالم المدينة أعلم من عالمكم»**، قال: فما يبلغ من علم عالم المدينة؟ قال: **«يسر في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتّى يقطع اثني عشر عالماً مثل عالمكم هذا، ما يعلمون انّ الله خلق آدم ولا إبليس»**، قال: فيعرفونكم؟ قال: **«نعم ما افترض الله عليهم إلاّ ولايتنا والبرائة من عدوّنا»**.

وروى عنه المجلسي في بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٦٩ الحديث ١٤، وروى المجلسي في بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٣٤٨ الحديث ٤٣، عن الدرّ المنثور، عن بعض الائمة الكوفة، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«فإنّ لله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس أربعين

وروي عن عليعليه السلام أيضاً أبلغ من ذلك وهو قوله:

«إنّ الله تعالىٰ خلق ملكاً تحت العرش فأوحى إليه: أيّها الملك طِرفطار ثلثين ألف سنة، ثمّ أوحى إليه طِرفطار ثلثين ألف سنة أخرىٰ، ثمّ أوحى إليه طِرفطار ثلثين ألف سنة كذلك فأوحىٰ إليه لو طِرتَ إلى نفخ الصّور ما كنت تبلغ إلى الطرف الثاني من العرش، فقال الملك عند ذلك: سبحان ربّي الأعلىٰ وبحمده».(١٨)

⟵ يوماً. فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفه عين»، قيل: يا نبيّ الله من ولد آدم هم؟ قال: «ما يدرون خُلق آدم أم لم يخلق»، قيل: يا نبيّ الله فأين إبليس عنهم؟ قال: «ما يدرون خُلق إبليس أم لم يخلق».

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ١٤٦ التعليق ٦٢.

(١٨) قوله: إنّ الله تعالىٰ خلق مَلَكاً تحت العرش.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٠٠ الحديث ١٤٥. وروى المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٣٤ الحديث ٥٤، عن روضة الواعظين عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّهعليهم السلام أنّه قال: «في العرش تمثال ما خلق الله من البرّ والبحر قال: وهذا تأويل قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ الحجر: ٢١، وإنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام، والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النّور لايستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة. وإنّ لله تعالىٰ مَلَكاً يقال له «خرقائيل» له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام، فخطر له خاطر: هل فوق العرش شيء؟ فزاده الله تعالى مثلها اجنحة أخرى، فكان له ستّ

⟵

(العالم المثالي و كونه برزخاً)

وقد ورد في إصطلاح القوم بالنّسبة إلى عالم المثال هذا بعينه وهو قولهم:
«العالم الحسيّ بالنّسبة إلى العالم المثالي كحلقة ملقاة في بيداء لانهاية لها».
والعالم المثالي عندهم عالم روحاني من جوهر نوراني شبيه بالجواهر الجسماني في كونه محسوساً مقداريّاً، وبالجوهر المجرّد العقلي في كونه نورانيّاً، ليس بجسماني ماديّ ولا جوهر مجرّد عقلي، لأنّه برزخ وحدّ فاصل بينهما، وكلّ برزخ بين شيئين لابدّأن يكون غيرهما، بل له جهتان يشبه بكلّ منهما ما يناسب عالمه.
وقالوا: العالم المثالي مشتمل على العرش والكرسي والسّماوات السّبع والأرضين السّبع وما في جميعها من الأملاك والأفلاك.
وتحت عالم المثال بحث طويل دقيق غير لايق بهذا المقام ستعرفه في موضعه إن شاء الله بعد أن عرفته في المقدّمات مبسوطاً، والمراد منه أنّه إذا

⊃ وثلاثون إلف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام، ثمّ أوحى الله إليه: ايّها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثمّ ضاعف الله له في الجناح والقوّة وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه: أيّها الملك! لو طرت إلى نفخ الصّور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشي فقال الملك: «سبحان ربّي الأعلىٰ» فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلىٰ ١، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم».

كان هناك عالم بين العوالم الرّوحانيّة والجسمانيّة ويكون سعته بهذه المثابة فكيف تكون سعة العوالم الّتي فوقه من الجبروت والملكوت والحضرات القدسيّة من العقول والنفوس وغير ذلك، ويعرف صدق هذا أيضاً من صفة الجنّة الصّورية وسعتها في قوله تعالى:

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقول النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«يعطىٰ كلّ مؤمن يوم القيامة من الجنّة مثل الدنيا سبع مرّات».[١٩]

لأنّا لو فرضنا المؤمنين بأسرهم وفرضنا الجنّات الّتي هم فيها، عرفنا كيفيّة سعتها وكميّة طولها وعرضها وما كنّا محتاجين إلى الإستشهاد

---

(١٩) قوله: يعطىٰ كلّ مؤمن.

رواه إبن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٠١ الحديث ١٤٦، وروى السبزواري في جامع الأخبار الفصل الرابع والثمانون، ص ٣٤٨ الحديث ٩٦٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«للرجل الواحد من أهل الجنّة سبعمأة ضعف مثل الدنيا، وله سبعون ألف قبّة، وسبعون ألف قصر، وسبعون ألف حجلة، وسبعون ألف اكليل، وسبعون ألف حلة، وسبعون ألف حوراء عيناء، وسبعون ألف وصيف، وسبعون ألف وصيفة، على كلّ وصيفة سبعون ألف ذؤابة وأربعون ألف أكليل وسبعون ألف حلّة، وغلام في كفّه إبريق لسانه من رحمة، أذنه من لؤلؤ، أسفله من ذهب، على رقبته منديل طوله خمسمأة سنة وعرضه مسيره مأتي سنة، اقلاله من نور مشبكة بالذهب، نسجه من الله تعالىٰ».

وعنه بحار الأنوار ج ٨ ص ١٤٧ الحديث ٧٣، مع حذف بعض ألفاظه.

والإستدلال، لكن حيث إنّ هذا الفرض بالنّسبة إليها محال احتجنا إلى أمثال هذه التمسّكات. وإذا عرفت هذا فقس عليه الجنّات الرّوحانيّة العلويّة الّتي فوقها المشار إليها بقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و٥٥].

لأنّها لو لم يكن في غاية العظمة والسّعة لم يكن الله تعالىٰ يصفها بأنّها كبيرة في قوله:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان: ٢٠].

لأنّ الكبير لا يقول للشيء كبيراً إلاّ إذا كان ذلك في غاية الكبر.

وبحث الجنّة أيضاً بحث طويل وليس الغرض هذا بل الغرض تحقيق سعة العوالم الغيبيّة الرّوحانيّة وضيق العالم الشهاديّة الجسمانيّة.

وبيان أن نسبة عالم المحسوس وما عليه من الأشجار والبحور والخلايق والحيوانات والنبات بالنّسبة إلى تلك العوالم كالقطرة في البحر، وإذا كان الحال على هذا المنوال فلايتيسّر نفاد الكلمات، الإلٰهيّة قرانيّة كانت أو آفاقيّة بما فيه من المخلوقات، لأنّ القطرة لايتيسّر لها الإحاطة بالبحر ولايمكن للجزء الإشتمال على الكلّ.

وإذا تقرّر هذا وتحقّق وتبيّن فضيلة القرآن بهذه الوجوه المختلفة، وثبت أنّ كلماته من حيث المعنى غير قابلة للنفاد كما أنّ كلمات الآفاق المطابقةلكلماته غيرقابلة للنفادصورة ومعنى لقوله فيالأوّل كماسبق ذكره:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ولقوله في الثاني:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

(في بيان فضيلة الفاتحة وبسم الله)

فلنشرع في فضيلة «الفاتحة» و«بسم الله» الّتي تلك أيضاً ترجع إليه وتثبت فضيلة بعد الفضيلة، وهذه الفضائل الّتي نثبت له في أوّل هذه المقدّمة إلى آخرها وإن كانت لايتصوّر فوقها فضيلة أخرىٰ، لكن عند التحقيق كلّ ما يقول الإنسان في فضيلة كلام الله تعالىٰ سيّما القرآن يكون راجعاً إلىٰ إستعداده وقابليّته لا إليه ولا إلى الحقيقة، لأنّه أعظم من أن يعدّله فضيلة ولا يكون فوقها فضيلة أخرىٰ قولاً كان أو فعلاً.

تجول عقول الخلق حول جمالها ولم يدركوا من برقها غير لمعة

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وكان نبيّنا صلى الله عليه وآله نظراً إلى هذا المعني قال:

«أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، لاأحصي ثناء عليك كما أثنيت علىٰ نفسك».(٢٠)

---

(٢٠) قوله: أعوذ بعفوك من عقابك.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١١٣، الحديث ١٧٦، وابن طاووس في «اقبال الأعمال» ص ٤٨، بإسناده عن الصادق عليه السلام في دعائه عند حضور شهر رمضان.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢٨١ التعليق ٥٢.

(كلام الله غير ذاته)

وفوق ما يقول القائلون، لأنّ كلامه عين ذاته حيث إنّ الكلام صفة المتكلّم، وصفاته عند التحقيق (المحقّق) عين ذاته. لقوله عليه السلام:

«وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه» [نهج البلاغه الخطبة الأولى].

فإنّ الواصف للذّات يكون كالواصف للكلام، والواصف للذّات إذا أقرّ بالعجز من صفاته وأحال إليه بحقيقتها فالواصف للكلام كمثله فالعجز لازم له فيكون قوله عليه السلام صحيحاً قيّماً وقال وفوق ما يقول القائلون، وشيء آخر ألطف من هذا: أنّ القرآن من أعظم نعم الله على عباده،...:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [ابراهيم: ٣٤].

فاحصاء فضله (فضيلته) من الإنسان المحدود المحصور بين الزّمان والمكان يكون مستحيلاً، وسيّما قد ثبت أنّ كلماته المعنويّة غير قابلة للحصر والعدّ، وفضيلته يكون كذلك، وهذا هو المقصود (من) البحث. والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ ويهدى السّبيل وعليه التكلان.

المقـدّمة الثـانـية

في فضيلة فاتحة الكتاب وحدها

إعلم أنّ لهذه السورة الشريفة فضيلة كثيرة، ولها أسماء مختلفة متنوّعة بحسب فضائلها لم نتمكّن من ذكر مجموعها، لكن نذكر بعضها كما شرطناه أوّلا، فإنّه لا يجوز الإهمال في مثل هذه الأفعال مطلقاً وخصوصاً ورد أنّه:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٤].

أمّا فضيلتها، منها، ما ورد عن الله تعالى على لسان نبيّه ﷺ، بأسانيد صحيحة إنّه قال:

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾، يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿الرحمن الرحيم﴾، يقول الله: أثنى عليّ عبدي، يقول العبد: ﴿مالك يوم الدّين﴾، يقول الله: مجدّني عبدي، يقول العبد: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾، يقول الله: هذه بيني وبين

عبدي،لعبدي ما سئل، يقول العبد: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة، فيقول الله: هٰؤلاء لعبدي ولعبدي ما سئل».

وأيّه فضيلة تكون أعظم من إشتراك العبد مع ربّه وسيّده في أعظم العبادات وأجلّها وأشرف السّور وأعزّها.(٢١)

---

(٢١) قوله: قسمت الصلاة.

رواه الصدوق في «الأمالي» المجلس ٣٣ الحديث ١ ص ١٤٧، ورواه أيضاً في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٣٠٠ الحديث ٥٩، بعبارة أخرى فراجع، وأيضاً رواه في أماليه المجلس الثالث والثلاثون الحديث ١، ص ١٤٧، ورواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٩٢ الحديث ٥٥، عن إرشاد القلوب، فراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٤ ص ١٢٨ التعليق ٧٩.

وأخرج ابن ماجه في سننه ج ٢ ص ١٢٤٣ الحديث ٣٧٨٤، باسناده عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«قال الله عزّ وجلّ: قسمت الصلاة بيني بين عبدي شطرين: فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اقرئوا: يقول العبد: «الحمد لله ربّ العالمين»، فيقول الله عزّ وجلّ حمدني عبدي، ولعبدي ما سأل، فيقول: «الرّحمن الرّحيم»، فيقول: أثنىٰ عليّ عبدي، ولعبدى ما سأل، يقول: «مالك يوم الدّين»، فيقول الله: مجّدني عبدي فهذا لي، وهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين، يقول العبد: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين»، يعني فهذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، وآخر السورة لعبدي، يقول العبد: «إهدنا الصراط المستقيم

رزقنا الله القيام بها وبما فيها، ومن هذا يعرف أنّ أحد أسمائها الصّلاة، وقد أشار إلى هذا أيضاً بعض المفسّرين(٢٢) مسنداً إلى رسول الله ﷺ.

ومنها، ما ورد عن أبي بن كعب إنّه قال:

قرأت علىٰ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب فقال لي: «والّذي نفسي بيده ما أنزل الله تعالىٰ في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزّبور، ولا في الفرقان مثلها، (وهي أمّ الكتاب وأمّ القرآن) وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل».(٢٣)

وهذا أيضاً دالّ علىٰ تسميتها بها.

ومنها، ما ورد من بعض الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مسنداً إلى رسول الله ﷺ، أنّه قال:

«أنزل الله تعالىٰ من السّماء مأة وأربع كتب، وأودع علوم المأة في الأربع الّتي هي التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان، ثمّ أودع علوم

⇒ صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين»، فهذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

(٢٢) قوله: بعض المفسّرين.

راجع تفسير مجمع البيان وروض الجنان وغيرهما، ذكرا في بيان أسماء سورة الحمد عشرة أسماء: فاتحة الكتاب، أمّ الكتاب، أمّ القرآن، السبع المثاني، الوافية، الكافية، الأساس، الصلاة، الحمد.

(٢٣) قوله: والّذي نفسي بيده.

أخرجه «كنز العمّال» ج ١ ص ٥٥٦، الحديث ٢٤٩٦ و٢٤٦٧. ورواه السبزواري في جامع الأخبار ص ١٢١، الحديث ١٢/٢٢٤.

الأربعة في القرآن، ثمّ أودع علوم القرآن في المفصّل منه، ثمّ أودع علوم المفصّل في الحروف المقطّعة الّتي هي في اوائل السّور، ثمّ أودع علوم المجموع في الفاتحة، ثمّ أودع علوم الفاتحة في «بسم الله الرحمن الرحيم» الحديث.(٢٤)

فمن قرأ الفاتحة وكأنّما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن علم تفسيرها كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزّلة.

وقد سبق هذا الحديث مرّتين، وسيجيء مراراً إن شاء الله، والمراد أنّه ليس في السّور القرآنيّة كلّها، ولا في الكتب المنزّلة السّماويّة أعظم منها ولا أشرف، وذكر هذا الخبر بعينه الشيخ الإمام محيى الدّين الرّازى رحمة الله عليه في أوّل تفسيره الموسوم بـ«مفاتيح الغيب»(٢٥) وذكر بعده: أنّ هذه السورة الكريمة مشتملة على عشرة ألاف مسئلة وبل أزيد، وقال: وبل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يشتمل على هذا المقدار وأكثر، وهو قوله:

«إعلم أنّه مرّ على لساني في بعض الأوقات أنّ هذه السورة الكريمة يمكن ان يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسئلة، فاستعبد هذا بعض الحسّاد، وقوم من أهل الجهل والعناد، وحملوا ذلك علىٰ ما ألفوه من أنفسهم من التّصرّفات الفارغة عن الكلمات والمعاني الخالية عن تحقيق

---

(٢٤) قوله: أنزل الله تعالىٰ من السماء مأة وأربع كتب.

قد مرّت الإشاره إلى مصادره في التعليق ٧ فراجع.

(٢٥) قوله: في أوّل تفسيره الموسوم بمفاتيح الغيب.

راجع التفسير الكبير للإمام الفخر الرّازي ج ١ ص ٣.

المعاقد والمباني، فلمّا شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدّمت هذه المقدّمة لتصير كالتّنبيه علىٰ أنّ ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول».

والحقّ أنّه قد كتب ذلك الكتاب في غاية اللّطف والكمال بعد أن جعله مشحوناً بالعلوم الكثيرة والفضائل الجمّة، وجعله إثنا عشرة مجلدة كباراً، منها مجلّدة واحدة في الفاتحة، وصار إسمه طبقاً للمسمّى بما فتح الله عليه من عالم الغيب بحسب اللّفظ والمعني جزاه الله خيراً في الدّنياالآخرة.

وكذلك الشيخ الأعظم صدر الحقّ(٢٦) واليقين قدّس الله سرّه فإنّه

---

(٢٦) قوله كذلك الشيخ الأعظم صدر الحقّ.

وهو الشهير بالشيخ الكبير أبوالمعالي صدر الدين محمّد بن إسحاق القونوي، ربيب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي وتلميذه وناشر أفكاره وشارح أقواله، متوفّى ٦٧٣ ه.ق.

وأمّا تفسيره لسورة المباركة الفاتحة «إعجاز البيان في تأويل أمّ القرآن» فهو من أدقّ التفاسير وأعمقها جدّاً ومن أنفعها في بيان المطالب اللطيفة العرفانيّة حول السورة وآياتها المباركة، ومن أراد أن يطالعه وينتفع به فلابدّ أن يعرف قبله مباني العرفان النظري والعملي أوّلاً، ومباني أفكار محيي الدين والمؤلّف ثانياً، وله مصنفات عديدة منها:

١ – الفلوك في أسرار مستندات حكم الفصوص.

٢ – النفحات الإلّهيّة القدسيّة.

٣ – النصوص في بحر التحقيق وجواهر الفصوص. أو النصوص في تحقيق الطّور المخصوص.

كتب كتاباً واحداً مجلّداً برأسه في الفاتحة وتحقيقها وتدقيقها ذكر فيها من الأسرار والرّموز ماشاء الله، وهو أعلىٰ منه بطبقات متعدّدة ومراتب متنوّعة بحكم قوله تعالىٰ:

﴿وَفَوقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم﴾ [يوسف: ٧٦].

وكذلك أكثر العارفين فإنّهم أيضاً كتبوا فيها كلّ واحد منهم بقدر إستعداده، وإن شاء الله يكون تأويلنا هذا في الفاتحة أكثر منهم حجماً وأحسن عبارة مع أنّ كلّ هذا بالنّسبة إليها ومعانيها ودقايقها وحقايقها كقطرة في بحر لا نهاية له، وكيف لا وأميرالمؤمنين عليّ عليه السلام قال:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء «بسم الله الرحمن الرحيم»[(٢٧)].

و«بسم الله الرحمن الرحيم» آية من آيات الفاتحة والباء حرف من حروفها، وروي عن علي عليه السلام قال:

---

٤ - مفتاح غيب الجمع والوجود.

ومن تلاميذه: الشيخ مؤيّد الدين الجندي، وسعيد الدين الفرغاني، وشمس الدين إيكي، والشيخ فخر الدين العراقي وعفيف الدين التلمساني.

وللشيخ القونوي مراسلات مع مولا خواجه نصير الدين الطوسي في بعض المسائل الحكميّة.

(٢٧) قوله: والله لو شئت لأوقرت.

رواه عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٠٢ الحديث ١٥٠، ورواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٧ نقلاً عن قوت القلوب وفي ج ٩٢ ص ١٠٣ الحديث ٨٢ نقلاً عن أسرار الصّلاة.

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي[٢٨]: «يا محمّد ولقد آتيناك

---

(٢٨) قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي.

روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» ج ١ ص ٣٠١، الحديث ٦٠، بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

«إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها «بسم الله الرحمن الرحيم»، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي: يا محمّد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، **فأفرد الإمتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء (نظير) القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وأنّ الله عزّ وجلّ خصّ محمّداً صلى الله عليه وآله وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام فإنّه أعطاه منها: «بسم الله الرحمن الرحيم» يحكى عن بلقيس حين قالت: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** النمل: ٢٩ و٣٠.

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد وآله الطيّبين منقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرهما وباطنهما (بظاهرها وباطنها) أعطاه الله عزّ وجلّ بكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن إستمع إلى قارىء يقرأها كان له بقدر ما للقاري، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبن أوانه فتبقى قلوبكم في الحسرة».

وروي عنه المجلسي في بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٢٧ الحديث ٥، ومستدرك الوسائل ج ٤ ص ٣٢٨، ووسائل الشيعة كتاب الصلاة الباب ١١ ج ٦ ص ١٩٠ الحديث ١٣، قطعة منه.

ورواه السبزواري في «جامع الأخبار» ص ١٢٢ الحديث ١٥/٢٢٧ الفصل ٢٢.

سبعاً من المثاني، فأفرد عليّ الإمتنان بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن، وأنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش».

وأنّ الله تعالىٰ خصّ محمّداً وشرّفه بها ولم يشرك فيها احداً من الأنبياء ما خلا سليمان ﷺ فانّه أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم»، ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت:

﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾» [النمل: ٢٩ و ٣٠].

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد وآله (ﷺ) منقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها، أعطاه الله ﷻ لكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارىء يقرأها كان له قدر ثلاث ما للقاري، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له، فإنّه غنيمة لا يذهبنّ أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة».

صدق رسول الله وصدق راويها، وأمثال ذلك في هذا الباب كثيرة يكفي منها هذا المقدار.

أسماء سورة الحمد ووجه تسميتها بها

(وجه تسمية سورة الحمد بأمّ الكتاب)

وامّا تسميتها، فسّميت أوّلاً بـ«أمّ الكتاب»، ثمّ بـ«الفاتحة»، ثمّ بـ«سبع المثاني»، ثمّ بأسماء أخر غير هذه، ولكلّ إسم سبب وحده وفضيلة وحدها.

أمّا «أمّ الكتاب»، فسمّيت بذلك لأنّها أصل القرآن والكتب المنزّلة من السّماء، لأن جميع ما أنزل الله من الكتب فهو جامع في هذه السّورة مندرج تحتها كما شهدت به الآيات والأخبار المتقدّمة.

وقيل: لأنّه أصل كلّ كتاب ومنشائه كالأمّ من الولد، فإنّها أصل للنّسب، وسبب للولد.

وقيل: سمّيت بذلك لأنّها أفضل سور القرآن، كما أنّ مكّة سمّيت أمّ القرىٰ لأنّها أشرف البلدان.

وقيل: سمّيت بذلك لأنّها مقدّمة علىٰ سور القرآن كلّها، فهي أصل وإمام لما يتلوها من السّور كما أنّ أمّ القرىٰ أصل جميع البلدان حيث دحيت الأرض من تحتها.

وقيل: سمّيت بذلك لأنّها مجمع العلوم والحقايق كما أنّ الدّماغ يسمّي أمّ الرأس، لأنّه مجمع الحواس والمنافع.

وقيل: الأمّ في كلام العرب راية ينصبها للعسكر يرجعون إليها ويفرغون إلى مكانها وقت الحاجة، فسمّيت الفاتحة بذلك لأنّ مفرغ أهل الإيمان ومرجع أهل القرآن إليها كمفرغ العسكر إلى الراية.

وقيل: سمّيت بـ: أمّ الكتاب لأنّ الأمّ أصل الشيء وأمّ الكتاب في الحقيقة مصدر حقايق كلّ دين وكتاب ومنشاء دقائق كلّ حكم وخطاب، وقيل: أمّ الكتاب إسم للوح المحفوظ لأنّه أصل جميع كتب الله السّماويّة ومنشاء أعظم العلوم الإلهيّة لقوله تعالىٰ:

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فسمّيت بذلك لجامعيّتهاالكتب كلّها والحقايق والمعارف بأسرها، ولأنّها أنموزج ومختصر لما في اللوح المحفوظ إجمالاً وتفصيلاً، لقوله

تعالىٰ:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١].

(بيان المراد من أمّ الكتاب)

وأمّ الكتاب عند البعض لوح القضاء المعبّر عنه بالعقل الأوّل لإجمال الأشياء فيه أوّلاً، ثمّ في لوح المحفوظ على سبيل التفصيل ثانياً لالوح المحفوظ، واللوح المحفوظ - المعبّر عنه بالنّفس الكلّيّة - عبارة عندهم عن لوح القدر لتفصيل الأشياء فيه بعد الإجمال في العقل، وهذا أنسب وأليق، ولهذا جعل الحقّ تعالىٰ إسم الأوّل: أمّ الكتاب لقوله:

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

أي أصل كلّ الكتاب ومصدره ومنشأه، وإسم الثاني: الكتاب المبين لقوله:

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

لأنّه محلّ تبيين ما في أمّ الكتاب، وموضع تفصيله على الترتيب والتحقيق، ومن هذا سمّي العقل الأوّل بالقلم لقوله تعالىٰ:

﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤].

والنّفس الكليّة باللّوح لقابليّتها كلّ ما بسط (يبسط) عليها بالقلم ويفيض عليها منه بطريق الفيضان، وإليه أشار النّبيّ ﷺ:

«أوّل ما خلق الله تعالىٰ القلم ثمّ قال: اكتب فكتب كلّ ما هو كائن إلى يوم القيامة».(٢٩)

---

(٢٩) قوله: أوّل ما خلق الله تعالىٰ القلم ﷺ.

والمراد بالكتابة ثبوت الشيء من العقل في النّفس على سبيل التفصيل المشار إليه ويثبت وعنده أمّ الكتاب وإلى هذا الثبات أشار بقوله:

«جفّ القلم بما هو كائن»(٣٠)

وفي القرآن:

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

إشارة إلى هذا الوضع وهذا الترتيب، لأنّ القلم إشارة إلىٰ العقل الأوّل الّذي هو بمثابة القلم لإفاضة العلوم، والنون إلى النفس الكليّة لقابليّتها تلك العلوم، الّتي هي بمثابة الدّوات بعد أن كانت بمثابة اللّوح لأنّها بالنّسبة إلى إفاضة العقل كاللّوح تارة، وبالنّسبة إلى غيره كالدّوات أخرىٰ، الّتي تأخذ

⊃ رواه القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٩٨ في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ سبأ: ٣.

وقريب منه في كنز العمّال ج ٦ ص ٦٢٢، الحديث ٨-١٥١١٥. وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣١٨، التعليق ٧٥، وج ٢ ص ١٢٢ التعليق ٥٤ وص ٢٣٩، التعليق ٩٧، قد مرّت الإشارة إلى مصادر الحديث فيهما تفصيلاً.

(٣٠) قوله: جفّ القلم.

روى القمي في تفسيره، ج ٢ ص ٢١٠ صورة فاطر آية ٤٥ باسناده عن رسول الله ﷺ قال:

«**سبق العلم، وجفّ القلم، ومضى القضاء، وتمّ القدر**» الحديث.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٢٣٩ التعليق ٩٧، فيه تفصيل حول مصادر الحديث.

وراجع «موسوعة الأحاديث القدسيّة» ج ١ باب أوّل خلق الله ص ٧٢-٦٦.

العقل، (...) ﴿وما يسطرون﴾ إشارة إلى ما يسطرون الكتابة الإلٰهيّة بـهذه الذّوات، والقلم إلى ظهور يوم القيامة المشار إليها بيوم رجوع الظّاهر إلى الباطن، والكثرة إلى الوحدة كما سيجيء بيانه في موضعه، وقد عبّر عن هٰذين الكتابين أي «أمّ الكتاب» و«الكتاب المبين» كمال الدّين عبد الرزّاق[٣١] بـالجفر والجـامعة، ونسب «أمّ الكـتاب» إلى العـقل الأوّل، و«الكتاب المبين» إلى النّفس الكلّيّة لثبوت الأشياء فـي الأوّل إجـمالاً، وفي الثّاني تفصيلاً وهو قوله في أوّل البقرة:

(المراد من الجفر والجامعة)

﴿ألم﴾ هـو ذلك الكـتاب المـوعود (فـمعني الآيـة: ألم ذلك الكـتاب

---

(٣١) قوله: كمال الدين عبد الرّزاق.

ذكره في «تأويلات القرآن الكريم» ج ١ ص ١٤، وقد طبع هذا التأويل باسم التفسير منسوباً إلى محيي الدّين ابن العربي سهواً وهو كمال الدين عبد الرّزاق بن جمال الدين ابو الغنائم القاساني أو الكاشاني، المتوفّى على ما قيل: ٧٣٥ ه.ق.

وله تأليفات عديدة قيّمة منها:

١ ـ تأويلات القرآن الكريم.

٢ ـ شرح فصوص الحكم لابن العربي.

٣ ـ شرح منازل السائرين للأنصاري.

٤ ـ اصطلاحات الصّوفية.

وغيرها.

من تلاميذه داود بن محمود بن محمّد بن الرّومي القيصري شارح فصوص الحكم.

الموعود) أي صورة الكلّ المؤمى إليها بكتاب الجفر والجامعة المشتمل على كلّ شيء، الموعود بأنّه يكون مع المهدي (عليه السلام) في آخر الزّمان لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلاّ هو.

والجفر: لوح القضاء الّذي هو عقل الكلّ، والجامعة: لوح القدر الّذي هو نفس الكلّ، فمعني كتاب الجفر والجامعة على هذا هو الكتاب الّذي في الجفر والجامعة المحتويان على كلّ ما كان ويكون». هذا في تأويله.

وأمّا في رسالة «القضاء والقدر» قال: «القضاء الإلّهي عبارة عن ثبوت صور جميع الأشياء في العالم العقل على الوجه الكلّي، والقدر عبارة عن حصول صور الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما في الموادّ الخارجيّة مستندة إلى أسبابها واجبة لها (بها) لازمة لأوقاتها ويشملها العناية الأولىٰ شمول القضاء للقدر لما في الواقع فهي عبارة عن إحاطة علم الله تعالىٰ بالكلّ على ما هو إحاطة كلّيّة ثابتة ولا محلّ لها، أو ليس علم الله تعالىٰ المستأثر لذاته إلاّ حضور ذاته لذاته بوحدته الذاتيّة ولما بحضرته من التّعيّنات اللازمة لذاته أزلاً وابداً.»

وههنا أبحاث، والمراد أنّ نسبة «أمّ الكتاب» بالعقل الأوّل أنسب من اللوح المحفوظ وأنّه ما سمّى الفاتحة بأم الكتاب إلاّ لمطابقتها «الأمّ الكتاب» الّذي هو العقل الأوّل بالإشتمال على العلوم الكلّيّة الإلهيّة إجمالاً كالعقل الأوّل مثلاً، وبناء على هذا يقع العقل الأوّل في الوجود كالفاتحة، والنّفس الكلّيّة كباقي القرآن، حيث إنّها منسوبة إلى ثبوت الأشياء فيهما (فيها) تفصيلاً، وأيضاً تقع الفاتحة بالنّسبة إلى القرآن كالعقل الأوّل ولوح القضاء، والقرآن بالنّسبة إليه كالنفس الكلّيّة ولوح القدر، لتفصيل القرآن وإجمالها.

ونعم التطبيق هذا في هذه الصورة ولو لا خوف الملالة طابقناه بالأنفس أحسن التطبيق، لكن سنفعل هذا في موضعه إن شاء الله، فافهم فإنّه دقيق ومع دقّته لطيف إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

(تسمية سورة الحمد بالفاتحة)

وأمّا الفاتحة، فقيل سمّيت فاتحة لمعنيين:

أحدهما أنّ الله تعالىٰ ضمّن فيها مراتب الرّبوبيّة، ومراتب العبوديّة، ومراتب الأمور الدّنيوية، ومراتب الأمور الأخرويّة الّتي هي فواتح أمور العالم وخواتيمها، لأنّ هذه المراتب الأربعة شاملة لجميع المراتب الوجوديّة.

والثّاني أنّ الله تعالىٰ بها فتح أبواب خزائن الحقايق والمعارف الّتي ما فتح قبلها لأحد على حبيبه ونبيّه عليه السلام لقوله:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

ولقوله:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وقيل: سمّيت بذلك لأنّه تعالىٰ بها إفتتح القرآن وكذلك كلّ كتاب إلٰهيّ، فإنّ كلّ كتاب إمّا يفتتح بالحمد أو بآية منها وهي البسملة.

وقيل: لأنّها أوّل سورة نزلت من السّماء، وافتتحت بها القرآن.

وعندي أنّها حيث كانت من الكتاب القران الجمعي بمثابة حقيقة الإنسان في الكتاب الكبير الآفاقي التفصيلي سمّيت بالفاتحة، لأنّ إفتتاح ذلك الكتاب كان بحقيقة الإنسان الحقيقي، لقوله عليه السلام فيه:

«أوّل ما خلق الله تعالىٰ نوري».[٣٢]

كما أنّ إفتتاح الكتاب القرآني كان بالفاتحة، ومن هذا صارت الفاتحة مذكورة برأسها بين السّور، فإنّ لها شأن وقصّة ليس لغيرها في القرآن، كالإنسان فإنّه أيضاً مذكور برأسه بين العوالم كلّها وله شأن وقصّة دون غيره من الموجودات، وقد أشرنا إلى هذا وإلى أكثر من هذا في المقدّمات في المجلّد الأوّل.

(في معني ليلة القدر وبيان السبع المثاني)

وأمّا السبع المثاني فقيل فيه وجوه:

الأولىٰ منها، أنّها نزلت بمكّة مرّة، والأخرىٰ بالمدينة ولهذا يقال أنّها مكيّة مدنيّة، ومنها أنّها نزلت أوّلاً على محمّد ﷺ ليلة القدر إجمالاً حالة

(٣٢) قوله: أوّل ما خلق الله تعالىٰ نوري.

روى المجلسي في بحار الأنوار عن «رياض الجنان» لفضل الله بن محمود الفارسي، بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال:

«أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتّى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور عليّ عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور عليّ محيطاً بالقدرة،... إلى أن قال: ونحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن السابقون» الحديث.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٣١٥ التعليق ٧٣ وص ٥١٠ التعليق ١٥٩، ص ٥٤٨ التعليق ١٦٧ ع وأيضاً ج ٣ ص ٢٥ التعليق ١١، وراجع أيضاً «أنوار الحقيقة وأطوار الطّريقة وأسرار الشريعة» ص ٣٢ التعليق ١٨.

المعراج، ثمّ في مكّة تفصيلاً حالة الرّسالة.

وليلة القدر عند البعض عبارة عن ليلة المعراج وعند البعض عن ليلة حصل له الإطلاع على ما في اللوح المحفوظ من العلوم والحقايق والأسرار والدقايق الّتي من جملتها القرآن لقوله تعالىٰ:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١].

وعند البعض عبارة عن ليلةٍ تعيين الماهيّات والحقايق والذّوات في الحضرة العلميّة المعبّر عنها بالعدم والليل والظلمة وغير ذلك لقول النّبيّ ﷺ:

«خلق الله الخلق في ظلمة ثمّ رشّ عليه من نوره».(٣٣)

لأنّ الظلمة هٰهنا بمعني العدم المعبّر عنها باليل في بعض الصّور، وفي البعض بالظلمة وغيره، والخلق إشارة إلى تعيين وجود الأشياء علما في تلك الحضراة لقوله:

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩].

«ورشّ النّور عليه»، عبارة عن ظهور الوجود العيني بعده أي بعد الوجود العلمي المعبّر عنه بالنّهار تارة وباليوم أخرىٰ لقوله:

---

(٣٣) قوله: خلق الله الخلق.

اخرج البيهقي في «السنن الكبرى» ج ٩ ص ٤ باسناده عن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ الله خلق خلقه في ظلمة ثمّ القىٰ عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النّور يومئذ شيء اهتدىٰ ومن اخطأ ضلّ، فلذلك أقول جفّ القلم عن علم الله».

واخرجه أيضاً ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٨١، سورة النّور الآية ٣٥. وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٤٨٠ التعليق ٢٦٨ وص ٥٣٣.

«خلقت طينة آدم بيدي اربعين صباحاً».(٣٤)

والصباح إبتداء النهار والظهور في مبدأ (مبتداء) الوجود الخارجي العيني كما أنّ يوم القيامة عبارة عن إنتهاء الوجود العيني إلى العلمي بطريق العود والرجوع لقوله:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفس الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾

[الفجر: ٢٧ و٢٨].

وقيل: سئل الجنيد في زمانه: من الأين إلى الأين وما الحاصل في البين؟ قال: **«من العلم إلى العين والنّسبة الجامعة هي الحاصلة في البين».**

(في معنى ليلة القدر)

وهذا يعضده ما ورد في اصطلاح القوم في ليلة القدر وهو قولهم: ليلة القدر، ليلة يختصّ فيها السّالك بتجلّ خاصّ يعرف به قدره،

---

(٣٤) قوله: خلقت طينة آدم.

روى ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٩٨، وقال: وفي الحديث القدسي: **«خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً»**. وأخرجه أيضاً «عوارف المعارف» راجع «إحياء علوم الدين» ج ٥ ص ١٢١ آ الباب ٢٦.

وأخرجه الغزّالي في «إحياء علوم الدين» ج ٤ ص ٢٧٧، وقال العراقي في هامشه: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان فارسي.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٩٨، التعلق ١٠٣.

ورتبته بالنّسبة إلى محبوبه وهي وقت إبتداء وصول السّالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة.

والبحث في ليلة القدر كثير، وأسرارها غير قابلة للشّرح والبسط وستعرف أكثرها في موضعها إن شاء الله، وهذا البحث أيضاً ما له دخل في هذا المقام لكن الكلام يجرّ الكلام بما جرىٰ في الحكمة الوجوديّة من الملك العلاّم، هذا مضىٰ.

وأمّا أنّها مكّية مدنيّة فقد امتنع بعض المفسّرين هذه الرواية، وأفرد بنزولها بمكّة، ولفّق بعضهم بين هذين القولين وقال: أنّها مكّية مدنيّة نزل جبرئيل بها مرّتين: مرّة بمكّة ومرّة بمدينة حين حلها (جلّها) رسول الله ﷺ تعظيماً وتفضيلا لهذه السورة على ما سواها وبذلك سمّيت بمثاني.

والثانية من الوجوه أنّها سمّيت مثاني لأنّها تثنّىٰ في الصلوة.

والثالثة، أنّها استثنيت لهذه الأمّة لم تنزل على من قبلها.

والرابعة، أنّها سبعة آيات فنزلت مرّتين، مرّة بمكّة ومرّة بمدينة، وعلى الجملة يكفي في شرفها وفضيلتها أن بها إمتنّ الحقّ تعالىٰ علىٰ نبيّه ﷺ في قوله:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

كما إمتنّ عليه أيضاً بإعطائه الأخلاق لقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

دون غيرها من الفضائل والكمالات الحاصلة له من النّبوّة والرّسالة ما يتعلّق بهما من الحقايق والدّقايق والرّموز والإشارات الصادرة من معدن الولاية السابقة عليهما لأنّ الولاية دائماً مقدّمة على النّبوّة والرّسالة كما

قرّرناه في المقدّمات مفصّلاً.

وإذا تقرّر هذا وتبيّن بقدر هذا المقام فضيلتها وشرفها وعلّة تسميتها بأسماء معيّنة، فلنشرع في فضيلة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الّتي هي آية منها كما شرطناه أوّلاً، وبالله العصمة والتوفيق.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدّمة الثّالثة

في فضيلة «بسم الله الرحمن الرحيم»

إعلم، أنّ لهذه الآية الشريفة فضيلة جليلة وأوصاف شريفة مخصوصة بها دون غيرها إن لم نتمكّن من ذكر مجموعها لابدّ من ذكر بعضها وهي هذه:

فمن فضيلتها، أنّها جامعة لجميع ما في الفاتحة، كما أنّ الفاتحة جامعة لجميع ما في كتب الله السّماويّة وبل لجميع العلوم المنسوبة إلى الأوّلين والآخرين كما شهدت بها الآيات والأخبار السابقة على هذه الأبحاث.

ومن جملتها كما أنّها جامعة لجميع ما في الفاتحة والقرآن وكتب الله المنزلة السّماويّة، حرف منها جامعة لجميع ذلك كما سبقت ذكرها في الحديث النّبويّ على الترتيب، وتصديق ذلك وهو أنّه لو لم يكن كذلك لم يكن يقول نبيّاً صلى الله عليه وآله فيه:

«ظهرت الموجودات من باء «بسم الله الرحمن الرحيم»».(٣٥)

---

(٣٥) قوله: ظهرت الموجودات.

ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء «بسم الله الرحمن الرحيم».[٣٦]

ولم يكن يقول غيرهما من العارفين:

«بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود».[٣٧]

ومن هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر:

«أنا النقطة تحت الباء».[٣٨]

وقال:

«العلم نقطة كثّره الجهّال».[٣٩]

⬅ رواه مرسلاً عدّة من العلماء في كتبهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢١٠ التعليق ١٣.

(٣٦) قوله: والله لو شئت لأوقرت.

راجع التعليق ٢٧.

(٣٧) قوله: بالباء ظهر الوجود.

هذا من كلمات محيي الدين ابن العربي صاحب فتوحات المكّية، قاله في ج ١ ص ١٠٢.

(٣٨) قوله: أنا النقطة تحت الباء.

أخرجه البلخي في «ينابيع المودّة» ص ٨٢، وذكره السيّد المرعشي في ملحقات إحقاق الحقّ ج ٧ ص ٦٠٨، ورواه المجلسي مرسلاً في بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٦٥.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢١١ التعليق ١٤.

(٣٩) قوله: العلم نقطة كثّره الجهّال. ⬅

وكلّ ذلك قد سبق في المقدّمات وغيرها وسيجيء إن شاء الله.

ومن جملتها، ما روي عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنه قال: «إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى إسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها».(٤٠)

(الإسم الأعظم شامل لجميع ما في خزائن الله)

وذلك لأنّ الإسم الأعظم شامل لجميع ما في خزائن الله من العلوم والحقايق و«بسم الله الرحمن الرحيم» كذلك فيكون هي من إسم الله الأعظم.

ووجه الآخر وهو أنّ إسم الله الأعظم باتّفاق أكثر المحقّقين عبارة عن لفظة الله، لأنّ الله إسم الذّات المطلقة الجامعة لجميع الأسماء ومافيها من العلوم والأسرار، والله في «بسم الله» موجود مسطور ملفوظ، فيكون «بسم الله» أقرب إلى الإسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

وعند التحقيق كلّ إسم ذاتيّ له هذه الفضيلة بنفسه، لكن ليس كلّ إسم ذاتي كإسم الله لجامعيّته ومجموعيّته، وذلك لأنّه مطلق بلا إعتبار شيء

ء رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٢٩ الحديث ٢٢٣.

(٤٠) قوله: إنّ بسم الله الرحمن الرحيم أقرب.

رواه الصدوق في «عيون أخبار الرضا» ج ٢ ص ٥ الحديث ١١ مسنداً، وراواه أيضاً العيّاشي في تفسيره ج ١ ص ١٠٢ الحديث ١٣، و«تحف العقول» ص ٤٨٧، وابن طاووس في «مهج الدعوات» ص ٣١٧ مسنداً، والسبزواري في جامع الأخبار الفصل ٢٢ ص ١١٩ الحديث ١، وأخرجه السيوطي في «درّ المنثور» ج ١ ص٢٣ مسنداً.

معه، وغيره مقيّد بإعتبار شيء معه من النّسب كالحيّ والعزيز والقادر والمريد والمتكلّم وغير ذلك.

ومن جملتها، ما ورد عنهﷺ، أنّه قال:

«من أراد أن ينجيه الله من الزّبانيّة التسعة عشر فليقرء «بسم الله الرحمن الرحيم»، ليجعل الله تعالىٰ كلّ حرف منها جنّة من واحد منهم».(٤١)

والسّر في تسعة عشر أنّ مراتب العوالم الكلّيّة بحكم الحكمة الإلٰهيّة وضعت على هذه الأعداد، من العقل الأوّل، والنّفس الكلّيّة، والعرش، والكرسي، والأفلاك السبعة، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، والصورة الجامعة لجميع ذلك الموسومة بالإنسان، بحيث كلّ عالم منها وقع بإزاء حرف منها، وقد أشرنا إلى هذا في المقدّمات مجملاً ومفصّلاً في صورة الدائرة مقسّمة علىٰ تسع عشرة دائرة في وسطها كلّ دائرة مخصوصة بعالم من هذه العوالم، وسيجيء بعد هذا البحث عند تأويل بسم الله إن شاء الله مع سرّ أن الزّبانية لِمَ خصصت بتسع عشر دون غيرها، فإنّها مترتبة على ترتيب البروج الإثنى عشرة، والكواكب السبعة السّيارة وما يتعلّق بهما لأنّ التعلّق بها يوجب التّعلّق بالزّبانيّة التسعة عشر، لقوله تعالىٰ:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ

---

(٤١) قوله: من أراد ان ينجيه الله.

رواه السبزواري في جامع الأخبار الفصل ٢٢، ص ١١٩، الحديث ٣، وعنه بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٥٧ الحديث ٥٢، ومستدرك الوسائل ج ٤ ص ٣٨٧ الحديث ١٨.

واخرجه السيوطي في درّ المنثور ج ١ ص ٢٦، عن وكيع الثعلبي، عن ابن مسعود.

عَشَرَ﴾ [المدّثر: ٢٧].

وههنا نكتة شريفة، وهي أنّه تعالىٰ من كمال عدله ومحض شفقته، حيث إنّ العباد لا يعذّبهم إلاّ بأفعالهم، وأفعالهم الموجبة للدخول في النار غير خارجة عن هذا الحصر لإشتمال تعلّق الدّنياوي به، أخبرهم بذلك إي أعذّبكم في النار بما كسبتم بأنفسكم بتعلّقكم بهذه العوالم والأسباب المعبّرة عنها بتسعة عشر، ولهذا قال:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدّثر: ٣٨].

وقال:

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

ومن جملتها، أنّه ورد عن النّبيّ ﷺ أنّه قال:

«كلّ أمر ذى بال لم يبدأ فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» فهو أبتر».(٤٢)

فنقول حيث أمر الله تعالىٰ عبيده على لسان نبيّه أنّهم لا يبتدؤن بالأمور الجزئيّة إلاّ ببسم الله فهو أولىٰ بأن لا يبتدىء في الأمور الكلّيّة إلاّ ببسم الله.

فتلك الأمور: أوّلها كانت إيجاد العالم فابتدأ به بموجود هو في صدد

---

(٤٢) قوله: كلّ أمر ذى بال.

روى «وسائل الشيعة» ج ٧، الباب ١٨ من أبواب الذكر ص ١٧٠ الحديث ٤، عن العسكري عليه السلام في تفسيره المنسوب إليه، عن آبائه عن عليّ عليهم السلام، عن النّبيّ ﷺ قال:

«كلّ أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر»

ورواه بحار الأنوار أيضاً عنه ج ٩٢ ص ٢٤٢ الحديث ٤٨، وج ٧٦ ص ٣٠٥ الحديث ٦.

«بسم الله الرحمن الرحيم» في الكتاب الكبير الآفاقي.

وثانيها إنزال القرآن فابتدأ به حتّى يكون الكتاب القرآني مطابقا للكتاب الآفاقي في جميع الصّور كما سبق ذكره غير مرّة، فحينئذ كما أنّ الموجود الأوّل صار جامعاً لجميع ما في العالم من الموجودات والمخلوقات صورة ومعنىً يكون بسم الله كذٰلك جامعاً لجميع ما في القرآن والكتب الإلٰهيّة صورة ومعنىً ونعم الفضيلة هذه، ونعم الشّرف الحاصل بواسطها رزقنا الله الإطّلاع على بعض معانيها وحقايقها بلطفه وكرمه.

هذا ذكر بعض فضائلها وشرفها وبعض الأسرار المودعة تحت كلماتها وألفاظها، وستعرف أكثر من هذا في الأبحاث الآتية إن شاء الله، والله ثمّ والله لوكان الإنس والجنّ كتّاباً، والأفلاك والأجرام أوراقاً، والأشجار والنبات أقلاماً، والبحور والمياه مداداً لايمكنهم الإخراج عن بعض بعض فضائلها وأسرارها، وإليها الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وحيث فرغنا من فضيلتها وشرفها وفضيلة الفاتحة والقرآن على سبيل الإيجاز والإختصار، فالشروع في التفسير والتأويل على الوجه الّذي تقرّر أولىٰ وأوجب وهو هذا:

سورة الفاتحة

سبع آيات، كلماتها خمس وعشرون كلمة، حروفها مأة وثلاثة واربعون حرفاً، نزلت بمكّة مرّة وبالمدينة أخرىٰ.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة].

إعلم أيّها الطالب فتح الله عين بصيرتك بنور الهداية القرآنيّة ورزقك الوصول إلى الحضرة القدسيّة الرّبانيّة، أنّ لهذه السّورة الكريمة تفسير وتأويل كما قرّرناه، فالأوّل يجب الشروع في تفسيرها آية فآية، وكلمة فكلمة، وحرفاً فحرفاً، ثمّ في تأويلها كذلك، وأعظم آياتها بل أقدمها وأسبقها آية: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم﴾.

فنشرع فيها أوّلاً ثمّ نرجع إلى غيرها، فإنّ فيها أبحاث كثيرة، وأسرار جليلة.

فنقول: إعلم أنّه ومع الخلاف بين المفسّرين والعلماء والصّحابة

والتّابعين، علىٰ أنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، آية من الفاتحة أم لا، أو آية من القرآن أم لا؟ فذهب أكثر العلماء والمفسّرين علىٰ أنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية من الفاتحة ومن كلّ سورة، وإليه ذهب علماء آل محمّد من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وإليه ذهب عبدالله بن عبّاس وعطاء وسعيد بن جبير، وأهل الكوفة، وروي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال:

«من ترك «بسم الله الرحمن الرحيم» فقد ترك مأة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالىٰ».

وعن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، إنّه سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿سبعاً من المثاني﴾، فقال:

«هي سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها «بسم الله الرحمن الرحيم»».(٤٣)

وإتّفق علماء الإماميّة علىٰ أنّها آية من سورة الحمد ومن كلّ سورة، وأنّ مَن تركها في الصّلاة بطلت صلاته سواء كانت الصّلاة فرضاً أو نفلاً، وأنّه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقرائة، ويستحبّ الجهر بها فيما يخافت فيه بالقرائة.

وقال أبو حنيفة: «ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها بل هي للتبرّك والتيمّن والفصل بين السّور».

وقال الشافعي: «أنّها آية تامّة من الفاتحة وبعض آية من غيرها».

---

(٤٣) قوله: إنه سئل عن قوله: سبعاً من المثاني.

رواه العيّاشي في تفسيره ج ١ ص ٩٩ الحديث ٣٠، وعنه بحار الأنوار ج ٨٥ ص ٢٠، الحديث ١٠.

أمّا الإسم وتقديمه، فالإسم سمو، لأنّ جمعه أسماء، وتصغيره سُمَّي، والكلام فيه على ثلاثة أوجه:

أوّلها، في ماهيّة الإسم، وثانيها في إشتقاقه، وثالثها في تقديمه.

أمّا ماهيّة الإسم، ففيها اختلف العلماء، فقال بعضهم: الإسم هو عين المسمّى وهو غير التّسمية، وقال بعضهم: أنّه عين التسمية وغير المسمّى، واختار الغزّالي: «أنّ الإسم والمسمّى والتسمية أمور ثلاثة متباينة»، وهذا أقرب إلى الصّواب، ولكن قال: «الإسم يكون نفس المسمّى بإعتبار مناسب، ولا يكون نفس المسمّى باعتبار أخر»، أعني لو قلنا: بأنّ الإسم لفظ دالّ علىٰ شيء بالوضع، والمفهوم من المسمّىٰ ذلك الشيء، فالإسم بهذا الإعتبار هو نفس المسمّى كقولك: زيد خرج، فزيد هو الإسم والمفهوم من المسمّى الّذي خرج هو زيد، وإن قلنا: الإسم هو حقيقة المسمّى وعينه كقولنا: النار إسمها عينها فليس بمعقول جدّاً فلايكون نفس المسمّى بهذا الإعتبار، أنّه لو كان إسم النار عين النار لاحترق اللسان عند التّلفّظ بإسم النار.

وأمّا إشتقاق الإسم، فقال البصريّون: أنّ الإسم مشتقّ من السُموّ، لأنّه يعلو المسمّى، فالإسم ما علا وظهر فصار علَماً للدلالة على ما تحته من المعني.

وقال الكوفيون: الإسم مشتقّ من الوسم، والسمة هي العلامة، ومن هذا قيل: الإسم سمة يوضع على الشيء يعرف به.

وقال المحقّقون: هو من الوسم وهو الكي.

والصحيح ما قال أهل البصرة لأنّه لو كان مشتقّ من الوسم لقيل في تصغيره: وُسيم كما قالوا: وُعيدة ووُصيلة في تصغير عدة وصلة، فلمّا قالوا

سُمَّى ظهر أنّه من السّم ولا من السِّمة.

وأمّا تقديم الإسم في «بسم الله» فله وجوه:

منها، ما قيل: إنّه للتبرّك والتيمّن.

ومنها، ما قيل: إنّ له الأسماء الحسنىٰ وبحسب كلّ إسم له صفة، فإطلاق الإسم المطلق شامل لكلّ إسم من الأسماء، والأسماء أصلها من الصّفات، وليس لله صفة إلاّ يدلّ عليها إسم، فعلى هذا وقع الإبتداء بما يدلّ على كلّ إسم وصفة.

وأمّا الباء في «بسم الله»، فقيل فيه وجوه:

منها، ما قيل إنّه يتعلّق بمحذوف تقديره: أبدأ يبسم الله، أو أبدأ بسم الله، وبيان ذلك، وهو أنّ هذه الباء لمّا كانت حرف جرّ تعلّقت بمحذوف، وذلك المحذوف المقدّر يجوز أن يقدّم عليها، ويجوز أن يؤخّر عنها، وعلى كلا التقديرين يجوز أن يكون ذلك إسماً، ويجور أن يكون فعلاً. مثال الفعل المتقدّم: أبدأ بإسم الله، ومثال الإسم المتقدّم: إبتدائي بسم الله، ومثال الفعل المؤخّر: بسم الله أبدأ في أمري، ومثال الإسم المؤخّر: بـبسم الله إبتداء كلامي.

وكلّ موضع يقدّر فيه الفعل يجوز أن يكون بمعني الماضي كقولك: بدأت بإسم الله، ويجوز أن يكون بمعنى الحال والإستقبال كقولك: أبدأ بسم الله، ولا شك إنّ أحسن الوجوه أن يكون إسم الله متقدّماً والمحذوف مؤخّراً أعني كما أنّ وجوده مقدّم على كلّ شيء يجب أن يكون إسمه كذلك، وقيل إنّها حرف إلصاق، وقيل إنّها حرف إستعانيّة، وقيل انّها حرف إضافة، والكلّ صحيح.

أمّا الإلصاق فنحو قولك: تمسّك بزيد، وذلك لأنّك ألصقت محلّ

قدرتك به وبما اتّصل به.

وأمّا الإستعانة، فنحو قولك: ضربتُ بالسيف وكتبت بالقلم، أى استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال.

امّا الإضافة، فمثل قولك: بزيد، لأنّك أضقت مرورك إلى زيد بالباء.

وإن قلت: الألف الّذي كان بعد الباء في «بسم الله» لِمَ سقط لمّا دخلت الباء الإسم وأيّة علّة أوجبت سقوطها؟.

قلنا: لأنّ الألف كان ألف وصل وهو ساقط في درج الكلام باتّفاق النحاة، وهذا إشارة من طريق الذوق: إنّ كلّ من يصل إلى الّذي هو في صدد الألف يجب أن يسقط عن درجة الإعتبار كما سقط الألف إذا وصل إلى إسم الله.

وإن قلت: إنّ الألف لمّا سقطت لِمَ سقطت في الكتابة بخلاف المواضع الأخر، فإنّه إذا سقطت لفظاً لا يسقط كتابة كقوله: ﴿إِقْرَاءْ بِاسْمِ رَبِّك﴾، وكقوله: ﴿سَبِّحْ إسْم رَبِّكَ﴾.

قلنا: فإنّ النحاة يعلّلون ذلك بكثرة الإستعمال، وكلّ ما يكثر استعماله يميلون إلى تخفيفه، ووجه المناسبة من حيث الذوق، وهو أنّه لمّا كانت ذات الباريء تعالىٰ محلفة (مختلفة) لساير الذوات لا يشبهها شيء بوجه من الوجوه فتربصوا في هذا الإسم المضاف إلى الله تعالىٰ بحذف الألف في الكتابة تصرفاً لا يوجد مثله في المواضع الأخر، فإنّه وإن سقط فيها في اللّفظ فقد بقي في الكتابة ليظهر الفرق بين الإسم المضاف إلى الله تعالىٰ، والإسم المضاف إلى غيره كقوله: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّك﴾، [العلق: ١] و: ﴿سَبِّحْ إسْم رَبِّكَ الأَعْلىٰ﴾ [الاعلى: ١].

وإن قلت: لِم طولت هذه الباء هٰهنا ولم يطول في المواضع الأخر. قلنا:

لمّا سقط ألف الوصل طولت الباء لتدلّ على الألف الساقطة بدليل أنّه لمّا كانت ألف الوصل باقية في قوله تعالىٰ: ﴿إِقْرَاءْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، لم يطول الباء، ونقل عن بعض السلف أنّه يقول: طوّلوا الباء وأظهروا السين، ودوّر الميم تعظيماً لإسم الله تعالىٰ، ومن طريق الذوق وهو أن حرف الباء لمّا كانت في الصورة منخفضة واتّصلت بإسم الله تعالىٰ علا شأنها وظهر برهانها، وهذا إشارة إلى أنّ القلب الّذي هو في صدد الباء في عالم الأنفس إذا اتّصل إلى حضرة الحقّ الّذي هو في صدد الألف في عالم الآفاق جعل له رفعة شأن وعلوّ مكان، وفيه قال على العموم:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن».(٤٤)

---

(٤٤) قوله: لايسعني أرضي. لا سمائي.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٧، والغزّالي في «إحياء علوم الدين» ج ٣ ص ١٥، وروى قريب منه العراقي في ديله، ورواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٣٩.

وروى المجلسي في البحار ج ٧٠ ص ٦٠ الحديث ٤٠، عن «نوادر» للرّاوندي باسناده عن الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ لله آنية في الأرض فأحبّها إلى الله ما صفا منها ورقّ وصلب، وهي القلوب».

وروى أيضاً ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ١ ص ٢٤٩ الحديث ٦ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ناجىٰ داود ربّه فقال: إلهى لكلّ مَلِك خزانة فأين خزانتك؟ فقال جلّ جلاله: «لي

⇐

(في بيان لفظ الجلالة)

وامّا لفظة الله، فقيل فيها وجوه: منها أن الله أصله إلاه (إله) فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا الله بقطع الهمزة، كما يقال يا إله، ومعناه أنّه الّذي يحق له العبادة، وإنّما حقّقت له العبادة لقدرته على أصول النعم، فهذا الإسم مختص بالمعبود بالحقّ لايطلق على غيره، وهو إسم غير صفة، لأنّك تصفه وفتقول: إله واحد، ولا تصف به فلا تقول شيء إله، وقال الخليل: وهو إسم علَم خاصّ لله لا إشتقاق فيه، وقال الباقون: أنّه مشتقّ، وفيه قولان: أحدهما أنّه مشتقّ من ألَه إلآهةً، أي عبد عبادة، ومعناه المعبود. الثاني أنّه من ألَه (ألِه) وهو الفزع إلى الشيء والإعتماد عليه، قال الشاعر:

أَلِهتُ إليها والركائب وُقف

ومعناه عند أهل الأصول ذات متّصف بكونه قادراً على أصول النعم، وههنا أبحاث كثيرة سيجيء بعضها عند التأويل له بعد هذا البحث.

⊃ خزانة أعظم من العرش، وأوسع من الكرسي، وأطيب من الجنّة، وأزين من الملكوت، أرضها المعرفة،سماؤها الإيمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبّة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرّحمة، وأشجارها الطاعة، وثمرها الحكمة، ولها أربعة أبواب: العلم، والحلم، والصبر، والرضا، ألا وهي القلب».

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢٥٦ التعليق ٣٨، وج ٢ ص ٥٥٣ التعليق ٣٥٤، وج ٤ ص ١١٤ التعليق ٧٠.

(عموميّة «الرحمن» و خصوصيّة «الرحيم»)

وأمّا «الرحمن الرحيم»، فهما إسمان مشتقّان من الرحمة، موضوعان للمبالغة في الرّحمة وهي النّعمة، وقد خصّص أهل الأصول فيهما تخصيصاً عرفياً، فقالوا: الرّحمن هو المنعم على عباده في الدنيا مؤمنهم وكافرهم عامّة، والرّحيم هو الرّئوف على المؤمنين في الآخرة خاصّة، ولهذا قالوا: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وقالوا أيضاً: رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة، وعن بعض التابعين قال: الرحمن بجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين خاصّة.

ووجه عموم الرّحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، وبرّهم وفاجرهم، هو إنشائه إيّاهم وخلقهم أحياء قادرين، ورزقه إيّاهم، وجه خصوص الرّحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق، وفي الآخرة من الجنّة والإكرام وغفران الذّنوب والآثام، وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

«الرّحمن إسم خاصّ بصفة عامّة، والرحيم إسم عام بصفة خاصّة».(٤٥)

وعن عكرمة قال:

«الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة»، وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرّسول صلى الله عليه وآله:

---

(٤٥) قوله: الرحمن إسم خاص بصفة العامّة.

رواه الكفعمي في «المصباح» أي كتاب «جنّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية» ص ٣١٧.

«إنّ لله ﷻ مائة رحمة وأنّه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه فيما يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة».(٤٦)

---

(٤٦) قوله: إنّ لله ﷻ مأة رحمة.

أخرج مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب التوبة باب ٤ في سعة رحمة الله ص ٢١٠٨ الحديث ٢٠، باسناده عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ لله مأة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم، وتسعة وتسعون اليوم القيامة».

وأخرج قريب منه أيضاً ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٣٣١ سورة الأنعام الآية ١٦٥، وأخرج ناصف في التّاج الجامع للأصول ج ٥ ص ١٥٦ كتاب الأذكار «خاتمة في سعة رحمة الله تعالىٰ» عن الشيخان والترمذي باسنادهم عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال:

«جعل الله الرحمة مأة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتّى ترفع الدابّة حافرها عن ولدها خشية عن تصيبة».

وعنه عن النّبيّ ﷺ قال:

«إنّ لله مأة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

ورواه رضي الدين ابن طاووس في «الطرائف» ج ٢ ص ٣٢٢، وأيضاً رواه العلاّمه الحلّي في «نهج الحق» ص ٣٧٤.

ورواه المجلسي عن الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ، في بحار الأنوار ج ٦ ص ٢١٩.

وروي: «أنّ الله قابض هذه إلى ملك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة».

جعلنا الله وإيّاكم من أهل رحمته الرّحمانيّة والرّحيميّة بمحمّد وآله الطّيّبين الطاهرين.

هذا آخر تفسيرها في طريق أهل الظاهر وأرباب العلم، وهذا ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ﴾، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

وأمّا تأويلها بطريق أهل الباطن وأرباب الكشف، فذلك يحتاج إلى بسط تامّ وبحث طويل، وأرجو من الله أن يوفّقنا فيه بفضله وكرمه، لأنّه المستعان وعليه التكلان، وما توفيقي إلاّ بالله وعليه توكلت وإليه أنيب.

تأويل

(تعريف التأويل وبيان الغاية منه)

يجب عليك أن تعرف أوّلاً أنّ التأويل على طريقتهم هو التوفيق والتطبيق بين الكتاب القرآن الجمعي وبين الكتاب الآفاق التفصيلي، كما أنّ طريقة أهل الظاهر هو التطبيق بين المتشابه والمحكم وردّ المتشابه إليه، وقد سبق تعريف هذين التأويلين في المقدّمة الأولىٰ مبسوطا،[٤٧] أمّا حيث إنّ ذلك كان في المجلّد الأوّل ونحن في المجلّد الثاني فلا يضرّنا أن نشير إلى بعض ذلك تنبيهاً للسامع وتعليماً للطّالب، فإنّ غرضنا إيصال

---

(٤٧) قوله في المقدمة الأولىٰ.

راجع تفسير المحيط الأعظم الجزء الأول، ص ٢٣٨ و ٢٤٠.

النفع إلى الغير بأيّ وجه يتّفق وبأيّ طريق يحصل، وإذا تقرّر هذا فنقول:

إعلم، أن العلّة الغائيّة عندهم من التأويل حصول مشاهدة الحقّ تعالىٰ في مظاهر آيات كتابه الآفاقي وكلماته وحروفه كما أشرنا إليها مراراً،أشار هو بنفسه في قوله:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ إلى آخره [فصّلت: ٥٣].

(في أنّ الرياضة تختصّ بالمحبّين)

فإنّ ذلك إشارة إلى مشاهدته في ضمن الآيات الآفاقيّة وكلماته وحروفه، وحيث إنّ القرآن صورة إجماله وتفصيله وما يحصل تلك المشاهدة إلاّ بمساعدته ومعاونته، يجب تأويله على الوجه المذكور ليحصل هذا الغرض منه، فيجب حينئذ على كلّ طالب سالك السعي والإجتهاد في تحصيل استعداد هذا التأويل واستحقاق هذا التطبيق ليحصل له بواسطته المشاهدة المذكورة، وقد مرّ أن حصول هذا الأمر إمّا أن يكون بطريق المحبوبيّة أو بطرق المحبّية. فإن كان الأوّل فذلك يحصل بلا طلب وتعب كما حصل لكثير من الأنبياء والأولياء وتابعيهم من الرّاسخين في العلم والثابتين على قدم التوحيد، وإن كان الثاني فذلك يحصل بالتوجّه إلى الله تعالىٰ حقّ التوجّه وبالتّقوىٰ حقّ الإتقاء مع مجاهدة ورياضة وشيخ ومرشد، كما حصل لكثير من العارفين الواصلين، وإلى الطائفتين أشار بقوله وقال:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ

اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإن قلت على سبيل الإعتراض: إنّك أشرت في المقدّمات وقلت: إنّ كلّ ما لا يكون له الإطّلاع التامّ على القرآن لا يجوز له التأويل، وخصصت هذا الأمر بالإمام الكامل الّذي يكون معصوماً ومنصوصاً من عند الله، فكيف يحصل لنا إستعداد التأويل وإستحقاقه، وما لنا على القرآن إطّلاع التامّ، ولا في العصمة قدم راسخ.

قلنا: هذا كلام موجّه إلاّ (أنّه) ما فهمت كلامنا على ما ينبغي، لأنّا قلنا: التأويل حقّ التأويل وظيفة الإمام والمعصوم وأمثالهم لا مطلق التأويل، والحال أنّ الله تعالىٰ خصّ التأويل بنفسه، وبالعلماء الرّاسخين، وهذا مطلق التأويل لا التأويل الحقيقي المخصوص بالنّبيّ والإمام والمعصوم عليهم السلام فتنبيهك وتعليمك يكون في طلب التأويل العام المطلق لقوله:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

وإن قلت: أنت أثبت أيضاً في المقدّمة الأولىٰ أنّ الرّاسخ في العلم لا يصدق إلاّ على الأئمّة المعصومين عليهم السلام وتابعيهم من أرباب التوحيد ونحن لسنا لا من المعصومين ولا من أرباب التوحيد فكيف يحصل لنا إستحقاق التأويل؟.

قلنا: نعم أنت إن اجتهدت وقمت بالأمر على ما ينبغي صرت من أرباب التوحيد والتابعين لهم على سبيل التحقيق، ويصدق ذلك الوقت عليك أنّك من الرّاسخين في العلم الإلٓهي لأنّ الرّسوخ في العلم ههنا الرّسوخ في العلم الإلٓهي المعبّر عنه باللّدنّي الحاصل بالجدّ والإجتهاد والرّياضة والتّقوىٰ للمحبّين الّذين وصولهم متأخّر عن السلوك لقوله تعالىٰ:

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنعام: ٢٨].

ولقوله:

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ولقوله:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥-٣].

وبغير الرّياضة والإجتهاد للمحبوبين الّذين وصولهم سابق على سلوكهم لقوله:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنّا عِلمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

ولقوله:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

وإذا عرفت هذا وتقرّر عندك أنّ التأويل بعد الأنبياء والأولياء والأئمّة عليهم السلام مخصوص بالرّاسخين من تابعيهم حقّ المتابعة، وأن التأويل هو التّطبيق بين الكتاب القرآني والكتاب الآفاقي إجمالاً وتفصيلاً، فاجعل ذهنك إلينا وانظر إلى التأويل لهذه الآية الّتي هي:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ليتحقّق عندك ان لله تعالىٰ عباداً أخفاهم عن نظر الأغيار ولهم هذا التصرّف وهذا المقام، وهذا بالنّسبة إليهم أسهل الأشياء وأيسر الأمور لقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثمّ إعلم أنّ هذه الآية الكريمة حيث شرعنا في تأويلها نريد أن نشرع في تأويل حرف حرف منها وكلمة كلمة لئلاّ يشكل عليك وعلى غيرك

شيء منها، من جملة أسرار الله تعالىٰ أنّ الأنبياء والرّسل عليهم السلام وضعوا الحروف على ترتيب الوجود الخارجي الإضافي الإمكاني، وجعلوا كلّ حرف منها بإزاء موجود من الموجودات واجباً كان أو ممكناً، مطلقاً كان أو مقيّداً بحيث جعلوا الألف الّذي هو أوّل الحروف بمثابة الواجب الحقّ تعالىٰ الّذي هو أوّل الوجود أو هو المراد بالوجود المطلق.

وجعلوا الباء الّذي هو ثاني الحروف بمثابة الممكن الّذي هو أوّل المقيّد بعد المطلق، وأوّل الموجود بعد الحقّ تعالىٰ، وكذلك إلى آخر الحروف وآخر العوالم.

وقد جعل الحقّ تعالىٰ هذه الآية جامعة لهذه العوالم الكلّيّة وجعل بإزاء كلّ عالم حرفاً منها، لأنّ الباء فيها بإزاء العقل الأوّل، والسّين بإزاء النّفس الكلّيّة المعبّر عنهما بالجبروت والملكوت، والميم بإزاء العرش، والألف الأوّل من الله بإزاء الكرسي المعبّر عنهما بالفلك التاسع والثامن، واللاّم الأوّل بفلك زحل، واللاّم الثاني بفلك المشتري، والهاء بفلك المرّيخ وكذلك إلى المعدن والنبات والحيوان والإنسان، كما سبقت الإشارة إليها قبل هذا.

وذلك لأنّ هذه المراتب تسعة عشر مرتبة، وحروف «بسم الله» تسعة عشر حرفاً فيكون التطبيق صحيحاً وهذا بحسب الكتابة، وأمّا بحسب اللفظ ففيه ثلاثة عوالم أخر إلٰهيّةفي ثلاثة مواضع، منها ألف «بسم الله»، وألف «الله»، وألف «الرحمن» الّتي هي بإزاء عالم الذّات وعالم الصّفات وعالم الأفعال، كما سنبيّنه مفصّلاً إن شاء الله. وإذا تحقّق هذا فنقول:

إعلم، إنّ هٰهنا أبحاث ستّة:

البحث الأوّل في الباء وتحقيقه.

البحث الثاني في النقطة الّتي تحته.

البحث الثالث في السّين والميم.

البحث الرّابع في الله وما يتعلّق به.

البحث الخامس في «الرحمن » و«الرحيم».

البحث السّادس في تطبيق حروفها بحروف العالم كلّها.





البحث الأوّل

في الباء وتحقيقه

إعلم أيّها الطالب جعلك (الله سبحانه) من المطّلعين على أسراره: أنّه ورد عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال:

«ظهرت الموجودات من باء «بسم الله الرحمن الرحيم»».[48]

وورد عن أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام إنّه قال:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء «بسم الله الرحمن الرحيم»».[49]

ونقل عن محيي الدين العربي قدّس الله سرّه أنّه قال:

---

(٤٨) قوله: ظهرت الموجودات.

راجع التعليق ٣٥.

(٤٩) قوله: والله لو شئت.

راجع التعليق ٢٧.

«بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميّز العابد والمعبود».(٥٠)

وورد عن أبو مدين أنّه كان يقول:

«ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الباء عليه مكتوبة».(٥١)

وورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول:

«أنا النقطة تحت الباء».(٥٢)

ويقول:

«العلم نقطة كثّرها الجهّال».(٥٣)

ونقل عن الشبلي قدّس الله سرّه أنّه كان يقول:

«أنا النقطة تحت الباء».

وإلى هذا أشار الشيخ الكامل ابن الفارض المصري قدّس الله سرّه في قصيدته التائية بقوله:

فلو كنت بي من نقطة الباء خفضةً رُفعت إلى ما لم تَـنَله بـحيلة(٥٤)

---

(٥٠) قوله: بالباء ظهر الوجود.

راجع التعليق ١ و٣٧.

(٥١) قوله: ما رأيت شيئاً.

ذكره الفرغاني أيضاً عن أبو مدين ص ١٤٦.

(٥٢) قوله: أنا النقطة.

راجع التعليق ١٠ و٣٨.

(٥٣) قوله: العلم نقطة.

راجع التعليق ٣٩.

(٥٤) قوله: فلو كنت بي (شعر).

وأمثال ذلك في هذا الباب كثيرة فاطلب من مظانّها.

(في معنى الباء)

وأمّا معناه فبإتّفاق المحققين من أرباب التّوحيد أنّه عبارة عن صورة الوجود الظّاهر المتعيّن المضاف كما أنّ الألف عبارة عن صورة الوجود الباطن العام المطلق وبسبب أنّ أوّل موجود أضيف إليه الوجود المطلق كان العقل الأوّل والرّوح الأعظم بمثابة الباء إلى الألف سمّاه الشرع بالتعيّن الأوّل والموجود الأوّل وجعله واسطة التكوين ورابطة تعلّق الوجود من الواجب إلى الممكن. والنقطة الواقعة تحت الباء عبارة عن صورة الممكن وتعيينها في العلم والعين وبسبب أنّها كانت علّة التمييز عن غيرها سمّاها الشّرع نقطة فكما أنّ الباء يتعيّن بها ويتميّز عن الألف فكذلك الوجود المضاف يتعيّن بذات الممكن ويتميّز عن الوجود المطلق.

والمراد بالألف عند التحقيق: الحضرة الأحديّة المطلقة الّتي هي عبارة عن إنتفاء تعدّدالأسماء والنسب والتّعيّنات عن الذّات بعد اعتبارها.

وبالباء: الحضرة الواحديّة الإمكانيّة الّتي هي عبارة عن الذّات مع إنتشاء الأسماء والصّفات وواحديّتها بها مع تكثّرها بالتعيّنات.

وبالنقطة: الحضرة الرّبوبيّة الّتي هي عبارة عن الذّات من حيث صدور الأفعال عنها وإيجاد المخلوقات من حضرتها عيناً لا علماً. لأنّ الوجود العلمي مخصوص بالحضرة الإلهيّة دون الحضرة الرّبوبيّة.

وبيان ذلك مفصّلاً وهو:

⊃ راجع ديوان ابن الفارض ص ٤١، ومشارق الدّراري ص ١٤٤.

(في بيان العماء)

أن تعرف أنّ جميع الإشارات المتقدّمة في الباء والحروف والمظاهر وغيرها كناية عن ظهور الحقّ بصورة الخلق في عالم العماء الّذي هو التعيّن الأوّل والمرتبة الثانية من الوجود لقوله صلى الله عليه وآله:

«خلق الله تعالىٰ آدم على صورته».(٥٥)

وعند البعض عن خفائه وكمونه في حضرة الذّات الّتي هي الحضرة الأحديّة لقوله عليه السلام:



(٥٥) قوله: خلق الله تعالىٰ آدم على صورته.

روى الصدوق في «التوحيد» باب «أنّه ليس بجسم» ص ١٠٣ الحديث ١٨ باسناده عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عمّا يروون: «أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته» فقال: **هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها الله (عزّ وجلّ) وإختارها على سائرالصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلىٰ نفسه، والرّوح إلى نفسه فقال: ﴿بيتي﴾**، البقرة: ٢٥، وقال:) **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوحِي﴾**، الحجر: ٢٩.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج١ ص ٢٤٤ التعليق ٣١ وج ٢ ص ٥٣ التعليق ٢١، فيهما بيان وتفصيل حول الحديث ومصادره.

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة باب ١١ ص ٢١٨٣ الحديث ٢٨، احمد بن حنبل في مسنده ج ١٣ ص ٥٠٣ الحديث ٨١٧١، والجزري في جامع الأصول ج ٤ ص ٣٠ الحديث ٢٠٠٥، وكنز العمّال ج ٦ ص ١٢٩ الحديث ١٥١٢٩.

وجاء أيضاً في التوراة، السفر الأول، التكوين، الخليفة ص ٢.

«كان الله ولم يكن معه شيء».(٥٦)

وسبب ذلك وهو أنّه ورد في الحديث النبويّ أنّه سئل عن مكان الرّبّ قبل وجود الخلق فقال:

«كان في عماء». الحديث(٥٧)

فإن نظرنا إلى اللغة ومعنى العماء الّذي هو الغيم الرقيق الحائل بين السّماء والأرض يكون المراد به: الحضرة الواحديّة والتّعيّن الأوّل الحائل بين أرض الكثرة الخلقيّة الإمكانيّة وسماء الأحديّة الذّاتيّة.

وإن نظرنا إلى الإصطلاح والسؤال من لسان الإعرابي، فيكون المراد

---

(٥٦) قوله: كان الله ولم يكن معه شيء.

رواه الصدوق في «التوحيد» ص ١٤٥ الحديث ١٢، وص ١٧٨، الحديث ١٢،اخرجه أيضاً احمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٤٣١.

وراجع المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٥٢ التعليق ٨٧ و٨٨ وج ٢ ص ٣٩ التعليق ١٦، فيهما مطالب مفيدة حول الحديث.

(٥٧) قوله: كان في عماء.

أخرج ابن ماجه في سننه، في المقدّمة الباب ١٣ الحديث ١٨٢، ص ٦٤، باسناده عن ابى رزين قال: قلت: يا رسول الله ﷺ! أين كان ربّنا قبل أن خلقه؟ قال: **«كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وما ثمّ خلق، عرشه على الماء».**

وأخرجه أيضاً ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ١١، ورواه أضاً ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١ ص ٥٤.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٣٧٥ التعليق ١٧٨ وص ٣٩ التعليق ١٦، فيهما بيان حول الحديث.

به: الحضرة الأحديّة الذّاتيّة، لأنّ المراد بالسئوال كان العلم بمكان خفائه قبل الظهور لقوله جلّ ذكره.

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».(٥٨)

لأنّ الحقّ قبل الظهور لم يكن إلاّ في الحضرة الأحديّة ومقام الإطلاق والوحدة، وليس المراد بالقبل والبعد هٰهنا القبليّة الزّمانيّة والبعديّة المكانيّة،

---

(٥٨) قوله: كنت كنزاً مخفيّاً.

رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٧ ص ١٩٩ وص ٣٤٥.

روى الصدوق في «العلل» ص ٩ الباب ٩، الحديث ١ باسناده عن الصادق عليه السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال:

«إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه».

وفي الخطبة الغرّاء للصديقة الكبري عليها السلام:

«إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها» إلى أن قالت: «من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها إلاّ تثبتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته».

وروي الصدوق أيضاً في «التوحيد» ص ١٢٨ الحديث ٨، باب القدرة، باسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالىٰ أحبّ أن يخلق خلقاً يعظّمون عظمته، ويكبّرون كبريائه، ويجلّون جلاله».

وراجع حول الحديث وبيان البعض الأحاديث المناسبة له تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٢٤ التعليق ٧٧ وص ٤٠٥ التعليق ١٠٥، وج ٢ ص ٣٥٦ التعليق ١٥٧، وج ٣ ص ١٠٨ التعليق ٦٠.

لأنّ مثل هذا لا يليق بجنابه ويقدح في قِدمه وإطلاقه، بل المراد بالتقدّم والتأخّر والقبل والبعد بالنّسبة إلى الظهور والبطون والأوّل والآخر، يكون التقدّم بالذّات لا غير، وهذا معلوم عند أهله وفيه أبحات وأسرار.

وامّا العماء من حيث الإصطلاح فقد أشار إليه كمال الدين عبدالرزّاق‌ﷺ في إصطلاحاته للصّوفيّة(٥٩)، وبيّن الفرق بين الحضرتين وهو قوله:

«العماء الحضرة الأحديّة عندنا لأنّه لا يعرفها أحد غيره فهو في حجاب الجلال».

وقيل: **«الحضرة الواحديّة الّتي هي منشاء الأسماء والصّفات، لأنّ العماء هو الغيم الرقيق، والغيم هو الحائل بين السّماء والأرض، وهذه الحضرت هي الحائلة بين سماء الأحديّة وبين أرض الكثرة الخلقيّة، ولا يساعده الحديث النّبوي لأنّه سئل‌ﷺ: أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال:**

«كان في عماء».

وهذه الحضرة تتعيّن بالتعيّن الأوّل لأنّها محلّ الكثرة وظهور الحقايق والنسب الأسمائيّة، وكلّ ما تعيّن فهو مخلوق فهي (فهو ظهر) العقل الأوّل، قال‌ﷺ:

«أوّل ما خلق الله العقل».(٦٠)

---

(٥٩) قوله: فقد أشار إليه كمال الدين.

قاله عبد الرزّاق الكاشاني في «إصطلاحات الصّوفية» ص ۱۳۱.

(٦٠) قوله: أوّل ما خلق الله العقل.

فإذاً لم يكن فيه قبل أن يخلق الخلق الأوّل بل بعده.

والدليل على ذلك أنّ القائل بهذا القول يسمّى هذه الحضرت: بحضرت الإمكان، وحضرت الجمع بين أحكام الوجوب والإمكان، والحقيقة الإنسانيّة، وكلّ ذلك من قبيل المخلوقات، ويعترف بأنّ الحقّ في هذه الحضرت متجلّي بصفات الخلق، فكلّ ذلك يقتضي (مقتض) أن يكون (ذلك) ليس قبل أن يخلق الله الخلق، الّلهم إلاّ أن يكون مراد السائل بالخلق: العالم الجسماني فيكون العماء الحضرت الإلهيّة المسمّاة بالبرزخ الجامع، ويقويه أنّه سئل عن مكان الرّب فإنّ الحضرت الإلٓهيّة منشاء الرّبوبيّة، وإذا تقرّر هذا وتحقّق.

واعلم أنّه قد سبق في المقدّمة الثالثة من المقدّمات[٦١]: أنّ العالم واقع على ترتيب الحروف وأنّ الألف بمثابة الذّات والباء بمثابة الموجود الأوّل، وبحكم التطبيق طابقنا كلّ حرف من الحروف بعالم من عوالم الكلّيّة مفصّلاً مجدولاً مرتّباً لكن لابدّ من بيان ذلك في هذا المقام مرّة أخرىٰ على طريق التفصيل ليعلم الغرض من الإشارات الواردة في هذا الباب، فنقول:

⊃ رواه الحرّ العاملي في «جواهر السنيّة» ص ٢٥٩ عن الكليني باسناده عن الصادق عليه السلام.
ورواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٩٩ الحديث ١٤١ وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ٧ ص ٣١٨ باسناده عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣١٧ التعليق ٧٥ وج ٢ ص ٣٨٠ التعليق ١٨٠.

(٦١) قوله: قد سبق في المقدّمة الثالثة.
راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٣٥١.

(الوجود واحد وهو الحقّ جلّ ذكره)

يجب عليك أن تعرف أنّ أصول جميع المحقّقين من أرباب التوحيد وقواعدهم مبنيّة على أنّ الوجود واحد وهو الحقّ تعالىٰ جلّ ذكره وليس لغيره وجوداً أصلاً من حيث الحقيقة كما قالوا: **«ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه ومنه وإليه».**

وقد أثبتوا هذا بالبراهين العقليّة والدلائل النقليّة بعد أن شاهدوه بعين البصيرة كشفاً وعياناً وذوقاً ووجداناً. ونظراً إلى تجرّده وتنزّهه وصرافة وحدته وتقدّسه وكمال إنفراده عن التعيّن والتقيّد سمّوه بالمطلق، ونظراً إلى تنزّله عن الحضرت الأحديّة وتقيّده بصور المظاهر المختلفة سمّوه بالمقيّد، وقالوا الإطلاق والتقييد أيضاً عبارتان دالّتان على وجوده بهذين الإعتبارين، وإلاّ الوجود من حيث هو وجود، أو الحقّ من هو حقّ منزّه عن جميع ذلك وعن الإطلاق والتقييد، والظهور والبطون، والإسم والرسم، والنعت والوصف وغير ذلك، كما قال قطبهم ورئيسهم مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبة:

«أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثنّاه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن قال فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال عَلامَ؟ فقد أخلىٰ منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا

بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة».

[نهج البلاغة: الخطبة ١].

(الحقّ سبحانه من حيثيّة لا يوصف بشيء ومن حيثيّة أخرىٰ يوصف بكلّ صفة كماليّة)

ومرادهم أنّه تعالىٰ من هذه الحيثيّة لا يوصف بشيء أصلاً ولكن من حيثيّة أخرىٰ يوصف بكلّ صفة وكلّ قيد لأنّه ليس في الوجود غيره، فقالوا في ظهوره بصور المظاهر: أنّ ظهوره بعينه كظهور الألف المجرّد بصور الحروف أعني تقيّده بصور المقيّدات الّتي هي مظاهره، وتنزّله من حضرت الإطلاق والبطون إلىٰ حضرت التعيّنات، والظهور في صور الأسماء والصّفات والأفعال والأكوان بعينه كتقيّد الألف المجرّد بصور الحروف المقيّدة الّتي هي مظاهره وتنزّله من حضرت الإطلاق إلى حضرت تعيّنات الحروف وتقيّداتها.

وبيانه: أنّ الألف كما أنّه إذا تعيّن بتعيّن وتقيّد بصورة من صور الحروف وتعيّناتها صار موسوماً بذلك الإسم بائاً كانت أو تائاً جيماً كان أو دالاً، وليس في الحقيقة في هذا قدح في ذاته ولانقص في إطلاقه.

فكذلك الحقّ تعالىٰ فإنّه إذا ظهر بصورة مظهر أو تقيّد بقيد صورة من مظاهر الموجودات والمخلوقات وصار موسوماً بأسمائهم عقلاً كان ذاك الموجود أو نفساً إنساناً أو ملكاً فإنّه ليس في الحقيقة من (في) هذا قدح في ذاته ولا نقص في إطلاقه، وذلك بالنّسبة إلى الحروف والألف وهو أنّه ليس في الحقيقة وجود إلاّ للألف، ووجود الحروف كلّها وجود إضافي إعتباري لا حقيقة له في الخارج لأنّ الألف من حيث تنزّله من الإطلاق

وإضافته إلى الغير إذا ظهر بصورة الباء أو التاء أو الحروف كلّها حصل له وجود بهذا الإعتبار وإلاّ في نفس الأمر ليس له وجود أصلاً، لأنّ وجوده إضافي نسبيّ معدوم موهوم لا حقيقة له، لأنّ الوجود الحقيقي للألف لا لغيره صورة كان أو معنىً.

أمّا الصورة فلأنّ الباء مثلاً ألف مع قيد كما أنّ المقيّد مطلق مع قيد، والجيم ألف مع قيد آخر، كما أنّ الخاصّ عامّ مع قيد الخصوص.

وبوجه آخر وهو أنّك إذا قلت باء أو قلت تاء وجدت الألف مع هذين الحرفين صورة، وكذلك بالنّسبة إلى كلّ الحروف، وفي الجيم والنون مثلاً فإنّ الياء والواو تقومان المقام الألف عند أرباب هذا الفنّ.

وأمّا المعني فلأنّ الألف صار باء بإنخفاضه من الإستعلاء، وإعوجاجه من الإستقامة، فإذا زال الإنخفاض وارتفع الإعوجاج صار ألفاً كما كان، وكذلك كلّ الحروف، ويعرف هذا في (من) صورة الألف إذا سويتها من الشمعة مثلاً وغيّرتها منها وجعلتها كلّ ساعة بوضع صورة أخرىٰ فإنّ ذات تلك الشمعة وحقيقتها لا تتغيّر بتغيّر هذه الصّور أصلاً وأبداً ويعرف هذا أيضاً من بحث المادّة والصورة وتغيّر الصورة كلّ ساعة مع بقاء المادة.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

(ليس الوجود حقيقة إلاّ للحق سبحانه وتعالىٰ)

وأمّا بالنّسبة إلى الخلق والحقّ وهو أنّه ليس في الحقيقة وجود إلاّ للحقّ كما مرّ، ووجود الخلق ليس إلاّ وجوداً إضافيّاً إعتباريّاً غير موجود في الخارج حقيقة لأنّ الحقّ تعالىٰ من حيث تنزّله من الإطلاق وتقيّده بالمظاهر إذا ظهر مثلاً بصورة عقل أو نفس أو غيرهما من الموجودات

مطلقاً حصل لتلك الموجودات وجودات إضافيّات نسبيّات معدومات عند التحقيق بحيث لو اسقطت عنها تلك الإضافات صارت معدومات مضمحلاّت وهذا معنىٰ قولهم:

«التوحيد إسقاط الإضافات»(٦٢)

وقولهم:

«ليس في الوجود سوى الله»

وقولهم:

«لا يعرف الله غير الله»

(معيّت الحق تعالىٰ مع الخلق)
و
(ليس للخلق وجود إلاّ بالإعتبار)

فعند التحقيق ليس للخلق والمظاهر وجود إلاّ بالإعتبار والإضافة، وكلّ ما يكون وجوده بالإضافة والإعتبار فهو يكون عند إسقاطهما عدماً صرفاً ولا شيئاً محضاً فلا يكون الوجود حقيقة إلاّ للحق تعالىٰ هذا هو المطلوب لكن له معيّة مع الخلق بذاته ووجوده، واحاطة بهم بنفسه وحقيقته لقوله تعالىٰ:

---

(٦٢) قوله: التوحيد إسقاط الإضافات.

قال محيي الدين ابن العربي في فتوحات المكيّة، الباب الثالث والسبعون، السؤال الرابع والستّون، ج ١٢ ص ٣٦٩:

«التوحيد لايضاف ولايضاف إليه»

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

ولقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤].

وهذا معنى قول السابق المنقول من الإمامﷺ:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة». [نهج البلاغه، الخطبة ١].

وهذه المعيّة أيضاً كمعيّة الألف مع الحروف أو كمعيّة المداد معها لأنّ معية الألف مع الحروف معيّة ذاتيّة وجوديّة حقيقيّة صورة كانت أو معنىً.

وكذلك معيّة الحقّ مع الموجودات صورة كانت أو معنى، فإنّه كذلك لأنّك إذا تحقّقت أنّ الوجود واحد وأنّه ليس في الخارج غيره عرفت أنّه هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وعرفت أنّ صورة العالم صورته ومعناه معه بحيث لو غاب عنها طرفة عين لم يبق لها أثر لا ذهناً ولا خارجاً وإن لم يكن هذا أصلاً، وهذا معنى قيّوميّة الله تعالىٰ للخلق كقوله:

﴿هُوَ الحَيُّ القَيُّوم﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهاهنا دقيقة وهي أنّه ليس في هذه المعيّة لأحد مزيّة على الآخر لأنّه كالمداد بالنّسبة إلى كلّ الحروف، لكن المزيّة بالمعيّة الإتصافيّة بصفاته والتخلّقيّة بأخلاقه وذلك أعزّ من الكبريت الأحمر والغراب الأبيض، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيم﴾ [فصلت: ٣٥].

وبيان ذلك مرّة أخرىٰ كما سيجيء في موضعه إن شاء الله وهو أنّ معيّة الحقّ مع الخلق خلاف معيّة الخلق مع الحقّ، لأنّ معيّة الحقّ مع الخلق بالوجود والذّات، ومعيّة الخلق مع الحقّ بالكمالات والصفات وبينهما بون بعيد ولهذا كلّ عبد يكون إتّصافه بصفات الحقّ أكثر يكون هو إلى الحقّ

أقرب ومعيّته إليه أكمل وفيه قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وهذا البحث ما له دخل في هذا المكان لأنّه بحث الوصول ونحن في بحث الظهور فنرجع ونقول:

لا شكّ أنّ الله تعالىٰ أخبر عن ظهوره بوجوه كثيرة، منها قوله:

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقوله:

«كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».(٦٣)

وكذلك الأنبياء والأولياء عليهم السلام في أقوالهم المشهورة منها:

«أنت الأوّل فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء».(٦٤)

---

(٦٣) قوله: كنت كنزاً مخفياً.

راجع التعليق ٥٨.

(٦٤) قوله: أنت الأول.

ورد في كثير من الأحاديث و الأدعية منها ما روىٰ الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ باب التحميد والتمجيد الحديث ٦ باسناده عن بعض أصحابه عن الصادق عليه السلام قال:

«كلّ دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر، انّما التحميد ثمّ الثناء»، قلت: ما أدري ما يجزي من التحميد و التمجيد؟ قال: يقول:

«اللّهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، وأنت العزيز الحكيم».

ومنها:

«لا يجنّه الظهور عن البطون ولا البطون عن الظهور، ظهر فبطن وبطن فعلىٰ ودان ولم يدن» [نهج البلاغة: الخطبة ١٩٥].

وكذلك العارفون في أقوالهم نثراً ونظماً، أمّا النّثر فكقولهم:

«العالم غيب لم يظهر قطّ والحقّ تعالىٰ ظاهر ما غاب قطّ».

والناس في هذه المسئلة على عكس الصّواب فيقولون: العالم ظاهر والحق تعالىٰ غيب فهم بهذا الإعتبار في مقتضى هذا التّنزّل كلّهم عبيد للسوى وقد عاف الله بعض عبيده عن هذا الداء والحمد لله.

وأمّا النظم فكقولهم:

ظهرت فلا تخفى على أحد إلاّ على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنتَ بما أظهرتَ محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا(مستترا)

وكقولهم:

هذا الوجود وإن تعدّد ظاهراً وحياتكم! ما فيه إلاّ أنتم
أنتم حقيقة كلّ موجودٍ بدا ووجود هذا الكاينات توهّم
في باطني من حبّكم ما لو بدا أفتى بسفك دمي الّذي لايعلم
نعّمتموني بالعذاب وحبّذا حبّ بأنواع العذاب تنعم

فهذا الظّهور لابدّ له من ترتيب، فترتيبه هذا الّذي نحن في صدد بيانه متمسّكاً بقول الله وقول أنبيائه وأوليائه والعارفين من أمّته، فبناء على هذا وبناء على أنّ ترتيب هذا الظّهور بعينه ترتيب ظهور الألف بصورة الحروف فكما لا يكون هناك حرف من الحروف إلاّ ويكون الألف معه صورة ومعنى، فكذلك لا يكون هناك موجود من الموجودات إلاّ ويكون الحقّ تعالىٰ معه صورة ومعنىً.

(العالم بمنزلة الإنسان الواحد)

أمّا في الصورة والمعنى وما اشتمل عليهما لأنّ العالم كلّه يجري مجرى إنسان واحد وكلّ ما فيه من الموجودات يقوم مقام أعضاء الإنسان الصغير وجوارحه وقواه الرّوحانيّة والجسمانيّة كما قيل:

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

وبهذا سمّي الأوّل بالإنسان الكبير والثاني بالإنسان الصغير لقولهم: «العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير»، لأنّ حكمها في الجميع واحد، والآيات والأخبار الدّالة على صحّة هذا المعنى أكثر من أن يحصى وقد عرفت بعضها وتسعرف البعض الآخر إن شاء الله.

وإذا تحقّق هذا فلنشرع أوّلاً في تفصيل العالم الكبير صورة ومعنىً بوجوه مختلفة في هذه القاعدة، ثمّ نرجع إلى تفصيل العالم الصغير وتطابقه كذلك كما شرطناه.

فنقول: إعلم أنّ أوّل ما خلق الله تعالىٰ من العالم الكبير من الرّوحانيّات والمجرّدات الرّوح الأعظم والعقل الأوّل المعبّر عنهما بالنور تارة وبالعلم أخرىٰ بحسب الإعتبارات والمراتب الكلّيّة لقول النّبيّ ﷺ في الأوّل:

«ما خلق الله خلقاً أعظم من الرّوح».

ولقوله في الثاني:

«أوّل ما خلق الله العقل».

وكذلك في النّور والعلم لقوله:

«أوّل ما خلق الله نوري».

و:

«أوّل ما خلق الله القلم».(٦٥)

ثمّ النّفس الكلّيّة الحقيقيّة المسمّاة بـالنّفس الواحـدة المـعبرّة عـنهما بـ«اللوح المحفوظ» تارة، وبـ«الكتاب المنير» أخرىٰ، بحسب إعتباراتـها ومدارجها في التنزّل، وقد يعبّر عن هذين الجوهرين والمظهرين العظيمين لله تعالىٰ بآدم الحقيقي وحواء المعنويّة، والصادر منهما من المـوجودات والمخلوقات الرّوحانيّة والجسمانيّة بذرّيتهما الصـوريّة والمـعنويّة، وإلى هذا الترتيب مجموعاً أشار الحقّ تعالىٰ وقال:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِـنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

لأنّ النّفس الواحدة إشارة إلى الرّوح الأعظم المعبّر عنه بآدم الحقيقي، والرّوح المخلوق منه النّفس الكلّيّة الصادرة منه المسمّاه بحوّا.

والرجال والنساء إشارة إلى الذكورة والأنوثة اللازمة للموجودات كلّها المسمّاه عند القوم بالنكاح السّارى في جميع الذّرارى المشار إليه في قوله تعالىٰ:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ثمّ مظهر الرّوح الأعظم من الجسمانيّات المـوسوم بالعـرش والفـلك الأعظم الّذي هو محلّ الأستواء والآثار لقوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

---

(٦٥) قوله: أوّل ما خلق الله العقل، نوري، القلم.

راجع التعليق ٢٩ و٣٢ و٦٠.

ثمّ مظهر النّفس الكلّيّة الموسوم بالكرسيّ، وفلك الثوابت الّذي هو محلّ الفيض والتّجليّات من حيث الإسم الرّحيم لقوله:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لأنّ «الله» بمثابة الحضرة الأحديّة، و«الرحمن» بمثابة الحضرة الواحديّة، و«الرحيم» بمثابة الحضرة الرّبوبيّة، ومحلّ آثار الذات والإسم الذات هذين المظهرين اللذين هما مظهران لمظهرين آخرين من الرّوح والنّفس كما سبق ذكره.

والتاسع والثامن عبارة عنهما عند أرباب الحكمة وأهل النجوم، ومن هذا ورد:

«ليس الكرسيّ في جنب العرش إلاّ كحلقة ملقاة في بيداء لا نهاية لها»

ونسبة الأفلاك السبعة نسبة تلك الحلقة إلى تلك الفلاة بالنّسبة إلى الكرسي، وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهاهنا أسرار وحقائق لا يعرفها إلاّ أهلها.

ثمّ أفلاك الفلكيّة، ثمّ أجسامها، ثمّ الأرواح الملكيّة، ثمّ عقولها، ثمّ الأرواح العنصريّة، ثمّ أجسامها، ثمّ الأرواح الحيوانيّة، ثمّ أجسامها، ثمّ الأرواح النباتيّة، ثمّ أجسامها، ثمّ الأرواح المعدنيّة، ثمّ أجسامها، وذلك كلّه بعد الهيولىٰ الكلّيّة المسمّاة بالجسم الكلّي والمادة الكلّيّة والقوى الطّبيعيّة السارية في الأجسام كلّها من العرش إلى الفرش، أي الأفلاك والأجرام والآثار العلويّة والسفليّة، والأرض وما عليها من الحيوان والمعدن والنبات

والإنسان والبحار والجبال والأشجار والأنهار وغير ذلك.

(العالم هو الصورة الإنسان الكبير)

وهذا المجموع عبارة عن صورة الإنسان الكبير ومعناه أعني عن ظاهره وباطنه وأعضائه وقواه المعبّرة عنها بالملائكة في الشرع، والرّوحانيّات عبارة عن باطنه وروحه، والجسمانيات عن ظاهره وجسمه.

وقد عبّر الشرع والقرآن عن هاتين الصورتين وهذين العالمين بالملك والملكوت، والغيب والشهادة، والأمر والخلق، كقوله تعالىٰ فيها بالنسبة إلى الملك:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

ولقوله في الملكوت:

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وكقوله في الغيب والشهادة:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢].

وكقوله في الأمر والخلق:

﴿أَلا لَهُ الخَلْق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤].

وذلك لأنّ كلّ ظاهر لابدّ له من مظهر، وكلّ روح لابدّ له من جسم، وكلّ معنى لابدّ له من صورة، ومن حيث إنّ كلّ ذلك مظاهر الله، والإنسان الكبير خليفته ووزيره وليس في الحقيقة إلاّ هو، قال:

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقال:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ

لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [فصّلت: ٥٤].

ومن هذا قيل: «أحد بالذات كلّ بالأسماء» وقيل: «ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه ومنه وله».

لأنّه ليس هناك في الحقيقة إلاّ هو وأسماؤه وصفاته المعبّرة عنها بالمظاهر والمجالي، وإليه أشار العارف بقوله:

ظهرت فلا تخفى على احد إلاّ على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجباً فكيف يعرف من بالعرف استترا؟(مستترا)

والذي ورد:

«خلق الله تعالىٰ آدم على صورته».(٦٦)

عند البعض إشارة إلى الإنسان الكبير المعبّر بآدم الحقيقي، وعند البعض اشارة إلى الإنسان الصغير المعبّر عنه بآدم أبوناﷺ وكلا الوجهين صحيح بحسب الإعتبار وإلاّ في الحقيقة ليس المراد إلاّ الإنسان الصغير من حيث إنّه هو المقصود بالذات من الكلّ، ومظهر تجليّات الذاتيّة دون الغير ومن هذا قال شيخ الإسلام أبو عبدالله الأنصاري رحمة الله عليه:

(العالم صورة أسمائه تعالىٰ وآدم صورة ذاته)

أراد الله تعالىٰ أن يظهر كمالاته في صورة أسمائه وصفاته فخلق العالم، وأراد أن يظهر ذاته ووجوده فخلق آدم وخلع عليه خِلَع جميع أسمائه وصفاته اللازمة لذاته ووجوده وقال:

---

(٦٦) قوله: خلق الله آدم.

راجع التعليق ٥٥.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

حتّى قال بعض عارفي عباده فيه:

سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثمّ بدا في خلقه (لخلقه) ظاهراً في صورة الآكل والشارب

وهاهنا أسرار لا يمكن إفشاؤها أكثر من ذلك، وتلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت.

سقوني وقالوا لا تغنّ ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنّت(٦٧)

والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل.

هذا وجه في تفصيل العالم الكبير موافق لأهل المعقول وأرباب الكشف.

وأمّا وجه آخر مخصوص لأهل الكشف خاصّة. وهو أنّه تعالىٰ نزل أوّلاً من الحضرة الأحديّة الذاتيّة، وظهر بصورة الحضرة الواحديّة الإلهيّة وما فيها من الحقائق العلميّة والعينيّة، ثمّ بصورها الخارجيّة المسمّاه بالحضرة الرّبوبيّة والمراتب الكونيّة، ثمّ بصورة العقل الأوّل والرّوح الأعظم المعبّر عنهما بأمّ الكتاب ولوح القضاء والقلم الأعلىٰ، ثمّ بصورة النّفس الكلّيّة المعبّر عنها باللوح المحفوظ ولوح القدر، ثمّ بصورة النفس المنطبعة الحيوانية الطبيعيّة السّارية في الأجسام كلّها المعبّرة عنها بلوح المحو والإثبات، ثمّ بصورة الهيولىٰ الكلّيّة المعبّر عنها بالكتاب المسطور، والرقّ المنشور، ثمّ بصورة الطبيعة الكلّيّة، ثمّ بصورة النّفس الناطقة

---

(٦٧) قوله: سقوني وقالوا، شعر.

راجع ديوان حلاّج ص ١٢٨ و١٣٣.

الإنسانيّة ثمّ الحيوانيّة، ثمّ النباتيّة، ثمّ المعدنيّة وعلى الجملة بصور جميع الموجودات و المخلوقات روحانيّة كانت أو جسمانيّة حتى البقّة والنملة، ثمّ بصورة الكليّة الإنسانيّة الجامعة للكلّ الّتي بها استحقّت الخلافة الإلهيّة في الملك والملكوت لقوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وهذان الوجهان المنقولان في رسالتنا المسمّاة بـرسالة الوجـود فـي الفهرست.

وإمّا بوجه آخر من مقالة القوم بعبارة أخرى وهو أنّهم قالوا:

لمّا كان الأثر يناسب المؤثّر فأوّل أثر صدر عن المؤثّر الحقيقي تعالى جدّه موجود خلقه على صورته، ذا أسماء وصفات، فجعله واسـطة بـين الوجود والعدم، ورابطة تعلق الحدوث بالقدم، وهو الرّوح الأعظم وخليفة الأكبر المذكور في قوله ﷺ:

«ما خلق الله خلقاً أعظم من الرّوح».(٦٨)

---

(٦٨) قوله: ما خلق الله خلقاً أعظم من روح.

أخرجه الفخر الرّازي في تفسيره ج ٢١ ص ٢٩، سورة الأسراء الآية ٨٥، وقال:

نقلوا عن علي بن أبي طالب ﷺ أنّه قال:

«هو (الرّوح) ملك له سبعون ألف وجه، لكلّ وجه سبعون ألف وجـه، لكـلّ وجـه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة يسبّح الله تعالىٰ بتلك اللغات كـلّها ويخلق الله من كلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة قالوا ولم يخلق الله تعالىٰ خلقاً أعظم من الرّوح غير العرش، ولو شاء (الله) أن يبتلع السّماوات السبع

⇐

وهو جوهر نوراني جوهريّته مظهر الذات المتجليّة في عالم الظـهور، ونورانيّتها مظهر علمها الأزلي، ويسمّى بإعتبار الجوهريّة النّفس الواحدة المذكورة في قوله تعالىٰ:

﴿خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ واحِدَة﴾ [النساء: ١].

وبإعتبار نورانيّته العقل المذكور في قوله عليه السلام:

«أوّل ما خلق الله العقل».(٦٩)

وله بإعتبار توسطه بين الحدوث والقدم جنبان، خلق من جنبه الأيسر النّفس الكلّيّة فانفصلت عنه إنفصال الجزء عن الكلّ مجازاً، ووقع بـينهما

⊃ والأرضين السبع ومن فيهنّ بلقمة واحة لفعل».

وروي عنه بحار الأنوار ج ٦١ ص ٥ ورواه أيضاً في ج ٥٩ ص ٢٢٢، بقوله: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام الحديث.

روى الكليني في الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٧٣ الحديث ٣، بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحِ مِنْ أمْرِ رَبّي﴾، قال:

«خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمّة، وهو من الملكوت».

وفي الحديث ٤ قال عليه السلام:

«خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضىٰ غير محمّد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمّة يُسدّدهم، وليس كلّ ما طُلِبَ وُجد».

(٦٩) قوله: أوّل ما خلق الله العقل.

راجع التعليق ٦٠.

التحنّن والتجاذب (تحنن وتجاذب) يلزم من ميل الجنس إلى الجنس كما وقع بين آدم وحوّاءعليهما السلام، فجرى القضاء الإلهي بإزدواجهما (بزواجهما) وظهور نتايجهما لذكورة الرّوح بما فيه من التأثير والفعل، وأنوثة النّفس بما فيها من التأثّر والإنفعال، وتولّد منهما الكائنات على الترتيب نتيجة بعد أخرى حتّى انتهى الأمر إلى آخر مولود وهو نوع الإنسان فظهر فيه لانطباق نهاية دائرة الوجود على بدايتها صورة الرّوح والنّفس الواقعيّتين في بداية الوجود وانضاف إلى الذكورة والأنوثة الحيوانيّتين فيه الذكورة والأنوثة الإنسانيّتان لظهور صورة الرّوح والنّفس فيه، واختصاص العقل به علامة ظهورهما فيه خاصّة، واوّل شخص من النوع ظهر فيه صورة الرّوح آدمعليه السلام، واوّل شخص ظهر فيه صورة النّفس حوّاءعليها السلام الّتي خلقت منه وتولّد من إزدواجهما (زواجهما) الذرّية على مثال تولّد الكاينات من الرّوح والنفس، ثمّ ظهر في كلّ شخص إنسانيّ صورة الرّوح والنفس، وجامعهما ﴿بَرْزَخٌ لاٰيَبْغِيان﴾ [الرحمن: ٢٠]، ومعانيها متقاربة ولذلك يستعار الفاظها بعضاً لبعض فيطلق الرّوح ويراد به النّفس تارة والقلب أخرىٰ وعلى العكس فيهما كما يطلق لفظ العقل يراد به الرّوح فيما ورد:

«اوّل ما خلق الله العقل».

وكما أنّ للروح نورانيّة هي العقل الأوّل فللنفس أيضاً نورانيّة هي العقل الثاني، والعقل الأوّل يهدى القلب إلى افق الرّوح وعالم القدس ويمنعه من الإنجذاب إلى النّفس والطبيعة، والعقل الثاني يجذبه إلى النفس والطبيعة وبلوغه على إنجذابه إلى الرّوح والحقّ، والعقل الأوّل ملك مقرّب وكّله الله بالدعوة إليه، والثاني ملك وكّله الله بالدعوة إلى عالم الصورة لتعميره فصار لبعده عن الحضرة ودعوته الإنسان إلى أكل شجرة الطبيعة

شيطاناً وهو لايزال يدعو الإنسان إلى الدنيا وعمارتها بمعاونة القوى الطّبيعيّة الّتي رفقاء النّفس، والطبيعة برزخ بين النّفس والجسم ورابطة التعلّق بينهما ولها وجه إلى النّفس صاف ينعكس فيه لصفائه صورة النّفس من الأسماء والصفات وهو الرّوح الحيواني المستمدّ منه ارواح الحيوانات، ووجه إلى الجسم كدر وهو الرّوح الطبيعي الّذي يستمد منه طباع الإجسام العلويّة والسفليّة، وواسطة بين الوجهين وهو الرّوح النباتي الّذي يستمدّ منه أرواح النباتات، وربّما يعبّر عن الرّوح الحيواني بالنّفس لأتّصالها بها وإنعكاس صورتها فيها،هذه النّفس هي الّتي ذمّها العلماء ونهوا عن متابعتها، وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«أعدئ عدّوك النّفس الّتي بين جنبيك».(٧٠)

(للرّوح أسماء)

وللروح أسماء بإعتبار أوصافه فسمّي قلماً لأنّه واسطة إخراج الكلمات الإلٰهيّة من عين الجمع وهو الذّوات الأزليّة إلى محلّ التفصيل وهو النّفس الكلّيّة كالقلم الّذي هو واسطة اخراج صور الكلمات من عين

---

(٧٠) قوله: اعدئ عدوك.

أُخرجه الغزّالي في «إحياء علوم الدين» ج ٣ ص ٤ قال العراقي في ذيله أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عبّاس.

ورواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١١٨ الحديث ١٨٧، ورواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٧٠ ص ٦٤ الحديث عن «عدّة الداعي» ورواه ورّام في «المجموعة» باب العتاب ص ٦٧.

الجمع والخفاء الّذي هو الدّواة إلى محلّ الظهور والتفصيل الّذي هو الرّوح فالنّفس الكلّيّة في قبول الصور المعلومات المفصّلة بمثابة اللوح، واللوح المحفوظ عبارة عنها.

وكما أنّ النّفس محلّ تفصيل حقائق المعلومات فالجسم محلّ تفصيل صورها، وفي كلّ نفس من النفوس الجزئيّة الإنسانيّة مكنون (مكتوب) بعض تلك الحقائق على قدر ما شاء الله أن يحيط ولا ينكشف لها شيء ممّا أحاطت به إلاّ عند تجرّدها عن الغواشي البشريّة، ولذلك ينكشف لها في النوم بعض المغيّبات، لأنّه نوع من التجرّد.

ومثابة العقل من الرّوح الأعظم في هذا المثال مثابة اللسان من القلم، إذ العقل لسان الرّوح وترجمانه، وسمّي الرّوح أيضاً نَفَس الرّحمن لأنّه تعالىٰ ينفخ منه في كلّ ذي روح، والنفخ لايكون إلاّ من النَفَس، وكما أنّ النّفس ريح يكون مظهر الحياة فالرّوح ريح طيّبة يكون مظهر الحياة، وكما أنّ النّفس مادة لصور الكلمات فالرّوح مادّة لصور كلمات الأرواح الفائضة على الأشخاص البشريّة في قوله تعالىٰ:

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

إشارة إلى هذا التناسب، وخصّ الرّوح بالنّطق لإختصاصه بصفة الكلام ونطق النّفس فرع نطقه لأنّها جزء منه، وإختصاص الرّوح بالكلام لأنّه من الأمر والأمر كلام يطلب الوجود فلذلك لا يتوجّه خطاب الشرع إلاّ عند ظهور العقل لأنّه دليل الظهور الرّوح والنّفس الإنسانيّة.

والغرض من نقل هذا الفصل كان هذا الكلام الأخير المتعلّق ببيان إخراج الكلمات الإلٰهيّة من القوّة إلى الفعل، ومن الإجمال إلى التفصيل وإن كان الكلّ عند التحقيق مقصود، وصاحب هذا الفصل ذكر هذا المعنى

بعبارة أخرىٰ في مقامه، وهي أحسن من هذا ومناسب بهذا المقام وهو قوله:

لما اقتضى حكم سلطنة الذات الأزليّة والصفات العليّة بسط المملكة الألوهيّة ونشر ولاية الرّبوبيّة بإظهار الخلائق وتسخيرها وإمضاء الأمور وتدبيرها وحفظ مراتب الوجود ورفع مناصب الشهود، وكان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيداً جدّاً لبعد المناسبة بين عزّة القدم وذلّة الحدث حكم الحكيم سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في التصرّف والولاية والحفظ والرعاية، وله وجه في القدم يستهد به من الحقّ تعالىٰ، ووجه في الحدث يمدّ به الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرّف وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته ومكّنه في مسند الخلافة بالقاء مقادير الأمور إليه وإحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته وتسخير الخلائق بحكمه وجبروته، وسمّاه إنساناً لإمكان وقوع الإنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسيّة وواسطة الإنسيّة، وجعل له بحكم إسميه الظاهر والباطن حقيقة باطنة وصورة ظاهرة ليتمكّن بهما من التصرّف في الملك والملكوت، فحقيقته الباطنيّة هي الرّوح الأعظم وهو الأمر الّذي يستحقّ به الإنسان الخلافة، والعقل االأوّل وزيره وترجمانه، والنّفس الكلّيّة خاذنه وقهرمانه، والطبيعة الكلّيّة عامله وهو رئيس العملة من القوى الطبيعيّة.

وأمّا صورته الظاهرة فصورة العالم من العرش إلى الفرش وما بينهما من البسايط والمركبات وهذا هو الإنسان الكبير المشير إليه قول المحقّقين: «العالم إنسان كبير»، وأمّا قولهم: «الإنسان عالم صغير» أرادوا به نوع البشر وهو خليفة لله في الأرض، والإنسان الكبير خليفة الله في

السماء والأرض، والإنسان الصغير نسخة منتخبة ونخبة منتخسة من الإنسان الكبير بمثابة الوالد من الولد.

فله أيضاً حقيقة باطنة وصورة ظاهرة. أمّا حقيقته الباطنة فالرّوح الجزئي المنفوخ فيه من الرّوح الأعظم والعقل الجزئي، والنّفس والطّبيعة الجزئيّتان.

وأمّا صورته الظّاهرة فنسخة منتخبة في صورة العالم فيها من كلّ جزء من أجزاء العالم لطيفها وكثيفها قسط ونصيب، فسبحانه من صانع جمع الكل في احد أجزائه، وقول القائل:

وما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[71]

صادق في حق الكلّ، وإن أراد به شخصاً معيّناً، وصورة كلّ شخص إنساني نتيجة صورة آدم وحوّاء عليهما السلام، ومعناه نتيجة الرّوح الأعظم والنّفس الكلّيّة.

والإنسان الكبير هو مظهر الحقّ المبين، والإنسان الصغير قد يصل إليه بفناء تعيّناته ومحو تقيّداته لقوله تعالىٰ:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[الرحمن: ٢٦ و٢٧].

هذا آخر الفصل الثاني.

والحقّ أنّ هذين الفصلين في غاية الحسن واللطافة ولا سيّما في المطابقة للآفاق والأنفس، والمطابقة للفصلين المتقدّمين من تقريرنا،

---

(٧١) قوله: وما على الله بمستنكر (شعر).

ذكره ابن عربي أيضاً في فتوحات المكيّة ج ٣ ص ٣٠٧.

والحال أنّه لم يكن الغرض من نقلهما إلاّ هذا.

وإذا تحقّق هذا وتقرّر التطابق بين العالمين في العلو إلى السفل على رأى الحكيم ورأى الموحّد، فلنشرع فيه بعكس ذلك أى من السفل ألى العلو أعني في ايجاد العالم ظاهراً وباطناً، وقد نطق به الشرع ورد به الأخبار يصدق ذلك كما سنبيّنها ان شاء الله وهو هذا:

تـذنـيـب

في ترتيب الموجودات وإيجادها من السفل إلى العلو

بعكس ما سبق مطابقاً لإيجاد العالم الصغير، فإنّه عند البعض وجد من السفل إلى العلو لقوله تعالىٰ:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

إعلم ان العالم الكبير كما سبق ذكره أنّه وجد من الفوق إلى التحت ووافق مذهب البعض، هذا كذلك ورد أنّه وجد من التحت إلى الفوق ووافق مذهب البعض الآخر هذا، وهذا مطابق للعالم الصغير فإنّه وإن كان عند البعض وجد من الفوق، لكن عند البعض الآخر وجد من التحت، وحيث فرغنا من الطريق الأوّل فلنشرع في الطريق الثاني متمسّكاً بالنقل ثمّ بالعقل ثمّ بالكشف فنقول:

إعلم أنّ أكثر المتكلّمين وأرباب الشرع ذهبوا إلى أنّ أوّل شيء خلق الله تعالىٰ كان جوهرة فنظر إليها فذابت حياء وصارت نصفها ماء ونصفها ناراً، فخلق من الماء السّماوات، ومن النار الأرضون، وتمسّكوا فيه لقوله تعالىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

لأنّ هذه الآية تشهد بصدق دعواهم، لأنّها تشهد بأن السّماوات والأرض في أوّل الأمر كانتا شيئاً واحداً كالهيولىٰ مثلاً ثمّ صارا إثنين متخالفين صورة ومعنىً، وعلى جميع التقادير يصدق عليهما أنّهما أجسام، والأجسام من السّفليّات لا العلويّات، فيكون أوّل الإيجاد من الأسفل إلى الأعلىٰ، وهذا هو المراد، ويشهد بذلك أيضاً قوله:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

لأنّ تسويته كانت من الجسمانيّات والأرضيّات كما سبق تقريرها وسيجيء إن شاء الله.

أمّا الآيات الدّالة على ذلك فكقوله تعالىٰ:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [فصّلت: ١٢-٩].

وهذا الكلام يفهم منه أنّه خلق في ثمانية أيّام، والتناقض في كلام الباريء محال فكيف وجه التطبيق بينهما؟

قلنا: قوله: ﴿قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾، تقديره أنّه خلق الأرض والأرزاق في أربعة أيّام، وأربعة أيّام تكون تتمّة لليومين المذكورين، وبيومين آخر يكون خلق السماوات، فيكون الكلّ ستّة أيّام ولا يلزم منه التناقض أصلاً.

هذا وجه السؤال فأمّا معنى الآية مطابقاً للبحث المذكور فقوله:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧].

معناه أنّه خلق العالم كلّه من الماء ولم يكن بين العرش والماء في ذلك الوقت حائلاً فيكون هو عليه بحكم عادة العرب فإنّهم إذا رأوا شيئاً فوق شيء وليس بينهما حائل يقولون هو عليه، وكذلك عرش القلب الإنساني فإنّه كان على الماء أى ماء النطفة حتّى فصّل منها وظهر بصورة القلب، وكذلك جميع الأعضاء والقوى والأركان والجوارح ليبلوكم أي ليمتحنكم أيّكم أحسن عمل قلبه في تدبّر هذه الآية وتفكّره في هذه الصنعة العظيمة الغريبة شأنها العجيبة أحوالها. لأنّ العمل القالبي ما له دخل في هذا المقام فلم يبق إلاّ العمل القلبي الّذي هو التدبّر والتفكّر في الحقيقة لقوله:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمّد: ٢٤].

ولقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

أمّا الأخبار الدّالة على صدق هذا، فالّذي جاء في السفر الأوّل من التوراة:

«إنّ مبداء الخلق جوهر خلقه الله تعالىٰ، ثمّ نظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت مائاً، فثار من الماء بخاراً كالدّخان، فخلق منه السّماوات، وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض، ثمّ أرساها بالجبال»، الخبر بتمامه. [السفر الأوّل، التكوين، ذكره أيضاً الفخر رازي في تفسيره ج ٦ ص ١٤٤)].

وحيث إنّ هذه الأخبار والآيات شواهد تارة بأنّ السّماوات خلقت من دخان، وتارة بأنّها خلقت من ماء، والأرض من زبد، وتارة من ماء وغير ذلك من العبارات.

وورد عن مولانا وسيّدنا محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام إنّه قال:

«لمّا أراد الله سبحانه وتعالىٰ أن يخلق السّماء أمر الرياح أن يضربن البحر حتّى أزبد، فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق الله تعالىٰ منه السماء».(٧٢)

---

(٧٢) قوله: لمّا أراد الله أن يخلق السماء.

نقله أيضاً الفيض الكاشاني في كتابه «علم اليقين» ج ١ ص ١٦٢.

قال الكيدري (من اعلام القرن السادس) في كتابه «حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة» ج ١ ص ١٣١:

ورد في الخبر «إنّ الله تعالىٰ لمّا أراد خلق السماء والأرض، خلق جوهراً أخضر، ثمّ ذوّبه فصار ماء مضطرباً، ثمّ أخرج منه بخاراً كالدّخان، فخلق منه السّماء كما قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فصّلت: ١١.

ثمّ فتق تلك السّماء فجعلها سبعاً، ثمّ جعل من ذلك الماء زبداً فخلق منه أرض مكّة،

◄ ثمّ بسط الأرض كلّها من تحت الكعبة ولذلك تسمّى مكّة أمّ القرىٰ لأنّها أصل جميع الأرض، ثمّ شقّ من تلك الأرض سبع أرضين». الخبر.

وعنه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٧ ص ٢٩ الحديث ٤.

وروى القمي في تفسيره ج ٢ ص ٦٩ (سورة الأنبياء) باسناده عن أبا عبدالله الصادق عليه‌السلام في قوله تعالىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾

قال: «كان عرشه على الماء والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، فقال الله تعالىٰ:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾

ثمّ مكث الربّ تبارك وتعالىٰ ما شاء.

فلمّا أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتّى أزبدتها، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء». الحديث.

عنه البحار ج ٥٧ ص ٧٢ الحديث ٤٧.

وفي تفسير منسوب إلى الإمام العسكري عليه‌السلام ص ١٤٢، قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في قوله عزّوجلّ:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ البقرة: ٢٢.

«إنّ الله عزّوجلّ لمّا خلق الماء فجعل عرشه عليه قبل أن يخلق السماوات والأرض ◄

فلابدّ من الجمع بين هذه الأقوال فنقول:

وجه الجمع بين الخبر والقرآن وهو: أنّ القرآن لا يريد بلفظ الدّخان حقيقته لأنّ ذلك انّما يكون عن النار، واتفق المفسّرون على أنّ هذا الدّخان لم يكن من نار بل عن تنفّس الماء وتبخّره بسبب تموّجه فهو إذن استعارة للبخار الصّاعد من الماء، وإذا كان كذلك فيكون الخبر مطابقاً للقرآن، وذلك أنّ الزبد أيضاً بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلاّ أنّه ما دامت الكثافة غالبة عليه فيبقىٰ على وجه الماء لم ينفصل

⊃ وذلك قوله عزّوجلّ:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هود: ٧.

يعني وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض، فأرسل الله الرياح على الماء فتفجّر الماء (فبخّر الماء) من أمواجه، فارتفع عنه الدخان وعلا فوق الزبد (فوقه الزبد) فخلق من دخانه السماوات السبع، فخلق (وخلق) من زبده الأرضين السبع».

وعنه البحار ج ٥٧ ص ٨٧ الحديث ٧٢.

واخرج السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ١ ص ١٠٦ في سورة البقرة الآية ٢٢ باسناده عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾

قال: «إنّ الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلمّا أراد أن يخلق أخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق الماء، فسما سماء، ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً».

وعنه البحار ج ٥٧ ص ٢٠٤ الحديث ١٥٢.

فإنّه يخصّ باسم الزبد، وما لطف وغلبت عليه الأجزاء الهوائيّة فانفصل خصّ باسم البخار، وإذا كان الزبد بخاراً، والبخار هو المراد بالدخان في القرآن، كان مقصد الخبر ومقصد القرآن واحداً، فكان البخار المنفصل هو الّذي تكوّنت عنه السّماوات، والّذي لم ينفصل هو الّذي تكوّنت منه الأرض وهو الزّبد، وكلّ هذا إيجاد من الأسفل إلى الأعلىٰ، وهذا هو المطلوب من هذا البحث.

وأمّا الوجه المشابهة بين الدخان والبخار الّذي صحّت لأجله استعارة لفظه له فهو أمران:

أحدهما حسّي وهو الصورة المشاهدة من الدّخان والبخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما في الحسّ العنصري (البصري).

الثاني معنوي وهو كون البخار أجزاء مائيّة خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أنّ الدّخان كذلك ولكن عن حرارة النار، فإنّ الدّخان أيضاً أجزاء مائيّة انفصلت من جرم محترق بسبب لطافتها عن حرّ النار، فكأنّ الإختلاف بينهما ليس إلاّ بالسّبب، فلذلك صحّ استعارة إسم أحدهما للآخرة، وبالله التوفيق.

وسيجيء هذا البحث مستوفىٰ في شرح خطبة مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بعد هذه الفصول.

وورد أيضاً عن كعب إنّه قال: «إنّ الله تعالىٰ خلق ياقوته حمراء[٧٣]

(٧٣) قوله: إنّ الله خلق ياقوته حمراء.

أخرجه البغوي في «معالم التنزيل» ج ٣ ص ١٩٣، في سورة هود الآية ٧، و أخرجه

(خضراء)، ثمّ نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد، ثمّ خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثمّ وضع العرش على الماء».

كما قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

والمراد بوضع العرش على الماء هو الّذي ذكرناه، أعني لم يكن بينهما حائل أو حاجز من الموجودات فيكون هو عليه، وذكر هذا المعنى البيضاوي في تفسيره، وكذلك غيره.(٧٤)

وهذا كلّه بحسب الظاهر.

(في معنى الماء وأقسامه)

وأمّا بحسب الباطن فلنا ولغيرنا فيه أسرار ولطائف:

منها أن تعرف أنّ الماء على قسمين: صوريّ ومعنويّ، أمّا الصوّري فله معنيان، الأوّل الّذي قلناه الآن، والثاني أنّ العرش الصّوري جسم فيكون من حملة الأجسام الّتي تكوّنت من الماء الّذي هو الجسم أيضاً، فيكون عليه كالصورة على الهيولىٰ، أو العرض على الجوهر، أعني قيامه به ووجوده، وهذا حسن لطيف جليّ ظاهر، وإليه الإشار بقوله تعالىٰ:

⊃ أيضاً النيسابوري في «تفسير غرائب القرآن» بهامش «جامع البيان» ج ١٢ ص ٨، و رواه المجلسي في «بحار الانوار» ج ٥٧ ص ٣٠٨.

و أخرجه الإمام الرّازي في تفسير «مفاتيح الغيب» ج ٥ ص ٥٧، سورة هود.

(٧٤) قوله: ذكر هذا المعنى البيضاوي.

راجع تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٢٥٣ سورة هود الآية ٧.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].
أي جعلنا من الماء كلّ شيء من الجسمانيّات موجوداً في الخارج.
وأمّا المعنوي، فله أيضاً معنيان:

(الماء بمعنى العلم)

الأوّل بمعنى أنّها يصدق على الرّوحانيّات: فالماء يكون بمعنى العلم، لأن في القرآن ورد كثير ذكر الماء بمعنى العلم، من جملتها:
﴿أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].
فإنّ أكثر المحقّقين أشاروا إلى هذا: بأنّ المراد منه العلم، فأنّ الكلّ عالم بقدره وليست حياته إلاّ به عقلا كان أو نفساً، أو فلكاً أو كوكباً أ وما دونها من المخلوقات والموجودات وفي تعبير الرؤيا ليس الماء يعبّرون إلاّ بالعلم، وقيل أيضاً: لو جمدت العلم لكان ماء.
والثاني، يعنى الجوهر الأوّل والعنصر الأعظم الّذي تكوّنت منه العرش والكرسيّ والسماوات والأرض، وما اشتمل عليهما من الموجودات، فإنّ العنصر أيضاً بمعنى الماء حقيقة بالنّسبة إلى الإنسان الكبير كالنطفة بالنّسبة إلى الإنسان الصغير فافهم.
ومع ذلك ينبغي أن تعرف أنّ للعرش مراتب وبحسب كلّ مرتبة له إسم، وقد ذكر مراتبه الشيخ في الفتوحات على أقصر العبارة، وهو قوله:

(في أقسام العرش والمراد منه)

«إعلم أنّ العرش خمسة، عرش الحياة وهو عرش المشيئة وهو مستوى الذات وهو عرش الهويّة.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

فأضافه إلى الهويّة،

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فهو العنصر الأعظم أعني فلك الحياة وهو إسم الأسماء ومقدّمها وبه كانت ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ من حيث هو حيّ، لا من حيث هو جوهر.

والعرش المجيد وهو العقل الأوّل، والعرش العظيم: النّفس الكلّيّة وهو اللوح المحفوظ، وتيلوه عرش الرحمانيّة وهو أوّل الأفلاك ويتلوه عرش الكريم وهو الكرسي».

وفي العرش وكونه على الماء وكون العالم مخلوقاً في ستّة أيّام وغير ذلك في قوله:

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧].

أبحاث كثيرة وأسرار جليلة سنشير إليها في مواضع من المقدّمات والتأويل إن شاء الله.

والغرض هنا إثبات إيجاد العالم من الأسفل إلى الأعلىٰ وقد ثبت بوجوه متعدّدة، ونثبت أيضاً، وقد إشار إلى بعض[٧٥] ذلك بعض العارفين وهو قوله في تأويل قوله تعالىٰ:

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

(٧٥) قوله: وقد إشار إلى بعض.

راجع تفسير القرآن لعبد الرزاق القاساني ج ١ ص ٥٥١ المطبوع باسم محيي الدين العربي سهواً.

الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

فقال: «أي خلق العالم الجسماني في ستّ جهات، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، أي عرشه الّذي هو العقل الأوّل مبتنياً على العلم الأوّل، مستنداً إليه، مقدّماً بالوجود على عالم الأجسام.

وإنّ أوّلنا الأيّام الستّة بمدّة الخفاء، وخلق السماوات والأرض بإختفائه تعالىٰ بتفاصيل الموجودات، فمعنى كون عرشه على الماء، كونه قبل بداية الإختفاء ظاهراً معلوماً للناس، كقولك: فعلته على علم، أي في حال كونه معلوماً لي، أو كوني عالماً به، أي علىٰ المعلوميّة. كما قال حارثة(٧٦) حين سأله رسول الله ﷺ:

كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: لكلّ حقّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: رأيت أهل الجنّة يتزاورون، ورأيت أهل النار يتعاوون، ورأيت عرش ربّي بارزاً، قال: أصبت فالزم.

وقد عبّر في الشرع عن المادّة الهيولائيّة بالماء في مواضع كثيرة، منها ما ورد في الحديث:

---

(٧٦) قوله: كما قال حارثة.

رواه الكليني في «الأصول من الكافي» ج ٢ ص ٥٣ الحديث ٢ و ٣، باب حقيقة الايمان واليقين، ورواه أيضاً البرقي في «المحاسن» باب اليقين والصبر في الدين، ص ٢٥٠ الحديث ٢٦٥، ورواه أيضاً الصدوق في «معاني الأخبار» باب معنى الإسلام والإيمان ص ١٨٧، الحديث ٥.

ورواه أيضاً الطبرسي في «مشكاة الأنوار» الفصل الثالث في اليقين ص ٤٦ الحديث ١٤.

«إنّ الله خلق أوّل ما خلق جوهرة، فنظر إليها بعين الجلال، فذابت حياء، فصارت نصفها ماء، ونصفها ناراً».(٧٧)

فإنّ أوّلناه بها فمعناه وكان عرشه قبل السماوات والأرض بالذّات (لا بالزمان)، مستعليا على المادّة فوقها بالرتبة».

وأمثال ذلك كثير كثيرة في هذا الباب.

وإن شئت التطبيق على تفاصيل وجودك فمعناه خلق سماوات القوى الرّوحانيّة وأرض الجسد، في الأشهر الستّة الّتي هي أقلّ مدة الحمل، أو المراتب الستّ من النطفة والمضغة والعلقة والطعام واللحم والخلق الآخر وكان عرشه الّذي هو القلب على الماء الّذي هو مادة الجسد مستولياً عليه متعلّقاً به تعلّق التدبير، والتصرّف أن كان المراد به القلب الحقيقي وإن كان

---

(٧٧) قوله: إنّ الله خلق أوّل ما خلق جوهرة.

روى المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٧ ص ١٣، عن «التوراة»:

«إنّ الله تعالىٰ خلق جوهرة ثمّ نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء، ثمّ خلق السماوات والأرض وفتق بينهما».

ونقله أيضاً ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ذيل قوله عليه السلام:

«ثمّ أنشاء سبحانه فتق الأجواء».

وقال: إنّ في التوراة في الصفر الأوّل:

«إنّ الله تعالىٰ خلق جوهراً، فنظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء، ثمّ ارتفع من ذلك الماء بخار كالدّخان، فخلق منه السماوات، وظهر على وجه ذلك الماء زبد فخلق منه الأرض، ثمّ أرساها بالجبال».

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٤ ص ٢٥٥، التعليق ١٧٢.

القلب الصوري فذاك يكون بحسب التركيب لأنّه جسم وجسماني، وإليه أشار ﷺ:

«إنّ في جسد ابن آدم لمضغة وهي القلب فإن صلحت صلحت بها جميع الجسد، وإن فسدت فسدت بها جميع الجسد».(٧٨)

وقال بالنّسبة إلى حقيقته:

«قلب المؤمن عرش الله».(٧٩)

---

(٧٨) قوله: إنّ في جسد ابن آدم.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٧ الحديث ٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٢٧٠ وص ٢٧٤، وأخرجه «كنز العمّال» ج ١ ص ٢٤٣ الحديث ١٢٢٣.

(٧٩) قوله: قلب المؤمن عرش الله.

رواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٣٩، ونقل العارف الهمداني في «بحر المعارف» ج ٢ ص ٩٦، عن «مزامير العاشقين» عن السيّد الداماد رحمهم الله قال: ورد عن طريقة الخاصّة والعامّة:

«أنّ قلب المؤمن بيت الله الحرام، وقلب العارف عرش الله الأعظم».

وأخرج «كنز العمّال» ج ١ ص ٢٤١، الحديث ١٢٠٧ وقريب منه الحديث ١٢٢٤:

«إنّ لله تعالىٰ آنية من أهل الأرض وآنية ربّكم قلوب عباده الصالحين، وأحبّها إليه ألينهاأرقّها».

أخرجه أيضاً «الجامع الصغير» ج ١ ص ٣٦٤ الحديث ٢٣٧٥.

وأخرج «كنز العمّال» أيضاً ج ١ ص ٢٤٣ الحديث ١٢٢٥:

وقال:

«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن».(٨٠)

والمراد بالأصبعين واليدين بالنّسبة إلى الله ليس إلاّ الصفتين المعلومتين من الجماليّة والجلاليّة، واللطيفة والقهريّة، وقوله:

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧].

إشارة إلى العمل القلبي لا القالبي، كما قلنا.

والمراد به التدبّر والتفكّر في الآية وإخراج المعاني والحقائق منها كشفاً، أو استنباطاً.

وتقديره أنّه جعل غاية خلق الأشياء ظهور أعمال الناس قلباً وقالباً، أي خلقناهم لنعلم العلم التفصيلي التابع للوجود الّذي يترتّب عليه الجزاء لأنّ العلم قسمان: قسم يتقدّم وجود الشيء في اللوح أو في الحضرة العلميّة، وقسم يتأخّر وجوده في مظاهر الخلقيّة والأفعال التكليفيّة، والبلاء والإبتلاء الّذين بمعنى الإختبار يتعلّق بالقسم الأخير من القسمين،

⇐ «إنّ لله تعالى في الأرض أواني ألا وهي القلوب، فأحبّها إلى الله أرقّها وأصفاها وأصلبها، أرقها للأخوان،، وأصفاها من الذنوب وأصلبها في ذات الله».

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣١٣ التعليق ١٥٦.

(٨٠) قوله: قلب المؤمن بين إصبعين.

رواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٧٠ ص ٣٩، وابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ١ ص ٤٨ الحديث ٦٩، وج ٤ ص ٩٩ الحديث ١٣٩.

واخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٦ ص ٢٥١ و٣٠٢.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٥٥٤ التعليق ٣٥٦.

وتحقيق هذا يعرف من مظّانه هذا مضى.

وخبر آخر وهو أنّه ذكر عليّ بن الغالب وهو من المتقدّمين في كتابه الموسوم بـ:«الإعتبار الكبير»: أنّ رسول الله ﷺ، قال لأهل اليمن حين قالوا جئناك لنسئلك عن أوّل هذا الأمر، فقال:

«كان الله ولم يكن غيره» وفي أخرى: «ولا شيء معه غيره».(٨١)

---

(٨١) قوله: كان الله ولم يكن غيره، ولا شيء معه غيره.

روى الكليني في «الأصول من الكافي» ج ١ ص ١١٦ باب معاني الأسماء واشتقاقها الحديث ٧، بسند مرفوع عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني الجواد عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالىٰ له أسماء وصفات في كتابه، وأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام:

إنّ لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول: هي هو أي أنّه ذو عدد وكثرة فتعالىٰ الله عن ذلك، وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل، فإنّ «لم تزل» محتمل معنيين، فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقّها فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرّعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذّكر هو الله القديم الّذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعنيّ بها هو الله»، الحديث.

وروى الصدوق في «التوحيد» ص ٢٢٦ الحديث ٧ باسناده في حديث طويل عن الصادق عليه السلام قال:

«كان الله عزّ وجلّ ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول، كان عزّ وجلّ ولا متكلّم، ولا مريد،

وفي أخرى: «ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كلّ شيء وخلق السماوات والأرض».(٨٢)

◄ **ولا متحرّك ولا فاعل جلّ وعزّ ربّنا، فجميع هذه الصفات محدّثة عند حدوث الفعل منه»**. الحديث.

وروى الكليني في «الأصول من الكافي» ج ١ ص ٩٠ الحديث ٧ باب الكون والمكان، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: أكان الله ولا شيء؟ قال: **«نعم كان ولا شيء»**.

وروى المجلسي في «بحار الأنوار» ج ١٥ ص ٢٣ الحديث ٤١ عن رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي باسناده إلى جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال: **«يا جابر كان الله ولا شيء غيره، لا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمّد صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولاأرض ولامكان، ولاليل ولانهار، ولا شمس ولا قمر»**، الخبر.

وروى أيضاً في ج ٥٧ عن أبو الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني في كتاب «الأنوار» عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«كان الله ولا شيء معه: فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والأرض واللّوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحوّاء»** الحديث فراجع.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٥٢ التعليق ٨٧.

(٨٢) قوله: ولم يكن شيء قبله.

أخرج السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٤ ص ٤٠٣ سورة هور الآية ٧، باسناده عن ◄

وقال في حديث آخر:

«أنّ الله خلق الخلق وقضى القضيّة، وأخذ ميثاق النّبيّين: وعرشه على الماء».(٨٣)

وقال صلى الله عليه وآله:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».(٨٤)

⊃ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«كان الله قبل كلّ شيء و﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كلّ شيء، خلق السماوات والأرض».

وأخرج أيضاً في المصدر عنه صلى الله عليه وآله قال:

«كان الله ولا شيء غيره ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وكتب في الذّكر كلّ شيء: ثمّ خلق سبع سماوات».

روى الكليني في «الأصول من الكافي»، ج ١، ص ١٢ وأيضاً روى المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٧ ص ٧٤ الحديث ٤٩، عن «التوحيد» باسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

«اعلم علّمك الله الخير، أنّ الله تبارك وتعالىٰ قديم والقدم صفته الّتي (صفة) دلّت العاقل على أنّه لا شيء قبله، ولا شيء معه في ديمومته (ديموميّته)»، الحديث.

(٨٣) قوله: أنّ الله خلق الخلق.

أقول: لم أعثر بلفظه تماماً، راجع بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٧٩، الحديث ٢٢.

(٨٤) قوله: كنت نبيّاً.

حديث معروف روى بألفاظ مختلفة كما يلي:

⊂

وسئل جعفر بن محمّد الصّادقعليه السلام، عن العرش، فقال:

«لمّا خلق الله الجوهرة فنظر إليها فذابت، وارتعدت فصار ماء، ثمّ نظر إليها ثانية فجمدت، فخلق منه العرش وترك الماء على حاله، فذلك معنى قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.[٨٥]

ونقل عن ثاليس الملطى[٨٦]، وكان من مشاهير الحكماء والقدماء،

كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين، بين الرّوح والجسد، بين خلق آدم ونفخ الرّوح فيه.

رواه «المناقب» لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢١٤.

وأخرجه «كنز العمّال» ج ١١ ص ٤٥٠.

وراجع فيه تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢٢٢٢٦٧ التعليق ٤٥.

(٨٥) قوله: لما خلق الله الجوهرة.

روى المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٧ ص ١٩٨، الحديث ١٤٥، في حديث طويل في قصّة خلق العالم وحدوثه وكيفيّة بدئه، عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال:

«...ثمّ خلق من نور محمّدصلى الله عليه وآله جوهرة وقسّمها قسمين، فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماء عذباً، ونظر إلى قسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء». الحديث.

وروى أيضاً فيه ج ١٥ ص ١٠ الحديث ١١ باسناده عن أنس عن رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث قال:

«فلمّا أراد الله أن ينشيء خلقه فتق نوري فخلق منه العرش».

وراجع أيضاً التعليق ٧٧.

(٨٦) قوله: ونقل عن ثاليس.

فإنّه نقل عنه بعد أن وحّد الصانع الأوّل للعالم ونزّهه، أنّه قال:

«لكنّه أبدع العنصر الّذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلّها وسمّاه المبدع الأوّل».

ثمّ نقل عنه: «أنّ ذلك العنصر هو الماء»، قال: ومنه أنواع الجواهر كلّها من السماء والأرض وما بينهما، وهو علّة كلّ مبدع، وعلّة كلّ مركّب من العنصر الجسماني، فذكر:

«أنّ من جمود الماء تكوّنت الأرض، ومن إنحلاله تكوّن الهوىٰ، ومن صفوته تكوّنت النار، ومن الدّخان والأبخرة تكوّنت السماء».

وقيل إنّه أخذ ذلك من التورٰة.

(الخطبة الأولىٰ من نهج البلاغة)

وإذا عرفت هذا فاعلم، أنّ للإمام المعصوم وارث علوم الأنبياء والمرسلين مولانا أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في هذا الباب خطب كثيرة، وإشارات جليلة، منها خطبة يذكر فيها إنشاء العالم بهذا الطريق مفصّلاً، وإنشاء آدم عليه السلام وأولاده كذلك، وإنشاء الملائكة والجنّ، وبيان إبليس والسجود وتركه،، وغير ذلك من الإشارات، وهي تحتاج إلى شرح وبسط، ولها طول، ولكن نذكرها بالتمام في آخر هذه الأبحاث، لكن هنا نذكر منها ما هو المقصود في هذا المقام وهو إنشاء العالم على حسب طبقاته هو قوله:

⊃ راجع شرح نهج البلاغة لابن الميثم ج ١ ص ١٣٩، و«الملل والنحل» للشهرستاني ج ٢ ص ٦١.

«إنشاء الخلق إنشاً، وابتدأه إبتداءً، بلا رويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها واحنائها.

ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّاره، متراكماً زخّاره، حمله على متن الرّيح العاصفة، والزّعزع القاصفة، فأمرها بردّه، وسلّطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق.

ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها، وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخّار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوّله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتّى عبّ عُبابه، ورمىٰ بالزّبد رِكامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سماوات، جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعلياهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار يَنظِمُها.

ثمّ زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرىٰ فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في فلك دائر وسقف سائر، ورقيم مائر.

ثمّ فتق ما بين السماوات العُلا، فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهوا لعقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان.

ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره،

ومنهم الحفظة لعباده، والسّدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعـناقهم، والخـارجـة مـن الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حـجب العـزّة وأستار القدرة.

لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدّونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسـبخها، تـربة سنّها بالماء حتّى خلصت، ولا طها بالبلّة حتّى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحـناء ووصـول، وأعـضاء وفـصول، أجـمدها حـتّى اسـتمسكت، وأصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم.

ثمّ نفخ فيها من روحه، فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يـفرق بـها بـين الحـق والباطل، والأذواق والمشّام والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المـتباينه، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديـهم، وعـهد وصـيّته إليـهم، فـي الإذعـان بـالسجود له والخشـوع والخضوع (والخنوع) لتكرمته، فقال سبحانه:

﴿اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

إعترته الحميّة، وغلبت عليهم (عليه) الشقوة، وتـعزّز بـخلقه النـار، واستوهن خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدة، فقال تعالىٰ:

﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر:٣٧ و٣٨]. إلى آخرها.

وهذا الكلام يحتاج إلى شرح تامّ وبسط كامل، وليس هذا موضعه سنشير إلى حلّ بعض ألفاظه، وتطبيقها بكلام الله من كتابه، ونكتب بعد ذلك كما قلنا، في آخر هذه الأبحاث الخطبة بتمامها مع شرحها من قول الشارح مستوفى الأركان مستكمل البيان، وذلك بعد تقديم خطبة أخرىٰ من خطبه الغريبة العجيبة في هذا المعنى توضيحاً للبحث، وتحقيقاً للمقصد، وبعد تقديم كلمات من كلام الشيخ الأعظم محيي الدّين العربي قدّس الله روحه العزيز، لأنّ له في هذا الباب أبواب متعدّدة وفصول مترتبة نقلناها من الفتوحات المكيّة، وذلك لأنّ من الأئمّة والأوصياء والأقطاب والأولياء كما هو أعظمهم وأكملهم مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام، فمن العلماء والمشايخ والعارفين الواصلين إلى الله تعالىٰ هو أعظمهم وأكملهم، وكلامه حجّة عقلاً ونقلاً وكشفاً، وهذا لا يخفى على أهله، إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

وأمّا حلّ الألفاظ المذكورة في الخطبة:

فقوله: «أنشأ الخلائق إنشاء».

قال الشارح[٨٧]: ليس لأهل اللغة فرقاً بين الإنشاء والإبتداء، وهو الإيجاد الّذي لم يسبق بمثله إلاّ أنّه يمكن أن يفرق هاهنا بينهما صوناً لكلامه عليه السلام عن التكرار، بأن يقال: المفهوم من الإنشاء هو الإيجاد الّذي لم

(٨٧) قوله: قال الشارح.

وهو ابن الميثم البحراني، ذكره في كتابه شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٣٢.

يسبق غير الموجد إلى ايجاد مثله.

والمفهوم من الإبتداء هو الإيجاد لم يوجد الموجد قبله مثله، (هو الإيجاد الّذي لم يقع من الموجد قبل).

والرويّة: الفكر، والإجالة: الإرادة، وهمامة النفس: إهتمامها بالأمور، ومن روى همامة النفس، فالمراد ترديد العزوم، مأخوذ من الهمهمة، وهي ترديد الصوت الخفيّ، وروي أيضاً همّة نفس.

والإحالة: التحويل والتحريك من مكان إلى آخر، وروي أجال بالجيم، وروي أيضاً أجّل أي وقّت.

والملائمة: الجمع، والغرائز: جمع غريزة، وهي الطبيعة الّتي طبع عليها الإنسان، كأنّها غرزت فيه.

والشبح (السنح) الأصل، وروي أشباحها جمع شبح، وهو الشخص.

والقرائن: جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء.

والأحناء: جمع حنو، وهي الناحية. والأجواء: جمع جوّ، وهو الفضاء الواسع، وفتقها شقّها. والأرجاء: حمع رجا مقصور، وهو (هي) الناحية والسّكائك: جمع سكاكة، كذوابة وذوائب، وهي الفضاء ما بين السماء والأرض، وكل مكان خال فهو هواء.

وأجار أى أجرى، ومن روى أحار أى أدار وجمع. وتلاطم الماء: ترادّ أمواجه وضرب بعضه بعضاً. والزّخار: مبالغة في الزاخر وهو الممتلي. متن كلّ شيء: ما صلب منه واشتدّ. وعصف الريح: شدّة جريانها. وريح زعزع: تحرّك الأشياء بقوّة وتزعزعها.

والريح العاصفة: الشديدة، كأنّها لشدّتها تكثّر الأشياء وتقصفها.

وسلّطها: وأي جعل لها سلاطة وهي القهر. والفتيق: المنفتق. والدقيق:

المندفق. والإعتقام: الشدّ والعقد. واعتقم أيضاً (الأرض) مهبّها: أي جعله خالياً لا نبت به من قولهم عقمت الرحم إذا لم يقدربها ولد، وروي بغر تاء أي جعلها عقيمة لا تلقح شجراً ولا سحاباً. والمربّ: المجمع. والعصف: الجري بقوّة وشدّة. والصفق والتصفيق: الضرب المترادّ المصوّف. وأثار الموج: رفعه وهيّجه. وأصل البحر: الماء المتّسع الغمر، وربما خصّص في العرف بالمالح. وتموّج البحر إضطرابه. وموجه: ما ارتفع منه حال هيجانه‌حركته. والمخض: التحريك. والسقاء: وعاء اللبن والماء أيضاً. والمائر: المتحرّك. والعباب بالضمّ: معظم الماء. وعبّ: أي علا وتدفّق. والرّكام: الماء المتراكم. المنفهق: الواسع. والتسوية: التعديل. والمكفوف: الممنوع من السقوط. السقف: إسم للسماء. وسمك البيت: سقفه. والسموك: الإرتفاع.العمد: جمع كثرة لعمود البيت، ودعامة البيت عموده، وما يمنعه من السقوط. والدسار: كلّ شيء ادخلته في شيء لشدّة، كمسمار وحبل‌نحوهما. والمستطير: المنتشر. والفلك: من أسماء السماء، قيل: مأخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة. والرقيم: اسم للفلك أيضاً، واشتقاقه من الرقم، وهو الكتابة والنقش، لأنّ الكواكب به تشبيه الرّقوم.

والأطوار: الحالات المختلفة والأنواع المتباينة. والسأم: الملال. والسدنة: جمع سادن وهو الخازن. ومرق السهم: من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر. والقطر: الناحية. والركن الجانب: وتلفع بثوبه: التحف به. والنظائر: الأمثال». هذا من حيث اللغة.

وأمّا من حيث تطبيقه بالقرآن:

فقوله: «ثمّ أنشأ سبحانه»، موافق لقوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢].

ولقوله:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وليس فرق عند أهل اللغة بين الإنشاء والإبتداء، لأنّ المراد بهما الإيجاد الّذي لم يسبق أحد بمثله، وقوله:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

بمعنى أنشأنا، أي كما أنشأنا أوّل خلق نعيده، لأنّ النشأة على قسمين: دنياويّة وأخرويّة، لقوله:*

وإن تحقّقت عرفت أنّ الإبداع والإختراع أيضاً بهذا المعنى، لأنّ المراد بالإبداع قوله:

الله ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

هو إيجاد الشيء لا عن شيء موجد قبل ذلك الشيء.(٨٨)

---

*. «لا توجد في النسخة ايّ شيء هنا بعد قوله: لقوله، ولعلّ مراده هذه الآية:

﴿بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِيءُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ العنكبوت: ٢٠.

(٨٨) قوله: هو إيجاد الشيء لا عن.

روى الكليني في «الأصول من الكافي» ج ١ ص ١٣٤ باسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة قال:

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد الّذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان».

وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً في خطبتها الغرّاء:

«إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها»، بحار الأنوار

ج

وكذلك الإختراع.

وقوله «فتق الأجواء»، موافق لقوله:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النحل: ٧٩].

وقوله: «وشقّ الأرجاء وسكائك الهوى»، موافق لقوله:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الإنشقاق: ٣-١].

وقوله: «ماءً متلاطماً تيّاره، متراكماً زخّاره»، موافق لقوله:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقوله: «حمله على متن الريح العاصفة، والزّعزع القاصفة»، موافق لقوله:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ

ج ٢٩ ص ٢٢٠.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

«الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها إبتداعاً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الإختراع، ولا لعلّة فلا يصحّ الإبتداع». الحديث.

رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٥ الحديث ٣.

وفي دعا ليلة الخميس:

«سبحانك ربّنا ولك الحمد، خالق الخلق ومبتدعه و منشئه ومخترعه على غير مثال احتذاه ولا شبه حكاه». «جمال الأسبوع» للسيّد ابن طاووس، ص ٧٦، وعنه بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣١١.

سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقوله: «الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دقيق»، موافق قوله:

﴿اللهُ الَّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [الروم: ٤٨].

وقوله: «ثمّ أنشأ ريحاً اعتقم مهبّها»، موافق قوله:

﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحاقّة: ٦].

وقوله: «حتّى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه»، موافق قوله:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله: «سمكاً مرفاعاً»، موافق قوله:

﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقوله: «بغير عمد ترونها (يدعمها)»، موافق قوله:

﴿اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

وقوله: «ثمّ زيّنها بزينة الكواكب وضياء الثواقب»، موافق قوله:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات: ٧].

وقوله: «وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً»، موافق قوله:

﴿تَبَارَكَ الَّذي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾ [الفرقان: ٦١].

وقوله: «ثمّ فتق ما بين السماوات العلا»، موافق قوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقوله: «فملأهنّ أطواراً من ملائكته»، موافق قوله:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

والملك، قال: الكسائي: أصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرّسالة، ثمّ قلبت وقدمت اللام فقيل: ملاك ثمّ تركت الهمزة لكثرة الإستعمال، فقيل: ملك، فلما جمعوه ردّوه إليه، فقالوا: ملائكة ملك.

والباقي منه ظاهر من حيث اللّغة، لكن في قصّة آدم عليه السلام.

فقوله عليه السلام: «ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض».

الحزن من الأرض: ما غلظ منها واشتدّ كالجبل، والسّهل: ما لانَ، وعذبها: ما طاب واستعدّ للنبات والزرع. والسبخ: ما ملح منها، والمسنون: الطين الرطب، وقيل: المتغيّر، والأوّل أنسب، لأنّ قوله:سنّها بالماء حتّى لزبت: أي أنّه خلّطها بالماء حتّى صارت طيناً رطباً يلتصق.

وقوله: صلصلت، قال بعضهم، الصلصال هو المنتن من قولهم: صلّ اللحم، وأصلّ: إذا أنتن، وقيل: هو الطين اليابس الّذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، (وقيل: إذا توهّمت في صوبه مدّاً فهو صليل، وإذا توهّمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة).

ولا طها بالبلّة: أي خلّطها بالرّطوبة ومزّجها بها. والبلّة بالكسر: النداوة، وبالفتح واحدة البلّ. واللاّذب، اللاصق، وأصل الباء: الميم، وجُبِل: أي خلق، والأحناء: جمع حنو وهي الجوانب. والوصول: جمع كثرة للوصل، وهي المفاصل، وجمع القلّة: أوصال، والأعضاء: جمع عضو بالكسر والضمّ، كاليد والرجل للحيوان. وأصلدها: أي جعلها صلداً وهي الصلبة الملساء. والذّهن في اللغة: الفطنة والحفظ، وفي الإصطلاح العلمي عبارة

عن القوى المدركة من العقل والحسّ الباطن. والفكر: جمع الفكرة وهي قوّة النّفس (للنفس) بها تحصل الإدراكات العقليّة. والإنسان مشتقّ عن الإنس. والمسائة: الغمّ. والجوارح: الأعضاء. والإستخدام الإختدام بمعنى. والأدوات: جمع أدات. والخنوع: الخضوع. إشتقاق إبليس من الإبلاس وهو اليأس والبعد لبعده من رحمة الله. والحميّة: الأنفة. واعترتهم: أي غشيهم. والوهن: الضعف. والنظرة: بفتح النون كسر الظاء: الإمهال، والسخط: الغضب، واغترّه: أي استغفلة. ونفست عليه بالأمر نفاسة: إذ لم تره مستحقّاً له. والعزيمة: الإهتمام بالشيء. والجذل: السرور. والإهباط: الإنزال.

وهذه الكلمات الأخيرة أيضاً معناها من حيث اللغة هذا الّذي قلناه، لكن من حيث التحقيق فسيجيء في آخر المقدّمة كما قرّرناه.

(الظواهر تُأخذ إن لم يقم دليل عقلي علىٰ خلافه)

والغرض أن هذه الظواهر من القرآن والأخبار، وكلام أميرالمؤمنين عليه السلام، لمّا دلّت على ما دلّت عليه من كون الماء أصلاً تكوّنت عنه السماوات والأرض، وغير ذلك، وثبت أنّ التركيب المذكور في المخلوقات أمر ممكن في نفسه، وثبت أنّ الباريء تعالىٰ فاعل مختار قادر على جميع الممكنات، ثمّ لم يقم دليل عقلي يمنع من إجراء هذه الظواهر على ما دلّت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر.

وإن قلت: إنّ جمهور المتكلّمين متّفقون على إثبات الجوهر الفرد(٨٩)، وأنّ الأجسام متركّبة عنه، فبعضهم يقول: إنّ الجواهر كانت ثابتة في عدمها، والفاعل المختار كساها صفة التأليف والوجود.

وبعضهم وإن منع ثبوتها في العدم إلاّ أنّه يقول: إنّ الله تعالىٰ يوجد أوّلاً تلك الجواهر ثمّ يؤلّف بينها، فيوجد منها الأجسام.

فكيف قلتم: إنّ السماوات والأرض تكوّنت من الماء.

قلنا: هذا ظاهر لأنّه يجوز أن يخلق الله تعالىٰ أوّل الأجسام من تلك الجواهر، ثمّ تكوّن باقي الأجسام عن الأجسام الأولىٰ.

وأمّا الحكماء فلمّا لم يكن الترتيب الّذي اقتضته هذه الظواهر وتكوين الأجسام موافقاً لمقتضى أدلّتهم، لتأخير وجود العناصر عندهم عن وجود السماوات، لا جرم عدل بعضهم إلى تأويلها توفيقا بينها وبين أدلّتهم.

(في معنى فتق السّماوات والأرض)

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ للناس في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أقولاً، أحدها ما قا ل بعضهم: أنّ السماء والأرض كانتا شيئاً واحداً

---

(٨٩) قوله: على إثبات جوهر الفرد.

راجع في تفصيله «الملل والنحل» للشهرستاني الجزء الثاني، الفصل الأوّل من الباب الثاني ص ٦١، وأيضاً أسفار الأربعة لصدر المتألهين ج ٥، المطلب الأوّل في تجوهر الاجسام ص ٦٤ إلى ٢، وج ٢ ص ٢٥٣ المبحث الثاني.

ملتزمَين ففصّل الله بينهما بالهواء.

الثانية، ما قال بعضهم: خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض، ثمّ خلق ريحاً بوسطها ففتحها بها.

الثالثة، ما قال بعضهم: كانت السماوات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض.

والرابعة، ما قال بعضهم: أنّ معنى كون السماء رتقاً أنّها كانت لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً أي لا تنبت نباتاً، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ بعد ذلك:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ونظيره قوله تعالىٰ:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١].

وقوله:

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢].

وقوله:

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً﴾

[عبس: ٢٧-٢٥].

والخامسة، ما قال بعضهم: إنّ معنى قوله «كانتا رتقا» أي كانت أموراً كلّيّة في علم الله تعالىٰ وفي اللوح المحفوظ وقوله: «ففتقناهما» إشارة إلىٰ تشخّصاتها في الوجود الخارجي، وتميّز بعضها عن بعض.

والسادسة، ما قال بعضهم: أنّ السماء كانت لا صقة بالأرض، لا فضاء بينهما، وكذلك الأرضون لا فرجة بينهما. وقيل: «ففتقناهما» بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمّتة.

هذا في طريق أهل الظاهر.

وأمّا في طريق أهل الباطن، فورد في كلامهم تحقيق هذا الأمر على ما هو عليه في نفس الأمر وهو قولهم:

الرتق إجمال المادّة الوحدانيّة المسمّاة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل السماوات والأرض المفتوق بعد تعيّنهما بالخلق.

وقد يطلق على نسب الحضرة الواحديّة باعتبار لا ظهورها وعلى كلّ بطون وغيبة كالحقائق المكنونة في الذات الأحديّة قبل تفاصيلها في الحضرة الواحديّة من النسب الأسمائيّة، وبروز كلّ كامن في الذات الأحديّة من الشئون الذاتيّة، كالحقائق الكونيّة بعد تعيّنها في الخارج.

وتسمّى الهيولىٰ المطلقة المشتركة بين الأجسام كلّها العنصر الأعظم.

والفتق والرّتق يصدق على الصورة والهيولىٰ، وإنفصالهما عن الآخر في العقل والخارج أيضاً.

وهذا كلام لا مزيد عليه في التحقيق والتطبيق بين الأقوال بالنّسبة إلى تخليق السماوات والأرض وأجسادهما علواً وسفلاً.

(في التطبيق بين العالمين الكبير والصغير)

وحيث حصل التطبيق بين الطائفتين اللّتين هما في صدد إيجاد العالم من الأعلى إلى الأسفل وبالعكس. فنشرع في التطبيق بين العالمين الكبير والصغير وإن سبق غير مرّة، وذلك، لأنّ روحه عبارة عن عالم الأمر والغيب، وجسمه عن عالم الخلق والشهادة.

أعني كما كانت نطفة الإنسان الصغير قبل ظهورها بالصورة الإنسانيّة وما يترتّب عليها من الأعضاء والجوارح مادّة واحدة وحقيقة واحدة

موصوفة بأنّها مرتوقة، كانت نطفة الإنسان الكبير المسمّاة بالهيولىٰ الكلّيّة والعنصر الأعظم قبل ظهورها بالصورة الآفاقيّة وما تترتب عليها من الأفلاك والأجرام والسماوات والأرض وما بينهما كذلك، أعني موصوفة بأنّها مرتوقة.

وكما أنّ النطفة الإنسانيّة بعد رتقها انفتقت بحكمة الله تعالىٰ وأمره، وظهرت بهذه الصورة الكاملة المسمّاة بالإنسان الصغير، وصدقت عليها أنّها مفتوقة بعد أن كانت مرتوقة، فكذلك نطفة العالم وهيولاه فإنّها بعد رتقها بالمادّة انفتقت بأمر الله وحكمته وظهرت بهذه الصورة المسمّاة بالإنسان الكبير وصدقت عليها أنّها مفتوقة بعد أن كانت مرتوقة.

وهذا تطبيق لطيف ومعنى شريف، فقس على هذا جميع المراتب الآفاقيّة والأنفسيّة، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

(في أنّ الأرواح قبل الأجساد أو الأجساد قبل الأرواح أو هما معاً؟)

وهذا المقام يحتاج إلى تحقيق الإختلاف الواقع بين الحكيم والمتكلّم والموحّد. بأنّ الأرواح قبل الأجساد، أو الأجساد قبل الأرواح أو هما معاً؟

لأنّ الحكيم ذهب إلى أنّ الأرواح لا يجوز أن يكون قبل الأجساد.

والمتكلّم ذهب إلى أنّ الأرواح يجوز أن يكون قبل الأجساد.

وأهل الله الموحّدين سلموا القولين وقالوا:

أنّ مبدأ عالم الأرواح كان من الأعلىٰ إلى الأسفل وكان أوّله العقل الأوّل الّذي هو الجوهر الأعظم المسمّى بالنور لقوله صلى الله عليه وآله:

«أوّل ما خلق الله تعالىٰ نوري».(٩٠)

وكان الأرواح قبل الأجساد بهذا الوجه.

وأمّا الأجساد فكان مبدأه الماء المذكور المعبّر عنها بالنطفة والمادّة والهيولىٰ الّتي منه السماوات والأرض وما بينهما وكان الترتيب من الأسفل إلى الأعلىٰ، كما بيّناه مراراً، وهذا هو الأصحّ، لأنّ العقل والنقل والكشف قاموا بصحّة هذا وإثباته، ومع ذلك نشرع في تحقيقه مفصّلاً، ونقول:

إعلم أنّ هاهنا أبحاث ثلاثة:

البحث الأوّل أنّ الأرواح خلقت قبل الأجساد.

والثاني، أنّ الأجساد خلقت قبل الأرواح.

والثالث، أنّ الأرواح والأجساد خلقتا معاً.

أمّا الأوّل فقد شهدت به الآيات والأخبار، أمّا الآيات فكقوله تعالىٰ:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرّوح قُلْ الرّوح مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

لأنّ الأمر عالم الأرواح، كما أنّ الخلق عالم الأجسام لقوله:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

إشارة إلى تسويته ونفخ الرّوح فيه بعدها، فإنّ «روحي» إضافة إلى الرّوح الأعظم الأسبق الأوّل المتقدّم ذكره مراراً.

---

(٩٠) قوله: أوّل ما خلق الله تعالىٰ نوري.

راجع التعليق ٣٢.

ويفهم من هذا أنّ روحه كان موجوداً قبله موقوفاً على تسوية بدنه، وهذا هو المقصود، وقوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

هذا معناه لأنّ هذا السؤال كان من الأرواح لأنّ الذريّة عبارة عن ذريّته الرّوحانيّة الّتي كانوا في ظهر آدم الصوري بالقوّة، أو في ظهر آدم المعنوي بالفعل، وعلى كلا التقديرين يلزم تقدّمها.

و«بلى» إمّا يكون من لسان الحال أو القال وكلاهما صادقان على الأرواح قوّة كان أو فعلاً.

وأمّا الأخبار فكقول النّبيّ صلى الله عليه وآله

«أوّل ما خلق الله العقل».(٩١)

و:

«أوّل ما خلق الله الرّوح».

و:

«أوّل ما خلق الله نوري».(٩٢)

وكقوله:

«خلق الله تعالىٰ روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق

---

(٩١) قوله: أوّل ما خلق الله العقل.

راجع التعليق ٦٠.

(٩٢) قوله: أوّل ما خلق الله نوري.

راجع التعليق ٣٢.

الخلق بألفي عام».[٩٣]

وكقوله:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».[٩٤]

وكقول الإمام عليه السلام:

«الأرواح جمود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».[٩٥]

---

(٩٣) قوله: خلق الله تعالىٰ روحي وروح علي بن أبي طالب.

عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٢٤ الحديث ٢١٠.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣١٥، التعليق ٧٣، وص ٥١٠ التعليق ١٥٩ وص ٥٤٨ التعليق ١٦٧.

روى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٤٠ الحديث ٣ باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال الله تبارك وتعالىٰ: يا محمّد إنّي خلقتك وعليّاً نوراً يعني روحاً بلا بدن **قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي»**، الحديث، وروى الشيخ المفيد رحمه الله في «الإختصاص» ص ٩٠ باسناده عن الرضا عليه السلام قال:

«إنّ الله خلقنا قبل الخلق بألفي ألف عام فسبّحنا فسبّحت الملائكة لتسبيحنا»، الحديث.

(٩٤) قوله: كنت نبيّاً.

راجع التعليق ٨٤.

(٩٥) قوله: الأرواح جمود مجنّدة.

فإنّ الكلّ إشارة إلى أنّ الأرواح كانت موجودة قبل الأجساد، وهذا هو المطلوب.

وبناءً على هذا يكون الترتيب المذكور الّذي هو من الأعلىٰ إلى الأسفل صحيحاً، ويكون أوّل الموجودات: العقول، ثمّ النفوس، ثمّ الأرواح الفلكيّة، ثمّ الأجسام الطبيعة، ثمّ العناصر الأربعة، ثمّ المواليد الثلاثة، ثمّ الإنسان الصغير الّذي هو آخر المولّدات صورة، كما هو أوّل الموجودات معنىً، ويكون الرتق صادقاً على العقل الّذي كان في هذه الأشياء بالقوّة والإجمال والفتق على إبراز هذه التشخّصات والتعيّنات بالفعل والتفصيل، ومن هذا قيل: بدن بالعقل وجسم بالعاقل، مثل الشجرة والنواة، فإنّ النواة جامع للشجرة بأسرها بالقوّة، ومخرج لها بالتدريج،... وأكثر بحث الشجرة في القرآن كناية عن هذه الشجرة، أي الشجرة الوجوديّة، كقوله:

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وكقوله:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وكقوله:

﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

وسيجيء بحث هذه الشجرة في المقدّمات والتأويل أكثر من ذلك إن شاء الله.

وهذا معنى قوله:

⊃ رواه الصدوق في «العلل» ص ٨٤، الباب ٧٨ الحديث ١، وأيضاً ص ٤٢٦، الباب ١٦١ الحديث ٧.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

لأنّ النّفس الواحدة إشارة إلى المادّة المذكورة المرتوقة، وبثّ الرجال والنساء منها إلى فتقها وإخراج الأنواع منها، أعني من القوّة إلى الفعل، أو من الباطن إلى الظاهر.

هذا البحث الثاني فقد تقرّر تقريره مبسوطاً مشحوناً بالآيات الأخبار بالنّسبة إلى الإنسان الكبير والصغير.

أمّا الكبير فبالّذي قلنا: إنّ أوّله كان ماء مع تراب ونار وهواء، ثمّ سماء مخلوقاً من دخان، ثمّ الكواكب، ثمّ المولّدات، ثمّ أفاظ عليهم من الباري تعالىٰ النّفوس والحياة على قدرهم، أعني أوجد العناصر، ثمّ الأجسام، ثمّ الأفلاك، ثمّ الأجرام، ثمّ الأرواح المتعلّقة بهذه العوالم، ثمّ المواليد، ثمّ أرواحها، ثمّ الإنسان الصغير.

وأمّا الصغير فبالّذي قلنا: إنّ أوّله نطفة ثمّ مضغة ثمّ علقة ثمّ عظاماً ثمّ لحماً ثمّ إنشاء آخر وهو إفاضة الرّوح على الجسد المركّب من هذه المراتب وهو قوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[المؤمنون: ١٤-١٢].

ويشهد بذلك أيضاً قول الشيخ الأعظم بالنّسبة إلى العالمين في أوّل فصّ آدم عليه السلام وهو قوله:

«وقد كان الحقّ تعالىٰ أوجد العالم كلّه وجود شبحٍ مسوّىً لا روح

فيه، وكان كمرآة غير مجلوّة....

فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصّورة الّتي هي صورة العالم المعبّر عنه بالإنسان الكبير».

وعلى جميع التقادير لا يلزم التخالف بين القولين؛ لأنّ والّذي قال: بسبق الأرواح والنزول من الأعلىٰ، قال: بالرّوح الأعظم والعقل الأوّل إلى آخره.

والّذي قال بسبق الأجسام والصعود من الأسفل قال: بالماء والعناصر والترتيب المعلوم إلى آخره، وجعل أوّل واحدة منهما مقام الرتق، وآخر كلّ واحدة منهما مقام الفتق، والكلّ صحيح.

وأمّا الثالث الّذي هو مذهب الحكيم كان هذا بالنّسبة إلى الأشخاص والحيوان المشخصّة، وإلاّ إذا قالوا بإيجاد العقل الكلّ أوّلاً وبإيجاد النّفس الكلّيّة ثانياً وما يترتّب عليهما من النفوس والعقول كيف يقولون بعدم سبق الأرواح مطلقاً، فإنّ هذا نقيض أقوالهم فليس مرادهم غالباً إلاّ في الجزئيّات والله أعلم وأحكم.

وإذا تحقّق هذا بهذه الوجوه الثلاث، وتقرّر أنّ ترتيب العالم الكبير يجوز من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى، وكذلك ترتيب العالم الصغير فلنشرع فيه بوجه آخر ونختم هذا البحث عليه ثمّ نشرع في بحث الإنسان الصغير وتطبيقه بالكبير كما قررناه.

فالوجه المذكور هو الّذي قال بعض العارفين من السّلف:

إعلم أنّ من أتقن أنّ كلام الله تعالىٰ صفة من صفات ذاته علِم أنّ كلّ مذكور فيه موجود في علمه مقدّر في قدرته ظاهر له معدوم لنفسه، قال الله عزّوجلّ:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

وقال رسول الله ﷺ لأهل اليمن حين قالوا جئناك لنسئلك عن أوّل هذا الأمر، فقال:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

وكتب في الذكر ﴿كلّ شيء﴾ و﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وقال بعض الصحابة قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدأ الخلق حتى دخل أهل الجنّة منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

في الصحيح، وقال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله تعالىٰ خلق الخلق وقضى القضيّة وأخذ ميثاق النّبيّين ﴿عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾».

وقال ﷺ:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».(٩٦)

وسئل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن العرش فقال(٩٧):

«لمّا خلق الله جوهرة فنظر إليها فذابت وارتعدت فصارت ماء، ثمّ نظر إليها ثانية فجمدت فخلق منه العرش وترك الماء على حاله فذلك

---

(٩٦) قوله: كنت نبيّاً.

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق ٨٤، واخرج «الدرّ المنثور» عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ: «كنت نبيّاً وآدم بين الرّوح والجسد»، ج ٦ ص ٥٦٩ سورة الأحزاب.

(٩٧) قوله: لما خلق الله الجوهرة.

راجع التعليق ٨٥، وقد مرّ تفصيلاً.

قوله تعالىٰ»:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

وقال تعالىٰ:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

فدلّت هذه الآيات والحديث والخبر أنّ علم الله عزّ وجلّ محيط بالوجود كلّه ظاهرة وباطنة ما كان منه وما يكون أبداً، كلّ ذلك موجود مقدّر معلوم ظاهر له عزّ وجلّ مختزن في خزائن غيبه وعلمه وإرادته وقدرته.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ما شاء أن يظهر من خزائن علمه وغيبه أظهره، وما شاء أبطنه، فأوّل ما أظهر من غيبه عزّ وجلّ القلم وما كتب وهو الإمام المبين لقوله:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله

«**أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: أكتب علمي في خلقي**».

في أخرىٰ:

«**أكتب المقدار**».

وفي أخرىٰ:

«**أكتب ما هو كائن**».(٩٨)

---

(٩٨) قوله: اوّل ما خلق الله القلم، أكتب ما هو كائن.

قد مرّ البيان في مصادره والتفصيل فيه في تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣١٨

فهذا الكتاب إظهار أوّل وكون مقدّر في لوح محفوظ الله أعلم ما هو، وهو من لاح يلوح، والله أعلم.

وكلّ ما كان ويكون فهو عن معاني أسمائه وصفاته، لا وجود إلاّ بإيجاده، ولا بقاء إلاّ بإبقائه وإمداده على الدّوام في كلّ نَفَس ولحظة ولمحة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

ليس في الوجود حقيقة إلاّ الله وأسمائه وصفاته.

حجب الذات بالأسماء والصّفات، وحجب الأسماء والصفات بالأفعال، فلا يرىٰ من شيء إلاّ فعله، ولا يدرك إلاّ أمره.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

التعليق ٧٥، وأيضاً ج ٢ ص ٢٣٩ التعليق ٩٧ وص ٤٤٤ التعليق ٢٣١، فراجع.

رواه القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٩٨ في قوله تعالىٰ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ سبأ: ٣.

وأخرجه أيضاً أبو داود في سننه ج ٤ ص ٦٢٥ الحديث ٤٧٠٠، ورواه «بحار الأنوار» عن «علل الشرايع» ص ١٠٩ ج ١٨ الحديث ١٧، ورواه أيضاً عن الرازي والقمي ج ٥٧ ص ٣٦٦ الحديث ١ و٢ و٣.

ورواه أيضاً عن «الدرّ المنثور» أحاديث متعدّدة في لفظ الحديث وغيره منها عن ابن عبّاس قال: **«خلق الله اللوح المحفوظ لمسيرة مأة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق: أكتب علمي في خلقي، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»**، ج ٥٧ ص ٣٧٥ الحديث ٣٢، وراجع تفسير «الدرّ المنثور» ج ٨ ص ٢٤٠ سورة القلم.

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

فإشراق نور الإيجاد والإبداع والتكوين والإختراع على صفحات الموجودات والمبدعات، هو الّذي أظهرها بما هي عليه من حركة وسكون، أو لون، أو كون، أو أيّ صفة اتّصف الموجود بها.

فظهور المقدورات بالقدرة، والمكوّنات بالتكوين وكذلك سائر ما يقتضيه الأسماء والصفات من كلّ شيء ظاهر أو باطن إنّما ظهر بمعاني الأسماء والصفات من قوله «كن» وعن سرّ قوله «كن» كان كلّ شيء ويكون أبد الابدين.

وكلّ كلام ونطق وعبارة في الوجود كلّه هو من ذلك السرّ. وكلّ شيء ناطق من حيث قال:

﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصّلت: ٢١].

يعلم ﷻ بكلّ معنى من معاني أسمائه وصفاته جميع المعلومات والمقدورات الكلّيات والجزئيّات، وأجزاء أجزاء الجزئيّات على التفصيل وتفصيل التفصيل لا يختلف عليه الأحوال، وإنّما يختلف الأحوال على الوجودات الممكنة، وليس لشيء من الوجود حظ ولا معنى من الأوّليّة والقدم، وإنّما هو وجود عن عدم، وما كان أصله العدم فهو في الحقيقة عدم وإنّما وجوده عرض واقع بين الإعدام والإيجاد ولا يستغني طرفة عين (عن) الإنشاء والإبقاء والإمداد، سواء كان من العوالم الرّوحانيّة أو من عالم الكون والفساد المركّب من المتنافرات والأضداد.

وسئل بعض العارفين عن التوحيد، قال:

«رؤية العالم وجوداً بين طرفي عدم».

وقال جنيد: «من كان وجوده بين طرفي عدم وفناء فهو فان».

قال الله ﷻ:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقال:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

فالعرش وما دونه من الماء وجميع الأشياء بالإضافة إلى وجوده تعالىٰ لا وجود له حقيقة، وذكر الوجود له مجاز كما قال:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وأشبه شيء بوجوده وجود الأعراض، لأنّها لا تدرك إلاّ في ثاني حال وجودها، لأنّ الأعراض في لسان المتكلّمين الأصوليّين لا يبقىٰ زمانين ولا بقاء لشيء إلاّ بإبقائه،

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

تزد بأمره من خزائن غيبه وقدرته وإرادته وعلمه وترجع من حيث جاءت تسيل كسيلان الماء في صبب الأنهار لا تقع البصر على شيء من مائها إلاّ وقد خلفه مثله تخلّف المثل المثل على الدوام فإذا أراد التبديل أو التغيير أخلف المثل الخلاف فلا يدرك إلاّ فعله وصنعه وقدرته وإرادته ومعاني أسمائه وصفاته، خلق تبارك وتعالىٰ عنها وجوداً ملأ الكون كامتلأ البحر بمائه والجوّ بهوائه كما يقبل كلّ شيء من معانيها ما رزق وقدر له على نحو ما يشتنشق الحيوان والإنسان من النّفس الّذي هو سبب حياته وبقائه، يقبل بالإستنشاق ويدفع بالتنفس أبداً فإذا أراد الله إعدام حياتها منعها التنفس فماتت وكذلك في جيمع معاني الأسماء والصفات منها

يستمدّ جميع الوجود وبها قيام الأشياء كما قيل:

والنّفس تحيا باعطاء الهواء لها   منه بمقدار ما اعطته من نفس

كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«خلق الله مأة رحمة أمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل إلى الخلق واحدة»(٩٩). الحديث.

فكما ملأت تلك الرحمة الوجود كلّه ونال وقبل كلّ شيء منها ما قدّر له كذلك ساير معاني الأسماء والصفات بتلك الرحمة المخلوقة، فتلك الرحمة المخلوقة يدرك الخلائق معاني الرحمة الأزليّة، وكذلك ساير المعاني كما تقدّم، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن الله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنّة».(١٠٠)

---

(٩٩) قوله: خلق الله مأة رحمة.

قد مرّت الإشارة إلى مصادره في التعليق ٤٦ فراجع.

وأخرج ابن ماجه في سننه ج ٢ كتاب الزهد الباب ٣٥ الحديث ٤٢٩٣، ص ١٤٣٥، باسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ لله مأة رحمة، قسم منها رحمة بين جميع الخلائق، فبها يتراحمون وبها يتعاطفون، وبها تعطف الوحش على أولادها، وأخّر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وأيضاً الحديث ٤٢٩٤ فيه عنه صلى الله عليه وآله قال:

«خلق الله عزّ وجلّ يوم خلق السماوات والأرض مأة رحمة، فجعل في الأرض منها رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والبهائم بعضها على بعض، والطير، وأخّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة، فإذاكان يوم القيامة أكملها الله بهذه الرحمة.

(١٠٠) قوله: إن لله تسعة وتسعين إسماً.

والإحصاء على وجوه أقلّها الإتّصاف لمعانيها بالفعل، وفي الخبر:

❍ راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ١٨٥ التعليق ٧٩.

روى الصدوق في «التوحيد» باسناده عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ لله تبارك وتعالىٰ تسعة وتسعين إسماً مأةً إلاّ واحداً، من أحصاها دخل الجنّة، وهي»...الحديث.

وأيضاً روى باسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله:**

«لله عزّ وجلّ تسعة وتسعون إسماً، من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنّة». التوحيد ص ١٩٤ الحديث ٨ و٩ باب اسماء الله تعالىٰ.

قال الصدوق رحمه الله:

معنى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله **«إنّ لله تبارك وتعالىٰ تسعة وتسعين إسماً، من أحصاها دخل الجنّة»**: إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها، وليس المعنى إحصاء عدّها».

أقول: العلم بالأسماء أمر مطلوب ولكنّه يفيد إذا كان مع الإتصاف والتخلّق بالأسماء، إذن معنى الإحصاء هو الوقوف على حقيقتها مع الإتّصاف بها، مع أنّ الذكر بالعدّ أيضاً أمر مطلوب وله ثواب لأنّه يعتبر ذكراً والذكر مطلوب على أيّ حال كما عليه القرآن والحديث.

وأخرج «الدرّ المنثور» في سورة الأعراف الآية ١٨٠ ج ٢ ص ٦١٣، عن البخاري ومسلم واحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم بلفظ ما روى الصدوق، وأيضاً أخرج عن أبو نعيم عن ابن عبّاس وابن عمر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«(إنّ) لله تسعة وتسعون إسماً، من أحصاها دخل الجنّة وهي القرآن».

«إنّ الجنّة مأة درجة على عدد الرّحمة والأسماء».(١٠١)

فافهم.

وكلام الله ﷻ أعيان قائمة وأنوار روحانيّة لا تحدّ، ومعلوماته المنفصلة من غيبه وهي المفصّلة المظهره للكلام المحيط بالهواء وغير الهواء، والحروف هي الرّوحانيّة المعبّرة عن الأشياء.

وكلام المخلوقين بخلاف تلك هي صنعة محدّثة تحدث في الهواء أجزاء ثمّ تنعدم ولا تثبت ولكنّها ثابتة في ديوان الأعمال: قال الله ﷻ:

---

(١٠١) قوله: إنّ الجنّة مأة درجة.

روى الصدوق في «الفقيه» ج ٢ ص ٦٢٨ باب الفروض على الجوارح الحديث ١ عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه (الحديث طويل) وفيه قال عليه السلام:

«واعلم أنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن».

وفي الحديث نقلناه في التعليق ١٠٠: «لله تسعة وتسعون إسماً، من أحصاها دخل الجنّة وهي القرآن».

أيضاً القرآن هو الرحمة، قال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الاعراف: ٥٢.

روى الطبرسي في «مجمع البيان» سورة الكهف الآية ١٠٧، وسورة الروم الآية ١٥، باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«الجنّة مأة درجة ما بين كلّ درجة درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها». الحديث.

عنه بحار الأنوار ج ٨ ص ٨٩ وص ١٩٦.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وكثير في القرآن مثله.

و«كن» هي الحقيقة القائمة بالشيء المكوّن وهي الإرادة لكونه، والعلم محيط به وهو أمر إلّهي مصوّر للأشياء حافظ لها من جميع الآفات، وبها كانت الأكوان ظاهراً وباطناً، وبها فصّلها الله من الغيب، وفصّلها على نوعين بالقول، وبالعقل، والمقولات روحانيّة، والمعقولات جسمانيّة، وأصل الأجسام الماء وهو أصل الجواهر الظاهرة، والرّوح الرّوحانيّة هو المحيط بالماء قال الله ﷻ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والرّوح الحاصل من الكلّ هو بمنزلة المكان الّذي ينبسط ببادية، فيه الحروف والأشياء بمنزلة الهواء لما فيه من الوجود، فإذا كانت مادّة قوله من الهواء كانت أرواحاً وأنفساً، وإذا كانت مادّتها الماء كانت أجساماً، كما أنّ كلام المخلوقين إذا كانت مادّة حروفه الّتي يريد أن يظهرها ما في غيبه وسرّه هواء كان قولاً وكلاماً، وإذا كانت مادّتها مداداً كان كتاباً وصوراً مجسّمة مرتبة، وكما أنّ كتاب المخلوقين دالّ على ما في قوله، وقوله دالّ على ما في غيبه وسرّ نفسه كذلك جسم العالم بجميع أجزائه للباري تعالىٰ كالكتاب وهو دالّ على قوله وكلامه، وكلامه دالّ على ما في غيبه سبحانه لا إله إلاّ هو ربّ العرش الكريم، هذا آخر هذا الوجه الموعود وكان فيه من الفوائد ما لا يحصى.

وإذا فرغنا من هذا فلنشرع في القاعدة الثانية و نستمد من الله العون والتوفيق.

القاعدة الثانية

في تفصيل الإنسان الصغير وتطبيقه بالإنسان الكبير صورةً ومعنىً

إعلم أنّ هذه القاعدة مشتملة على تطبيق الإنسان الصغير بالإنسان الكبير صورة ومعنىً وله إجمال وتفصيل.

أمّا الإجمال، فالّذي سبق في هذا الباب بوجوه مختلفة، ووجه الأعظم منها أنّه تقدّم إيجاد الإنسان الكبير من الأعلىٰ إلى الأسفل مرّة، ومن الأسفل إلى الأعلىٰ مرّة أخرىٰ، وكذلك الإنسان الصغير، ويكفى هذا القدر في التطبيق إجمالاً لكن لابدّ له من البيان الإجمالي على الترتيب.

فنقول: الإنسان الكبير له مادّة معبّرة عنها بالهباء والعنصر الأعظم، والإنسان الصغير له مادّة معبّرة عنها بالنطفة والجوهر.

والإنسان الكبير له روح كلّي وله روح جزئيّ، والإنسان الكبير له عقل كلّي والإنسان الصغير له عقل جزئيّ، والإنسان الكبير له نفس كلّيّة وله نفس جزئيّة.

وكذلك الأفلاك والأجرام والعناصر والطبائع والمواليد، فإنّ الإنسان له بإزاء كلّ واحد واحد كما بيّناه مراراً ونبيّنه أيضاً مفصّلاً، وبيان ذلك:

وهو أنّ الله تعالىٰ قال:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ إلى قوله:

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤-١٢].

هذه صفة أطوار الخلقة الإنسانيّة.

قبض الحقّ تعالىٰ على يد الملائكة قبضة من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأسود والأبيض وأمثال ذلك، الحديث.(١٠٢)

ولكلّ ولد آدم حظّه وقسطه من تلك القبضة، وعليها ينشؤ جسمه النامي من الأغذية، ومنها تقبض النّفس والرّوح عند الموت.

مزج تبارك وتعالىٰ تلك القبضة بالماء فعبّر عنها:

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣-١٢].

فسريان النّفس في الطين من حيث الماء بمنزلة سريان الرطوبة في الماء، فكانت سلالة الطين للنفس بمنزلة القرار المكين.

فسرت طبيعة الدم في المضغة وكانت علقة، ثمّ سرت سائر الطبائع في الجملة فكانت عظاماً وكسيت العظام لحماً، لذلك أخبر رسول الله ﷺ عن

---

(١٠٢) قوله: الحديث.

راجع أصول الكافي ج ٢ باب طينة المؤمن والكافر وأيضاً البابين بعده.

قول ملك الرحم الّذي هو كالشافع في إنشاء النطفة في الأرحام، يقول:

«ربّ نطفة، ربّ علقة، ربّ مضغة»، إلى آخر ما يذكر من حمله البنيه من شقاوة وسعادة ورزق وأجل، وجميع ما قدّر له من صفات المولود إلى الموت، ثمّ يؤمر بنفخ الرّوح فيه كما قال:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فيمدح تبارك وتعالىٰ بذلك من إظهار القدرة في الخلقة من مبدئها إلى منتهاها، لقوله:

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فسريان النّفس في الجسد الّذي هو سلالة الطين من حيث الماء الممازج للتراب كسريان الرطوبة في الماء والبرودة في الهواء والحرارة في النار واليبوسة في الأرض، وقامت البنة جسماً ونفساً مهيّاة لنفخ الروح (...) فيه الأربع الطبايع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والأخلاط الأربعة الصفراء والدم والسوداء والبلغم، ونفخ فيه الرّوح فكان سريان الرّوح فيها بمنزلة سريان القوى في الطبائع والضياء في الهواء والحياة في الأحياء.

وسريان العقل في الجملة كسريان الإدراك في الذوات المدركة، وسريان روح الايمان في الجملة كسريان النّور في النيّريات.

وسريان معاني الإرادة العليّة والقدرة الربانيّة، وساير معاني الأسماء والصفات في الجملة كسريان الأمر في المأمورات والقدرة في المقدورات، ولا يعرف حقيقة ذلك الأمر وماهيّه إلاّ الله ﷻ وهو كما قال تعالىٰ:

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وهو تبارك وتعالىٰ خالق ذلك السريان وموجد القوى والصفات في جيمع الأكوان.

والغالب على الأجسام السكون من حيث البرد واليبس اللّذين هما طبيعة الأرض.

والغالب على النّفس الحركة من حيث الهواء الممازج للماء الّذي هو مقرّ النفس، ومن حيث الحرارة الممازجة للهواء ومن حيث فلك الأثير الّذي هو ينبوع النّار.

والغالب على الرّوح الخضوع والإخبات والخشوع من حيث قيام الأمر به:

﴿قُلْ الرّوح مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وبسريان الرّوح في الوجود سرت الفطرة في جميع المفطورات:

﴿فِطْرَةَ اللهِ الّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾، إلى قوله:﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٥ و٢٦].

﴿الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

فالسّماوات والأرض وما فيهما ومن فيهما على الفطرة كلّ مقرّ له بالإلٰهيّة والرّبوبيّة.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

والحيوانات والنبات والمعادن وسائر الجمادات شاهدة للخلائق بالكفر والإيمان، ولم يرد في شيء من الشرائع: أنّ أحد في الوجود أنكر الإلٰهيّة والرّبوبيّة إلاّ ما أخبرﷻ عن ضلال الثقلين من الجنّ والإنس

المستوجبين للعذاب بحسب غلبة الخبيث فيهم على الطيّب، ووردت الشرائع من الأنبياء والرّسل عليهم السلام بالأمر والنهي والوعد والوعيد ليميّز الخبيث من الطيّب والشقيّ من السعيد، وفي القبضين أوجد (أوحد) حقائق الفريقين في التقدير الأزلي والحكم الأبدي هٰؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة يعملون، وهٰؤلاء للنّار وبعمل أهل النار يعملون.

وهاهنا أبحاث وأسرار، وهذا وجه من التطبيق على طريق السلف. ووجه آخر وهو أنّه تعالىٰ خلق العالم والإنسان الكبير في ستّة أيّام لقوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٧].

الّتي هي مدّة ستّة أيّام عند المفسّرين حيث لم يكن هناك يوم، ولا ليل ولا زمان ولا آن.

وستّة مراتب وجوديّة عند المحقّقين الّتي هي مرتبة الذات الأحديّة، ومرتبة الحضرة الإلهيّة وهي الحضرة الواحديّة، ومرتبة الأرواح المجرّدة ومرتبة النفوس القابلة وهي عالم المثال وعالم الملكوت، ومرتبة عالم الملك وهو عالم الشهادة، ومرتبة الكون الجامع وهو الإنسان الكامل الّذي هو مجلىٰ الجيمع أو مراتب الستّ المذكورة من النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم، وخلق الأخير الّذي هو غاية الإنشاء، أو أقلّ مدّة الحمل الّتي هي ستّة أشهر لقوله تعالىٰ:

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾ [الأحقاف: ١٥].

ولقوله تعالىٰ فيه:

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

ولقوله:

﴿خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وقد سبق بيان المراتب الستّ الوجوديّة مفصّلاً وتطبيقه بالعوالم الكلّيّة المعبّرة عنها بثمانية عشر ألف عالم وتطبيق تلك العوالم بالخبر النبويّ:

«إنّ لله تعالىٰ سبعين ألف حجاب من نور وظلمة».(١٠٣)

وبالكلام الإلهي:

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ [الحاقّة: ٣٢].

والعود إلى ما سبق غير مستحسن فارجع إليه، والله أعلم وأحكم.

وأمّا التفصيل

فاعلم أنّ الرّوح الجزئيّ المنفوخ في الإنسان الصغير بمثابة الرّوح الكلّيّ الأعظم في الإنسان الكبير، ومحلّه الدماغ لأنّ الدماغ بمثابة العرش في الإنسان كما أنّ محلّ الرّوح الكلّي العرش الصّوري، والمراد بالمحلّ المظهر لا غير.

والنّفس الجزئيّة الإنسانيّة بمثابة النّفس الكلّيّة الناطقة ومظهرها القلب الصّوري لأنّه بمنزلة الكرسي في العالم كما أن مظهر النّفس الكلّيّة الكرسيّ.

---

(١٠٣) قوله: إنّ لله تعالىٰ سبعين ألف حجاب.

رواه القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٠ سورة الإسراء الآية ١، ولكن فيه «تسعين» بدل «سبعين»، وروي أيضاً في حديث المعراج، رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٢٧ باب إثبات المعراج الحديث ٣٤ وللمجلسي بيان للحديث، ذكره في بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٤٦ باب الحجب والأستار والسرادقات.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣١١ التعليق ٧٠.

وكما أنّه ليس في الإنسان الصغير بحسب الظاهر أعظم من القلب والدماغ، ليس في العالم والإنسان الكبير أعظم من هذين الجسمين ومن هذين المظهرين، وعند أرباب العقول هما عبارتان عن الفلك التاسع والثامن من حيث الصورة، ومن حيث المعنى من آدم وحوّا عليهما السلام.

والعرش في منزّل الإلّهي مظهر الإسم الرحمن، والكرسيّ مظهر الإسم الرحيم كما بيّناه في الدائرة، وحقيقة الإنسان الكامل مظهر الإسم الله، ولهذا تمّ ترتيب العالم في «بسم الله الرحمن الرحيم» كما ستعرفه، وإليه أشار النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم».(١٠٤)

وبنائاً على هذا فالدماغ يكون بمثابة الفلك التاسع، والقلب بمثابة الفلك الثامن، والعقل الجزئي للإنسان الصغير بمثابة العقل الكلّي.

وللعقل أربع مراتب عند العلماء: الأولى العقل الهيولاني، والثانية العقل بالفعل، والثالثة العقل بالملكة، والرابعة العقل المستفاد.

ومثال ذلك في الإنسان الكبير الملائكة الأربعة كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

والأعضاء السبعة الرّئيسة بمثابة الكواكب السبعة، والطبقات الدّماغيّة السبعة بمثابة الأفلاك السبعة أو الأقاليم السبعة، أو الأعضاء الظاهرة السبعة من الرّأس واليدين والظهر والبطن والرّجلين بمثابة الأرضين السبعة، وتلك بمثابة الأقاليم السبعة، والأمعاء السبعة بمثابة الجبال السبعة، والمياه

---

(١٠٤) قوله: ظهرت الموجودات.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢١٠ التعليق ١٣.

المختلفة في البدن بمثابة البحور السبعة، والباقي بمثابة العيون والنهرات (الأنهار)، والحواسّ الباطنة والقوى كالملائكة السّماويّة، والحواسّ الظاهرة والقوى كالملائكة الأرضيّة، أو الأفكار الرديّة والصالحة بمثابة الملائكة السّماويّة والأرضيّة الخيّرة والشريرة، أو الحواسّ العشرة مع قوى الشهويّة والغضبيّة كما قرّرناه في الدائرة بمثابة البروج الإثنىٰ عشرة وتلك القوى والأفكار بمثابة الملائكة السّماويّة والأرضيّة والكلّ صحيح واقع.

والنطفة الإنسانيّة القابلة للصّور والأشكال إلى أن يصل إلى نهاية المراتب الستّة الإنسانيّة من النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم والدم بمثابة الهيولىٰ الكلّيّة القابلة للصور والأشكال إلى أن يصل إلى نهاية المراتب الستّة الوجوديّة المذكورة أو ملك والملكوت والجبروت ومظاهرها بحسب المراتب المترتبة عليها.

والقوى الجزئيّة السّارية في البدن كالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وأمثالها كالقوى الطبيعيّة السارية في الأجسام كلّها.

والعناصر الأربعة بمثابة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، أو الطبائع الأربعة كالبلغم والدمّ والصفراء والسوداء.

والعظام والشعر والأظفار، والحيوانات المتولّدة من الأبخرة بمثابة المعدن والنبات والحيوان، والأرواح النباتيّة والحيوانيّة والنفسانيّة بمثابة الأرواح المعدنية والنباتيّة والحيوانيّة.

والبحار الجارية في البدن وكذلك الساكنة بمثابة الأنهار والبحار من المالح والعذب والحلو والمرّ كالماء في العينين والأذنين والشمّ والذوق وغير ذلك لأنّ بعضها حلو وبعضها مرّ وبعضها ملح وبعضها عذب.

والنّفس الأمّارة بمثابة الأمراء والأرباب الشوكة والقوّة، والنّفس

اللّوّامة بمثابة العلماء والقضاة والأئمّة، والنّفس الملهمة بمثابة الأولياء والخلفاء، والنّفس المطمئنّة بمثابة الأنبياء والسّلاطين والملوك الّذين هم الحكّام على الكلّ، والآمرون والناهون للكلّ.

والعقل بمثابة الوزراء وأرباب العلم والحساب والكتاب وباقي القوى بمثابة باقي الأصناف من الصناع والمحترفين (أصحاب الحرفة) وأهل السوق وأرباب التجارات والمحلاّت والبيوت والخانات.

وكذلك الوحوش والطير والسباع والبهائم فإنّها بمثابة الأخلاق الحميدة والذميمة والملكات الرديّة والأوصاف الجميلة.

ولأجل هذه الحقائق المكنونة في ضمير الإنسان الكبير، والآيات العالية المسطورة على صفحات ألواح نفوسه وعقوله وملكه وملكوته، قال تعالىٰ:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

لأنّ العالم والإنسان الكبير كتاب مبين إلٰهيّ مقسّم به في قوله:

﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطّور: ٣-١].

كما أنّ الإنسان الصغير كتاب مجمل ربّانيّ موسوم بالإمام المبين لقوله تعالىٰ:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وذلك لو لم يكن كذلك ما قال تعالىٰ مخاطباً له:

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤].

لأنّ هذا إشارة إلى أنّ مطالعة كتاب نفسه يكفيه من مطالعة الكتاب

الكبير الآفاقي وإليه أشار أيضاً وأمر بالتطبيق بين الكتابين في قوله:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤ و٥٣].

والأبيات المنسوبة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام إشارة إلى هذا وهو قوله:

أتــــزعم أنّك جـــرم صـــغير ... وفــيك انـطوى العــالم الأكـبر

وأنت الوجـود ونـفس الوجـود ... ومـــا فـيك مـوجود لا يـحصر

وأنت الكــتاب المــبين الّذي ... بـــأحرفه يـــظهر المـضمر

وقد سبق أكثر هذا البحث في أوّل المقدّمة مفصّلاً. والضرورات أومأنا إلى هذا والضرورات تبيح المحظورات، والله أعلم وأحكم.

هذا آخر هذا التطبيق، والمطبيق أكثر من ذلك يكون موجباً للكلال والملال، ولا تمكنا من تطبيق كلّ موجود من موجودات العالم بكلّ جزء من أجزاء الإنسان، أو بكلّ حرف من حروف الكتاب الكبير لكلّ حرف من حروف الكتاب الصغير حذوا النعل بالنعل، والقذة بـالقذة، واللـبيب الفطن يكفيه هذا المقدار فإنّه يستخرج من هذه الكلّيات بأدنى تأمّل كثيراً من الجزئيّات ومن الجزئيّات جزئيّات أخر وهلّم جرّاً إلى أن يـصل إلى نهاية التطبيق أو إلى مقام يعرف أنّ هذا التطبيق غـير قـابل للـنهاية لأنّ هذين الكتابين المعظمين هما مشتملان عـلى آيـاته وكـلماته، وآيـاته وكلماته غير قابلة للإنتهاء والإنقطاع لقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ولهذا ما يعرض أحد من العلماء في حصر الجزئيات بالنسبة إلى العالم

الكبير والعالم الصغير، لأنّهم عرفوا بأنّ هذا غير ممكن وسيّما شهد به الحقّ، هذا إذا سميت ما في ضمن هذين العالمين بالآيات والكلمات، العالمين بالكتابين الكبير والصغير، وأمّا إذا سمّيتها بنعمة الله لقوله تعالىٰ:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

فتلك أيضاً غير قابلة للإحصاء والإنتهاء لقوله:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

وفي هذا المقام ما شرطوا الإطلاع على الجزئيّات بأسرها لا في النّبوّة ولا في الرّسالة ولا في الولاية، لأنّ النّبيّ ليس له إطلاع على الّذي يتعلّق بالنّبوّة، وكذلك الرّسول والوليّ وستعرف سرّ هذا المعنىٰ في موضعه.

فبناء علىٰ هذا اكتفينا في هذا التطبيق بالكلّيّات وبعض الجزئيّات، ورجعنا منه إلى وجه آخر إعتماداً على صفاء الذهن اللطيف والقلب السليم، إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، هذا وجه، وأمّا بوجه آخر أعني من حيث الجسد والسّفليّات والصعود إلى الرّوح والعلويّات كما فعلنا أوّلاً.

(تطبيق تطوّرات النطفة الإنسانيّة على الأفلاك)

إعلم أنّ النطفة في الإنسان مادّة إيجاده في الظاهر كالجوهر الأوّل للعالم الّذي هو الهيولىٰ الأوّلىٰ الكلّيّة القابلة لصور العالم كلّها من العرش إلى الفرش.

والطبقات الأربعة الحاصلة لها بحسب الطبيعة بمثابة الطبائع الأربع وطبقاتها، لأنّ النطفة إذا وقعت في الرحم بحسب الترتيب الطبيعي تصير أربع طبقات: الطبقة الأولىٰ السفلاويّة للأجزاء الأرضيّة، والطبقة الثانية

للأجزاء المائيّة، والطبقة الثالثة للأجزاء الهوائيّة، والطبقة الرابعة للأجزاء النّارية، وإذا صعدت من مرتبة العلقة والمضغة وصارت مستعدّة للصّور والأشكال وقبلت الصورة الإنسانيّة، فالعظام بمثابة المعادن والشعر والأظفار والنمو من........بمثابة النبات، والحسّ والحركة في الأعضاء والعروق بمثابة الحيوان، والقلب الصوري بمثابة الإنسان، وأرواح تلك الثلاثة بمثابة الأرواح الثلاثة من الرّوح المعدني والنباتي والحيواني وروح الحيواني الّذي في القلب الصوري بمثابة روح الإنسان والأعضاء الظاهرة السبعة من الرأس واليدين والظهر والبطن والرجلين بمثابة الأفلاك السبعة، والأعضاء الباطنة السبعة من الدماغ والقلب والكبد والطّحال والمرارة والرئة والكليتين بمثابة الكواكب السبعة لأنّ الفلك الأوّل والكوكب الّذي عليه وهو القمر بمثابة الرئة في الإنسان.

وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك وهو موكّل على العناصر الأربعة.

والفلك الثاني والكوكب الّذي عليه وهو عطارد بمثابة الدماغ على رأى البعض، وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك وهو موكّل على إفاضة العلوم على العالمين.

والفلك الثالث والكوكب الّذي عليه، وهو الزهرة بمثابة المرارة، وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك وهو مخصوص بتدبير المعاش وتهييج الشهوات والنشاط.

والفلك الرابع والكوكب الّذي عليه، وهو الشمس بمثابة القلب الصوري، وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك وهو مخصوص بإعطاء الحياة الصوريّة.

والفلك الخامس والكوكب الّذي عليه، وهو المريخ بمثابة الكليتين، وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك، وهو مخصوص بتهييج القوّة الغضبيّة والقهر والغلبة على العالم.

والفلك السادس والكوكب الّذي عليه وهو المشترى وبمثابة الكبد، وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك وهو مخصوص بإيصال الأرزاق المعنويّة الّتي هي العلوم والمعارف اليقينيّة والكشفيّة.

والفلك السابع والكوكب الّذي عليه وهو زحل وبمثابة الطحال، وفي هذا الفلك ملك كبير وهو رئيس الملائكة المخصوصة بهذا الفلك وهو مخصوص بإعطاء السعادة والشقاوة الدنيويّتان عند البعض.

وهذا بالنّسبة إلى الأفلاك السبعة والكواكب الّتي عليها.

وأمّا بالنّسبة إلى الفلك الثامن والتاسع:

فالفلك الثامن والكواكب الّتي عليه من الثابتات هي بمثابة النّفس الناطقة الجزئيّة والمعلومات الّتي مختصّة بها، لأنّ كلّ معلوم بمثابة كوكب ثابت في الفلك لثبوته في النفس، وقد خصّصنا في الدائرة الحواسّ العشرة وقوّتي الشهوة والغضب بالبروج الّتي عليها، وتلك الخصوصيّة من هذا المعنى كانت ومن هذا سمّى هذا الفلك مظهر النّفس الكلّيّة. وسمّي أيضاً باللوح المحفوظ والكرسي وأمثال ذلك.

والفلك التاسع المسمّى بالأطلس والأملس المعبّر عنه بالشرع بالعرش لإستواء الرحمن وهو بمثابة الرّوح الإنسان عند تجرّده أو العقل الجزئي على اختلاف العبارتين، وذلك لسذاجة هذا الفلك من الكوكب وخلّوه عنه وسذاجة الرّوح والعقل في الواقع عند خلّوهما عن التعلّقات والتصوّرات،

ولهذا صار مظهر الرّوح الأعظم والعقل الأوّل كما صار الفلك الثامن مظهر النّفس الكلّيّة واللوح المحفوظ فافهم جدّاً فإنّه شريف لطيف.

وفي خصوصيّة كلّ فلك بملك اختلاف بحسب الآراء إلاّ في نفس الأمر ليس هناك اختلاف لكن بعضها أحسن من بعض آخر، وذلك الإختلاف وهو أنّ المشتري الّذي هو للفلك السادس وهو مخصوص بالملك الّذي موكّل على إفاضة العلوم على العالم دون عطارد وإسمه جبرئيل، وأمّا بفلك القمر الّذي هو أوّل الأفلاك والمخصوص بالعقل الفعّال الّذي هو عبارة عن جبرئيل عند البعض.

وقد قيل: في ترتيب آخر المتعلّق بالأفلاك الأربعة من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وهو أنّ العالم صورة ومعنىً محتاج إلى الفيض الدّائم الإلّهي المعبّر عنه بالنّفس الرحماني.

فقيل: الفيض الّذي يتعلّق بالعلوم مطلقاً وهو مخصوص بجبرئيل عليه السلام، والفيض الّذي يتعلّق بالرزق مطلقاً وهو مخصوص بميكائيل، والفيض الّذي يتعلّق بالحياة مطلقاً وهو مخصوص بإسرافيل، والفيض الّذي يتعلّق بالموت مطلقاً وهو مخصوص بعزرائيل، وهذا أحسن من الأوّل، ويشهد بصدق هذا تقسيم بعض العارفين الأفلاك بحسب الأسماء الّتي هي مظاهرها. كقولهم: العقول والنفوس المجرّدة من حيث إنّها عالمة بمباديها وما يصدر منها مظاهر للعلوم الإلّهيّة، والكتب السّماويّة وهي مظهر للإسم الله، والعرش مظهر للإسم الرحمن ومستواه، والكرسي مظهر الرّحيم ومستواه، والفلك السابع مظهر الرزّاق، والسادس مظهر العليم، والخامس مظهر القهّار، والرّابع مظهر الأنوار، والثالث مظهر المصوّر، والثاني مظهر

الباري، والأوّل مظهر الخالق، وهذا بإعتبار الأوصاف الغالبة على روحانيّة الفلك المنسوب إليه ذلك الإسم، وقد بيّنّا هذا في صورة التشكيل في الدائرة فارجع إليها، هذا وجه، وأمّا بوجه آخر وهو وجه التفصيل أيضاً:

فإعلم، أنّ النطفة إذا وقعت في الرحم وصارت مدورة كرية لإقتضاء طبيعة المائيّة، وتصرفت فيها الحرارة الغزيريّة الطبيعيّة الّتي في الرحم وتمّم نضجها فالأجزاء الغليظة الأرضيّة الّتي فيها يتوجّه إلى المركز بالطبع، والأجزاء اللطيفة العنصريّة الباقية من الماء والهوا والنار يتوجّه إلى المحيط على الترتيب الطبيعيّ المعلوم. وتصير النطفة بهذه العلّة أربع طبقات، كلّ طبقة منها تحت مافوقها على ما تقرّر في العلم الطبيعي: أنّ كلّ ما يكون من العناصر أو الأجسام مطلقاً ألطف وأشرف فهو يكون أعلىٰ وأعظم.

وبالجملة فالأجزاء الغليظة الأرضيّة الّتي هي مختصّة بالطبقة السفلى مقرّها يكون وسط هذه الأربع كالأرض بالنّسبة إلى العالم والأفلاك، تسمّى تلك النقطة سوداء لبرودتها ويبسها الغالب عليها كالأرض، ولهذا وقعت موقعها.

والطبقة الثانية منها الّتي هي فوق تلك النقطة وتحت المحيط الفوقاني تسمّىٰ بلغماً لرطوبتها وبرودتها كالماء، ولهذا وقعت موقعها.

والطبقة الثالثة منها الّتي هي فوق تلك الطبقة وتحت الطبقة الرابعة تسمّىٰ دماً لحرارتها ولطافتها وإعتدالها كالهواء، ولهذا وقعت موقعها.

والطبقة الرابعة منها الّتي فوق الطبقات كلّها تسمّىٰ صفراء لحرارتها ويبسها كالنّار، ولهذا وقعت موقعها، هذا ترتيب النطفة وطبقاتها الأربع.

فإذا تمّت هذه الطبقات وترتّبت هذه المراتب وصارت علقة ومضغة

ودماً ولحماً وعظاماً، وحصلت لها أعضاء ظاهرة وباطنة على ما بيّناه. فالحكيم الكامل جلّ ذكره أعطى لكلّ عضو منها من السوداء والبلغم والدم والصّفراء ما اقتضت حكمته وعلمه، وقيّد كلّ واحدة منها بالأخرىٰ، وعين فيها مجاري الحياة والحسّ والحركة بواسطة الرّوح المعدنيّ والنباتي والحيواني غير روح الإنساني، وعيّن لكلّ عضو منها قوّة مناسبة لتلك العضو كالجاذبه والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمحرّكة والباعثة والشهويّة والغضبيّة وأمثال ذلك.

وهذه القوى بمثابة الملائكة في العالم بلسان الشّرع بعضها سماويّة وبعضها أرضيّة، وبعضها لطفيّة وبعضها قهريّة، فإذا كملت هذه القوى والأعضاء طلبت المعدة غذاء، فالحكيم الكامل جلّ ذكره عيّن غذاها من الدّم الّذي نزل من الصرّة وجمع في الرحم، فإذا إنجذبت الطبيعة هذا الدّم أو الغذاء وصار هو في المعدة واستغرفها حصل له الهضم والنضج التامّ انجذب الكبد لبّ ذلك الغذاء وخلاصته إليه بعد الكيلوس من طريق الماساريقا وانضجه نضجاً تامّاً فصارت زبدته وخلاصته روحاً نباتيّاً، والباقي منها إنقسمت إلى السّوداء والبلغم والدم والصفراء وصارت كلّ واحدة منها مخصوصة بعضو من الأعضاء كالرّوح النباتي للكبد، والسوداء للمرارة، والبلغم للمعدة، والدمّ للقلب، والصفراء للكبد.

وقسّام الغذاء في البدن هذا الرّوح النباتي وبه يكون النشو والنماء للجسد، وهذه المراتب الثالث حصلت وتمّت في ثلاثة أشهر، كلّ واحدة منها في شهر واحد، فإذا تمّت هذه النشاة وظهرت للمعدة قوّة الهضم والدفع والجذب فالزبدة الباقية من الغذاء الّذي كان في المعدة إنجذبها القلب إليه وأعطاها مرّة أخرىٰ نضجا آخر وكيلوساً مّا، وحصلت منه حياة

حيوانيّة سارية في جميع البدن، فيسمّى تلك الحياة، روحاً حيوانيّة مقرّها القلب، وبها تكون قيام البدن.

وقسّام الحياة الحيوانيّة في البدن هذا الرّوح الحيواني، وإذا حصلت هذه النشأة الكاملة لها فالزبدة من الغذاء الباقي في القلب إنجذب الدماغ إليه وأعطاها نضجاً وكيلوساً آخر وحصل منها روحاً نفسانيّاً في الدماغ والحسّ والحركة في البدن مختصّة به.

فإذا تمّت هذه النشاءآت الثلاث في هذه المدّة تمّت مرتبة المواليد الثلاث من المعدن والنبات والحيوان وحصلت الأرواح الثلاثة المذكورة من الرّوح النباتي والحيواني والنفساني، فلم يبق إلاّ مرتبة الإنسان الّتي هي آخر المراتب وأعلاها، فتلك يختصّ بعناية الله تعالىٰ وحسن ألطافه بان يفيض على هذا البدن المسوّاة روحاً إنسانيّاً مطابقاً لما في علمه السابق ليكمل له صورته ومعناه معاً، ويصدق عليه قوله بعد هذه النشاءآت:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

إشارة إلى هذا الترتيب، لأنّ المراد بالتّسوية ترتيب هذه النشاءآت وتخليقه على هذه الصورة في هذه الأطوار، وبإنشاء آخر إفاضة روح الإنسان المضاف إليه من الرّوح الأعظم الرحماني الّذي هو روح الله الأوّل الحقيقي ليصير به كاملاً في الظاهر والباطن ويتمّ معناه وصورته ويطابق قوله بحكمه (بحكمته):

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

قوله:

﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقيل: التسوية المشار إليه كالصيقل للمرآة، وإفاضة الرّوح على البدن كالصورة المرئيّة الظاهرة فيه لأنّا إذا قلنا بتجرّد الأرواح لا يجوز إضافة النزول والحلول إليها بالنّسبة إلى الأجساد والأجسام لأنّ النزول والحلول والخروج والدخول من وظيفة الأجسام والأعراض لا الأرواح المجرّدة والنّفوس النّاطقة المفارقة، وإلى هذا أشار الشيخ الكامل محيى الدين العربي قدّس الله سرّه في أوّل فصوصه:

«وقد كان الحقّ تعالىٰ أوجد العالم (كلّه) وجود شبح مسوّىً لا روح فيها (فيه) فكان كمرآة غير مجلوّة، (...) فاقتضى الأمر جلاء تلك المرآة (جلاء مرآة العالم)، فكان آدم (عين) جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة (...) الّتي هي صورة العالم المعبّر عنه في إصطلاح القوم بالإنسان الكبير».

وهذا الرّوح يسمّى في الشرع «النّفس المطمئنّة» لقوله تعالىٰ:

﴿يَا أَيَّتُهَا النّفس الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾

[الفجر: ٢٧ و٢٨].

والأرواح الثلاثة المذكورة قبله يسمّى أمّارة ولوّامة وملهمة، لقوله تعالىٰ في الأولىٰ:

﴿إِنَّ النّفس لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

ولقوله في الثانية:

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنّفس اللَّوَّامة﴾ [القيامة: ١ و٢].

ولقوله في الثالثة:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧].

وهذه الأرواح كلّها كالآلات والأدوات والأسباب للرّوح الإنساني في تصرّفاته وأحواله وأفعاله وحركاته وسكناته، مأمورون بأمره محكومون لأحكامه، لأنّه كالسلطان وهؤلاء كالرعيّة، لقوله ﷺ:

«كلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيّه».(١٠٥)

وبالحقيقة هو المقصود بالذات من الكلّ، والخليفة على الكلّ وقد سبق بيانه مفصّلاً، وتقدّم تحقيقه مبرهنا في المقدّمة الأولىٰ وسيجيء في المقدّمة... (المخصوصة إلى) بحث الحروف أكثر من ذلك إن شاء الله، هذا وجه من وجوه التطبيق بين الآفاق والأنفس، والإنسان والعالم، وبوجه آخر من كلام العارفين لابدّ من... والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل، وهو هذا:

(العوالم الأربعة ونظائرها من الإنسان)

إعلم أنّ الشيخ الأعظم قدّس الله سرّه ذكر في فتوحاته(١٠٦) المجلّد

---

(١٠٥) قوله: كلّكم راع.

رواه الديلمي في «إرشاد القلوب» الباب ٥١ ص ١٨٤، والسبزواري في «جامع الأخبار» الفصل ٧٥ ص ٣٢٧، وأخرجه المنذري في «الترغيب والترهيب» ج ٣ ص ٦٥ الحديث ٢١.

وراجع «التفسير المحيط الأعظم» ج ٣ ص ٣٥٨ التعليق ١٨٥ وج ٤ ص ١٤٢ التعليق ٨٢.

(١٠٦) قوله: ذكر في فتوحاته.

الأوّل في هذا المعنى فصلاً مطابقاً لهذا التطبيق وهو قوله بعد كلام طويل:

«فنقول: إعلم أنّ العالم (العوالم) أربعة:

العالم الأعلىٰ وهو عالم البقاء، ثمّ عالم الإستحالة وهو عالم الفناء، ثمّ عالم التعمير وهو عالم البقاء والفناء، ثمّ عالم النّسب، وهذه العوالم في موطنين: في العالم الأكبر وهو ما خرج عن الإنسان، وفي عالم الأصغر وهو الإنسان.

فأمّا العالم الأعلىٰ فالحقيقة المحمّديّة وفلكها الحياة، نظيرها من الإنسان اللطيفة والرّوح القدسي، ومن ذلك (منهم) العرش المحيط ونظيره من الإنسان الجسم، ومن ذلك الكرسي ونظيره من الإنسان النفس، ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الإنسان القلب، ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الإنسان الأرواح الّتي فيه والقوىٰ، ومن ذلك زحل وفلكه نظيره من الإنسان القوّة العلميّة والنّفَس، ومن ذلك المشتري وفلكه نظيرهما القوّة الذاكرة ومؤخّر الدماغ، ومن ذلك الأحمر وفلكه نظيرهما القوّة العاقلة (واليافوخ) والكبد، ومن ذلك الشمس وفلكها (ونظيرهما) القوّة المفكّرة ووسط الدماغ، ثمّ الزهرة وفلكها نظيرهما القوّة الوهميّة والرّوح الحيواني، ثمّ الكاتب وفلكه نظيرهما القوّة الخياليّة ومقدّم الدماغ، ثمّ القمر وفلكه نظيرهما القوّة الحسيّة الجوارح الّتي تحسّ (نحسّ)، فهذه طبقات العالم الأعلىٰ ونظائرها في الإنسان.

وأمّا العالم الإستحالة، فمن ذلك كرة الأثير وروحها الحرارة

⊙ «الفتوحات المكيّة» عثمان يحيى ج ٢ ص ٢٣١.

واليبوسة وهي كرة النار نظيرها الصفراء وروحها القوّة الهاضمة، ومن ذلک الهواء وروحها الحرارة والرطوبه نظيره الدم وروحه القوّة الجاذبة، ومن ذلك الماء وروحه البرودة والرطوبة نظيره البلغم روحه القوّة الدافعة، ومن ذلك التراب وروحه البرودة واليبوسة نظيره السّوداء وروحها القوّة الماسكة.

وأمّا الأرض فسبع طبقات (طباق): أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء، نظير هذه السبعة في الإنسان من جسمه الجلد والشحم واللحم، والعروق والعصب، والعضلات، والعظام.

وأمّا عالم التعمير، فمنهم الرّوحانيّون نظيرهم القوى الّتي في الإنسان، ومنهم عالم الحيوان نظيره ما يحسّ في الإنسان، ومنهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الإنسان، ومن ذلك العالم الجماد نظيره ما لا يحسّ من الإنسان.

وأمّا عالم النّسب، فمنهم العرض نظيره الأسود والأبيض والألوان والأكوان، ثمّ الكيف نظيره الأحوال مثل الصحيح والسقيم، ثمّ الكمّ نظيره الساق أطوع من الزراع، ثمّ الأين نظيره العنق مكان الرأس، والساق مكان الفخذ، ثمّ الزمان نظيره حركت رأسي وقت تحريك يدي، ثمّ الإضافة نظيرها هذا أبي فأنا إبنه، ثمّ الوضع نظيره لغتي ولحني، ثمّ أن يفعل نظيره أكلت، ثمّ أن ينفعل نظيره شبعت.

ومنهم اختلاف الصّور في الأمّهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر، نظير هذا: القوة الإنسانيّة الّتي تقبل الصّور المعنويّة من

مذموم ومحمود هذا فطن فهو فيل، هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر».

وبالجملة التطابق بين العالمين واقع وإن اختلفت العبارات وتنوّعت الإشارات من حيث الترتيب والتفصيل.

والحمد لله وحده وهو يقول الحقّ وهو يهدى السبيل.

وإذا تحقّق هذا فلنشرع في التطبيق بين هذين العالمين المعبّرتان عنهما بالكتاب الآفاقي والكتاب الأنفسي وبين الكتاب القرآني حرفاً بحرف وكلمة بكلمة وآية بآية وإن سبق بعض ذلك في المقدّمات والوجوه المتقدّمة على هذه الأبحاث وهو هذا وبالله العصمة والتوفيق.



القاعدة الثالثة

في تطبيق الكتاب الكبير الآفاقي والكتاب الصغير الأنفسي بالكتاب القرآني الجمعي إجمالاً وتفصيلاً

إعلم أنّه قد سبق من كلامنا غير مرّة أن الكتاب القرآني كما هو مشتمل على الحروف والكلمات والآيات فكذلك الكتاب الآفاقي والكتاب الأنفسي، فإنّهما أيضاً مشتملان على الحروف والكلمات والآيات، وقد خصّ من المقدّمات السبعة المقدّمات الثلاثة منها بهذه المراتب من الحروف والكلمات والآيات كما ستعرفها في موضعها مفصّلاً إن شاء الله.

وأمّا من حيث التطابق بقدر هذا الموضع فالحروف القرآنيّة كما أنّها منحصرة في ثمانية وعشرين حرفاً من حروف التهجّي، فكذلك الحروف الآفاقيّة الّتي بإزائها، فإنّها أيضاً منحصرة في ثمانية وعشرين حرفاً من بسائط العالم ومفرداته، لأنّ البسائط والمفردات بإزاء الحروف من غير

خلاف، وبسائطه أربعة عشرة من حيث الملك.

والظاهر الّتي هي الهيولىٰ الأولىٰ المعبّر عنها بالعنصر الأعظم والعرش والكرسيّ والأفلاك السبعة والعناصر الأربعة، وكذلك من حيث الملكوت والباطن فإنّ لكلّ ملك ملكوت كما أنّ لكلّ ظاهر باطن وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

فيكون المجموع على هذا التقدير ثمانية وعشرين بسائط.

(كلمات القرآن وآياته من حيث الباطن غير متناهية)

وأمّا الكلمات فالكلمات القرآنيّة كما أنّها منحصرة في أعداد معيّنة من حيث الظاهر والتركيب وغير متناهية من حيث الباطن والتحقيق.

وكذلك الكلمات الآفاقيّة فإنّها أيضاً من حيث الإجمال، والظاهر منحصرة في أعداد معيّنة الّتي هي الإنسان والملك والجنّ والمعدن والنبات والحيوان، وإن كانت غير منحصرة من حيث التفصيل والباطن، لأنّ الممكنات من حيث الأشخاص غير متناهية، وإن كانت من حيث الأنواع متناهية وكذلك المظاهر الإلهيّة، وإلى أمثال هذه الكلمات أشار بقوله وقال:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وأمّا الآيات، فالآيات القرآنيّة كما أنّها منحصرة من حيث الظاهر في أعداد معيّنة على اختلاف الروايات ومن حيث الباطن غير منحصرة في عدد معلوم بل هي غير متناهية، فكذلك الآيات الآفاقيّة فإنّها من حيث

الإجمال وإن كانت منحصرة في أعداد معيّنة بإتفاق القُرّاء والعلماء لكن من حيث الباطن والتحقيق غير متعدّدة في عدد معيّن وبل هي غير متناهية كما تقرّر في الكلمات، لأنّ الآيات مركّبة من الكلمات والكلمات غير متناهية فبطريق الأولىٰ أن تكون الآيات كذلك، وإليها الإشارة بقوله:

﴿اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، إلى قوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

فإنّ الكلّ آياته الباهرة وكلماته الزاهرة.

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد[١٠٧]

فثبت بهذا أن للعالم المعبّر بالكتاب الكبير حروف بسيطة من بسائط الموجودات، ومفرداتها وكلمات مركبة من مركّبات العالم ومواليدها، وآيات معيّنة من أنواع العالم وأجناسها، والعالم من حيث هو عالم كتاب جامع لهذه الحقائق الثلاث الّتي بها ثبت (يثبت) له إسم الكتاب، لأنّ الكتاب عبارة عن هيئة جامعة من الحروف والكلمات والآيات وهذا كذلك فيصدق عليه أنّه كتاب إلهي ومصحف ربّاني، وسنبيّن لك هذا مبرهنا مفصّلاً في المقدّمات الثلاثة المخصوصة بها إن شاء الله، هذا بالنّسبة إلى الآفاق.

---

(١٠٧) قوله، وفي كلّ شيء.

ذكره ابن العربي في «الفتوحات» ج ١ ص ١٨٤، ونسبه إلى أبي العتاهيّة، وهو أبو إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان، المتوفىٰ ٣١٠.

وأمّا بالنّسبة إلى الأنفس فحيث ثبت بينهما التطابق الصّوري والمعنوي من المقدّمات والقواعد السابقة فثبت أيضاً أنّه كتاب إلهي جامع لهذه الحقائق الثلاث أعني الحروف والكمالات والآيات، لأنّ له أيضاً بحكم التطابق بسائط ومفردات ومركّبات ومشخصات (أشخاص) وأنواع وأجناس من الطبايع والعناصر والمواليد والقوى والأعضاء والجوارح والنفوس الأرواح وغير ذلك، وإلى الكتابين أشار الحقّ تعالىٰ في قوله:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقوله أيضاً:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

إشارة إليهما لأنّه ليس هناك كتاب يكون أهدى إلى الحق تعالىٰ منهما غير القرآن الّذي هو على صورتها إجمالاً وتفصيلاً كما مرّ ذكره مراراً، ولا ينبغي أن يعجبك تطبيق القرآن بالآفاق والأنفس حيث تقرّر أنّ آية منه لها هذه القابليّة وهي:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فإنّها بإتّفاق أهل الله المحقّقين آية كاملة من الفاتحة، وأمّا قابليّتها لتطابق العالم بنفسها كما مرّ غير مرّة لأنّها جامعة للقرآن كلّها كما أنّ الإنسان جامع للعالم كلّه.

أمّا جامعيّة الإنسان للعالم فقد عرفته مراراً.

(جامعيّة «بسم الله» للقرآن)

وأمّا جامعيّة «بسم الله» للقرآن وما فيه فذلك قد سبق في النقل الصحيح الوارد عن النّبيّ وبل عن بائه ونقطته وهو قول النّبيّ ﷺ:

«أنزل الله تعالىٰ من السماء مأة وأربعة كتاب وأودع علوم المأة في الأربعة هي: التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان، ثمّ أودع علوم الأربعة في الفرقان، ثمّ أودع علوم الفرقان في المفصّل منه، ثمّ أودع علوم المفصّل في الفاتحة، ثمّ أودع علوم الفاتحة في «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، ثمّ أودع علوم «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في بائها، ثمّ في نقطتها، فمن علم تفسير فاتحة الكتاب كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزّلة، ومن قرأها وكأنّما قرأ التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان».(١٠٨)

ولهذا قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«لو ثنّيت لي وسادة لجلست عليها وحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم».(١٠٩)

---

(١٠٨) قوله: أنزل الله تعالىٰ من السماء مأة وأربعة كتاب.

راجع التعليق ٧.

(١٠٩) قوله: لو ثنّيت لي وسادت.

رواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٢٦ ص ١٨٢ و١٨٣، عن «بصائر الدرجات»

لأنّه كان عالماً بالفاتحة والقرآن وما في ضمنهما من الأسرارالحقائق، ويدلّ على هذا قوله:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء «بسم الله الرحمن الرحيم»».(١١٠)

وتفصيل الفاتحة على القرآن، وتفصيل بسم الله (على الفاتحة) مع أنّهما منه لأفضليّتهما وجامعيّتهما الفضائل المذكورة بقوله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وسرّ ذلك وهو أنّ الفاتحة في القرآن بمثابة الإنسان في العالم،كذلك «بسم الله الرحمن الرحيم» كما سبق تقريره، والإنسان جامع لجميع العالم فيكون الفاتحة و«بسم الله» كذلك.

وهاهنا أسرار ستعرفها عند تأويل الفاتحة على ما ينبغي.

(جامعيّة «بسم الله» للعالم ومراتبه)

وأمّا جامعيّة «بسم الله» للعالم ومراتبه الكلّيّة فنذكره بوجهين: الأوّل على طريق أرباب التصوّف، والثاني على طريق أهل الحكمة.

أمّا أرباب التصوّف فيكفي فيه ما ذكرناه إجمالاً والّذي سنذكره عند تأويل الفاتحة، فأمّا تفصيلاً فأحسنه وألطفه ما ذكر كمال الدّين عبد الرّزاق

⮌ بأسناد مختلفة وبعبارات مختلفة، الحديث ٨ و٩ و١٠ و١١ وأيضاً ج ٣٥ ص ٣٨٧ الحديث ٥، وأيضاً ج ٤٠ ص ١٣٦ الحديث ٢٨.

(١١٠) قوله: والله لو شئت لأوقرت.

راجع التعليق ٢٧.

قدّس الله سرّه في أوّل تأويله(١١١) وهو قوله:

«وهاهنا لطيفة، وهي أنّ الأنبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجّي بإزاء مراتب الموجودات، وقد وجدت في كلام عيسى عليه السلام وأميرالمؤمنين عليه السلام ما يشير إلى ذلك، ولهذا قيل:

«ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم».(١١٢)

إذ هي الحرف الّذي يلي الألف الموضوعة بإزاء ذات الله فهي إشارة إلى العقل الأوّل الّذي هو أوّل ما خلق الله المخاطب بقوله تعالى:

«ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ ولا أكرم عليّ منك، بك أعطي، وبك آخذ، وبك أثيب، وبك أعاقب». الحديث.(١١٣)

---

(١١١) قوله: في أوّل تأويله.

تفسير القرآن الكريم المطبوع باسم محيي الدين عربي (سهواً) ج ١ ص ٨.

(١١٢) قوله: ظهرت الموجودات.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢١٠ التعليق ١٣.

ورواه الهمداني «بحر المعارف» ج ٢ ص ٦٦٠ عن بعض أهل الإشارة عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

(١١٣) قوله: ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ.

الحديث معروف وورد بأسناد مختلفة وألفاظ متعدّدة، منها ما روى الصدوق في «الأمالي» المجلس ٦٥ الحديث ٥، ص ٣٤٠، بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«لمّا خلق الله عزّ وجلّ العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر ثمّ قال له: وعزّتي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملك إلاّ فيمن أحب أما إنّي إيّاك

والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر والمكتوبة تسعة عشر، وإذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف إلى إثنين وعشرين، فالثمانية عشرة إشارة إلى العوالم المعبّرة عنها بثمانية عشر ألف عالم، إذ الألف هو العدد التامّ المشتمل على باقي مراتب الأعداد فهو أمّ المراتب الّذي لا عدد فوقه، فعبّر بها عن أمّهات العوالم الّتي هي: عالم الجبروت وعالم الملكوت، والعرش والكرسيّ، والسماوات السبع، والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة الّتي ينفصل كلّ واحد منها إلى جزئيّاته والتسعة عشر إشارة إليها مع الإنسان (العالم الإنساني) فإنّه وإن كان داخلاً في عالم الحيوان إلاّ أنّه بإعتبار شرفه وجامعيّته للكلّ وحصره للوجود، عالم آخر له شأن وجنس برأسه، له برهان كجبرئيل من بين الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ جِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

والألقاب الثلاثة المحتجبة الّتي هي تتمّة الإثنين والعشرين عند الإنفصال إشارة إلى العالم الإلهي الخفيّ (الحقّ) بإعتبار الذات والصفات والأفعال، فهي ثلاثة عوالم عند التفصيل، وعالم واحد عند التحقيق، والثلاثة المكتوبة إشارة إلى ظهور تلك العوالم على المظهر الأعظم الإنساني ولإحتجاب العالم الإلهي حين سئل رسول الله ﷺ عن ألف

⊃ آمره وإيّاك أنهى، وإيّاك أثيب».

وروى مثله الكليني في «الكافي» أيضاً في المصدر نفسه الحديث ٢٦ و٣٢، ومنها ما روى البرقي في «المحاسن» كتاب مصابيح الظلم، باب العقل ص ١٩٢، الحديث ٤ و٥ و٦ و٧ و٨، عنه «البحار» ج ١ ص ٩٦، الحديث ٣ و٤ و٥ و٦.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٣١٧ التعليق ٧٥.

«الرحمن» (ألف الباء) إين ذهبت؟ قال:

«سرقها الشيطان وأمر بتطويل باء بسم الله تعويضاً عن ألفها».

إشارة إلى إحتجاب الهويّة الإلٓهيّة في صورة الرحمة الإنتشاريّة، وظهورها في الصورة الإنسانيّة بحيث لا يعرفها إلاّ أهله وقد ورد في الحديث النبويّ:

«أنّ الله تعالىٰ خلق آدم على صورته».(١١٤)

فالذّات محجوبة بالصفات والصفات بالأفعال والأفعال بالأكوان والآثار، فمن تجلّت له (عليه) الأفعال بإرتفاع حجب الأكوان توكّل، ومن تجلّت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلم،من تجلّت عليه الذّات بإنكشاف حجب الصفات فنا في الوحدة فصار موحداً مطلقاً.

والغرض من ذلك أن يثبت بقول غيرنا كما ثبت بقولنا أنّ:

«بسم الله الرحمن الرحيم» الّتي هي آية واحدة من القرآن، أو كلمة واحدة عند البعض، وهي جامعة لجميع العالم ومراتبه العلويّة والسفليّة والحضرات الإلٓهيّة فضلاً عن القرآن، وقد ثبت ذلك، والحمد لله وحده، هذا من حيث التصوّف.

وأمّا من حيث الحكمة فقد ذكر حكيم الفاضل أفضل الدين الكاشي قدّس الله سرّه في بعض رسائله بالفارسيّة هذا المعنى بعينه، نذكره ونختم هذا لبحث عليه، وهو هذا تعريباً لقوله:

---

(١١٤) قوله: أنّ الله تعالىٰ خلق آدم.

راجع التعليق ٥٥.

(مراتب العوالم على رأي الحكماء)

«إعلم، أنّ مراتب عالم الأرواح والأجسام منحصرة في تسعة عشر مرتبة كلّية عدد حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» كعالم الأمر والعقل والنّفس والطبيعة والأفلاك والأنجم والهيولىٰ والطبائع الأربعة والمواليد الثلاثة، وتفصيل ذلك على الترتيب بعد المبدع الأوّل جلّ جلاله، وهو أنّ المرتبة الأولىٰ مرتبة الأمر الصادر منه بغير واسطة، والمرتبة الثانية مرتبة العقل الكلّي الصادر من الأمر بغير واسطة، والمرتبة الثالثة مرتبة النفس الكلّيّة الصادرة من الأمر بواسطة العقل، والمرتبة الرابعة مرتبة الطبيعة الكلّيّة الصادرة من الأمر بواسطة النّفس والعقل، والمرتبة الخامسة مرتبة الفلك المستقيم الصادرة من الأمر بواسطة هذه الثلاث، والمرتبة السادسة مرتبة الفلك البروج بالوسائط، والمرتبة السابعة مرتبة فلك زحل بالوسائط، والثامنة مرتبة فلك المشتري بالوسائط، والتاسعة مرتبة فلك مريخ بالوسائط، والعاشرة مرتبة فلك الشمس بالوسائط، والحادي عشرة فلك الزهرة بالوسائط، والثاني عشرة مرتبة فلك عطارد بالوسائط، والثالث عشرة مرتبة فلك القمر بالوسائط، والرابع عشرة مرتبة الهيولىٰ، والخامس عشرة مرتبة النار، والسادس عشرة مرتبة الهواء، والسابع عشرة مرتبة الماء، والثامن عشرة مرتبة التراب، والتاسع عشرة مرتبة المواليد إذا أعدّها بواحدة، وليس هناك مرتبة خارجة عن هذا المراتب أصلاً لأنّ العالم بأسره منحصرة في هذه المراتب من غير زيادة ولا نقصان.

هذا من حيث الترتيب.

وأمّا من حيث خصوصيّة كلّ عالم بحرف من حروف «بسم الله

الرحمن الرحيم» فذلك يحتاج إلى بسط وهو هذا، لكن قبل الشروع فيه يجب عليك أن تعرف أنّ هذا الأمر كما أنّه أمر واحد صادر عن الحقّ تعالىٰ دفعة واحدة لقوله:

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وأنّه جامع لجميع المراتب من الأزل إلى الأبد، والّذي يدخل تحت الزمان والمكان إلى قيام الساعة وليس له شبيه ولا نظير، في المخلوقات الصادرة من الإبداع والإختراع، فكذلك «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإنّها آية أو كلمة صادرة عن الحقّ بغير واسطة، شاملة لكلّ واحد من الكتابين القرآني والآفاقي وما اشتمل عليها من الأسرار والحقائق، وليس لها شبيه ولا نظير في الكلمات والآيات الصادرة من الأمر لقوله:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].(١١٥)

وكذلك الإنسان الكبير والإنسان الصغير كما سبق ذكرهما، فإنّهما وقعا في الوجود موقع «بسم الله الرحمن الرحيم» في القرآن، ومن هذا صدق قوله تعالىٰ:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

من غير أن يتصوّر أنّ الكاف زايدة بل على طريق أن يكون الكاف نفس الكلمة وسيجيء بيان ذلك في موضعه إن شاء الله هذا مضىٰ.

وأمّا خصوصيات كلّ حرف بعالم أو بالعكس،

---

(١١٥) قوله: إنّما قولنا.

وفي آية أخرىٰ.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢.

(تطبيق حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» على أجزاء مراتب العالم)

فاعلم، أن حرف الباء في «بسم الله» بإزاء المرتبة الأولىٰ الّتي هي مرتبة الأمر وليس فوقها مرتبة في الوجود وهو الأمر الّذي يرجع الكلّ إليه لقوله:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣].

وهذا المراد من قولهم: «ليس وراء عبادان قرية»، لأنّ فوق مرتبة الأمر مرتبة الأحديّة ولا دخل لها في الوجود الكوني الإمكاني، ولأجل أن رجوع جميع الأمور يكون إليه كما كان المصدر منه قال تعالىٰ:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أعني كما بدأنا بالإيجاد من الأمر الّذي هو أوّل صادر منّا فكذلك يكون في الإعادة يعني يكون رجوع إليه لا غير.

فتقرّر أنّ البداية من الأمر والنهاية إليه وكذلك الوسط الّذي بينهما، لأنّ المراتب منحصرة في هذه الثلاث أعني البداية والوسط والنهاية، ويسمّى هذا الأمر إبداعاً وإختراعاً وفيضاً واثراً وإيجاداً وإحداثاً وخلقاً، والموجد لهذا الأمر واجباً، ومبدعاً، وموجدا، ومؤثراً، وواحداً،أحداً، ومطلقاً، ومجرداً، وبسيطاً، وأمثال ذلك.

(أسماء العقل الكلّي)

وأنّ حرف السين في «بسم الله» بإزاء المرتبة الثانية الّتي هي مرتبة العقل الكلّي الّذي هو أوّل موجود صدر من الأمر بغير واسطة، ومن هذا

قيل: «**أن العقل فعل خاصّ صادر من الأمر بغير واسطة، وكلّ ما دونه فعل صادر من الأمر بواسطته**»، ويسمّى هذا: العقل، الواحد، المتكثّر، والهيولى، والجوهر الأوّل، والطبيعة الكلّيّة الأولىٰ، والعلّة الأولىٰ والمعلول، والممكن بالذات، وكاف الأمر، ونون الإيجاد، والقلم الأعلىٰ، والدوات الأعظم، والعرش العظيم، والإنسان المطلق، وآدم الحقيقي، والنطفة الأولىٰ والمادّة العظمىٰ.

وكلّ ما صدر في هذا لعالم وبرز من القوّة إلى الفعل كان في ذات هذا العقل مكنونة كالشحرة في النواة، والإنسان في النطفة، فإنّه لو لم تكن هذه كلّها فيه بالقوّة ما ظهر عنه بالفعل، وهذا قاعدة مقرّرة: أنّ كلّ ما يكون في شيء بالقوّة ما يظهر عنه بالفعل وذلك تقدير العزيز العليم.

وأنّ حرف الميم في «بسم الله» بإزاء المرتبة الثالثة الّتي هي مرتبة النّفس الكلّيّة، والثانية من العقل الصادر بواسطة من الأمر ويسمّى هذا الموجود بالكرسي واللّوح ونون الأمر والإنسان الثاني وحواء الحقيقي الصادر من العقل الأوّل الّذي هو بمثابة آدم كصدور حوّاء من آدم عليه السلام.

وحرف الألف في «الله» بإزاء المرتبة الرابعة الّتي هي مرتبة الطبيعة الكلّيّة وفي خليفة النّفس الكلّيّة وعاملها ومادّة الأفلاك والأنجم، وأصل مفردات العالم والطبائع الأربعة من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

وحرف اللاّم الأوّل في «الله» بإزاء الفلك المستقيم الّذي يحيط بجميع الأفلاك وبحركتها، وحركته من جانب المشرق إلى المغرب على وتيرة واحدة، وبهذا سمّي الفلك المستقيم وفي كلّ يوم وليلة له حركة واحدة مستقيمة ويسمّى هذا الفلك أيضاً. الفلك الأعظم، والأطلس، والأقصى، والأملس، والعرش ومظهر الرحمن، وغير ذلك من الأسماء بحسب

الإعتبارات.

(أسماء الأبراج)

وحرف اللام الثاني في «الله» بإزاء فلك البروج ويسمّى فلك الثوابت وينقسم إلى إثنى عشر قسمة كرية يسمّى كلّ قسم منها برجاً من الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدّالي (الدلو)، والحوت.

وينقسم أيضاً إلى ثمانية وعشرين منزلاً من منازل القمر، وحركته تكون بخلاف حركة الفلك الأعظم أعني يكون من المغرب إلى المشرق الّذي هو عكس حركة الفلك الأعظم ومن هذا يعلم نزول كلّ كوكب في برج من الأبراج.

وحرف الهاء في «الله» بإزاء فلك زحل وحركته تارة تكون مستقيماً وتارة تكون غير مستقيم وسيره في البروج المذكورة في مدّة ثلاثين سنة كاملة.

وحرف الألف في «الرحمن» بإزاء فلك المشتري والمشتري حركته تارة يكون من المشرق إلى المغرب وتارة من المغرب إلى المشرق ويقطع البروج كلّها في مدّة إثنا عشر سنة.

وحرف اللاّم في «الرحمن» بإزاء فلك المريخ وحركته كحركة زحل والمشتري تارة تكون من المشرق إلى المغرب وتارة بالعكس، ويقطع البروج كلّها فيمدّة سنة ونصف سنة.

وحرف الراء في «الرحمن» بإزاء فلك الشمس وحركتها مستقيمة على وتيرة واحدة وهي من المغرب إلى المشرق ويقطع البروج في مدّة سنة

واحدة.

وحرف الحاء في «الرحمن» بإزاء فلك الزهرة وحركتها كحركات الكواكب المذكورة غير الشمس أعني تارة تكون من المشرق إلى المغرب وتارة من المغرب إلى المشرق ويقطع البروج كلّها في مدّة عشرة أشهر.

وحرف الميم في «الرحمن» بإزاء فلك عطارد، وحركته تارة تكون مستقيمة وتارة تكون غير مستقيمة كما لكواكب أخر، ويقطع البروج بإحدى عشرة أشهر، وذلك لأنّ رجعته أكثر من الزهرة.

وحرف النّون في «الرحمن» بإزاء فلك القمر وحركته مستقيمة كحركة الشمس أعني من المغرب إلى المشرق، ويقطع البروج كلّها في مدّة شهر أو أقلّ على حسب تفاوت سيره.

وحرف الألف في «الرحيم» بإزاء الهيولى العنصريّة ووجودها من الأمر بواسطة هذه الوسائط كلّها ويسمّى طبيعة خامسة عند البعض.

وحرف اللاّم في «الرحيم» بإزاء جوهر النار الّذي تحت فلك القمر وفوق كرة الهواء.

وحرف الراء في «الرحيم» بإزاء جوهر الهواء الّذي تحت النار وفوق الماء.

وحرف الحاء في «الرحيم» بإزاء جوهر الماء الّذي تحت الهواءفوق الأرض.

وحرف الياء من «الرحيم» بازاء جوهر الأرض الّذي تحت الماء ويسمّى مركز العالم ويعبّر الشرع عنه بأسفل سافل.

وحرف الميم من «الرحيم» بإزاء المواليد الثلاث من النبات والمعدن والحيوان. هذا آخر التقريب وآخر التطبيق.

والغرض من ذلك أن يتحقّق عندك أنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» الّتي هي آية من آياته أو كلمة من كلماته وهي جامعة للجيمع وشاملة للكلّ وقد تحقّق ذلك.

وهاهنا لطيفة شريفة ونكتة غريبة وهي: أنّا أردنا أن نثبت أنّ القرآن صورة إجمال العالم وتفصيله، وما اكتفينا به حتى أثبتنا أنّ آية من آياته أو كلمة من كلكاته مترتبة على هذا، وهذا من كمال القدرة والتمكّن من الكشف والحقائق، والكلّ بعناية الله تعالىٰ وحسن توفيقه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم.

وقد بيّنا هذا المعنى أيضاً في الكتاب الآفاقي وأنّ الإنسان فيه مقام «بسم الله الرحمن الرحيم»، وكذلك في الكتاب الأنفسي وأنّ القلب فيه مقام «بسم الله الرحمن الرحيم»، وسنبيّنه في موضعه أكثر من ذلك إن شاء الله.

والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لو لا أن هدانا الله يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للنّاس والله بكلّ شيء عليم.

وإذا تحقّقت هذا وعرفت تطبيق العالم بحروف «بسم الله الرحمن الرحيم» مرّتين: الأولىٰ على مذهب اهل الله وأهل التوحيد، والثانية على مذهب الحكماء من أرباب العقول، فلنشرع فيه على سبيل التشكيل الصّوري بطريق الدوائر والجداول، ونجعل لك هناك صورة دائرتين مشتملين على هذه العوالم، الأولىٰ على طريقة الطائفة الأولىٰ والثانية على طريقة الطائفة الثانية.

والغرض من ذلك مؤانسة النّفس بالقوى الخياليّة الحسيّة وأخذ المعاني المعقولة عنه بواسطة الحسّ الخيالي، لأنّ التصرّف وإن كان للنفس في

جميع الأمور لكن لها أسباب وآلات لا يتصرّف في شيء من الجزئيّات إلاّ بها، والحواسّ العشرة هذا علّتها أي علّة إيجادها ليأخذ النّفس بواسطتها حضّها من عالم الحسّ كما يأخذ حظّها عند تجرّدها عنها من عالم العقل، ومن هذا قيل إنّها مدركة للكلّيات بذاتها وللجزئيّات بآلاتها، لأنّها ما تتمكّن من التصرّف في شيء من عالم الحسّ إلاّ بواسطة الحواسّ، وذلك لو لم يكن كذلک ما جعل الله تعالىٰ في كتابه الكريم أكثر أخبار الغيبيّة والأسرار الأخرويّة في صورة مثال حسّي، وضرب مثل شهاديّ كإخباره مثلاً عن اللذّات المعنويّة الحقيقيّة والنعيم الجنانيّة الذوقيّة في صورة اللبن والعسل والفاكهة والحور والقصور والغلمان والرّضوان وأمثال ذلك، لأنّ هذه كلّها لو كانت من حيث الصورة كما تصوّرها المحقّقين لم يكن يقول في القرآن:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

ولم يكن يقول في الحديث القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».(١١٦)

ولم يكن يقول العارف الربّاني عليه السلام:

«كلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكلّ شيء من العقبىٰ

---

(١١٦) قوله: أعددت لعبادي الصالحين.

راجع في تفصيل مصادره «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٣٠٧ التعليق ٦٥ وج ٣ ص ٨٩ التعليق ٥١.

عيانه أعظم من سماعه».

ولم يكن العارف يقول:

«إنّ لله تعالىٰ جنّة ليس فيها حور ولا قصور ولا لبن ولا عسل بل يتجلّىٰ فيها ربّنا ضاحكاً متبسّماً».(١١٧)

وهذا إخبار عن كمال الكشف ونهاية المشاهدة بالنّسبة إلى جماله وجلاله وإلاّ وهو منزّه عن الضّحك الصّوري والتّبسّم الحسّي، وكذلك قول النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر».(١١٨)

فإنّه إخبار عن الكشف التامّ بحيث لا يبقىٰ معه شكّ ولا شبهة المعبّر عنه أيضاً بحقّ اليقين لقوله:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وإلاّ وهو منزّه عن رؤية البصريّة بمعاونة الحسّ.

(الآية: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ وبيان المراد من مفرداتها)

---

(١١٧) قوله: إنّ لله تعالىٰ جنّة.

قد مرّت الإشارة إليه في «تفسير المحيط الأعظم» ج ٣ ص ٣٢١ التعليق ١٦٣.

(١١٨) قوله: سترون ربّكم.

رواه الصدوق في «معاني الأخبار» ج ٧٢، وأخرجه ابن حنبل ج ٤ ص ١٦٠ وص ٢٦٥.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ١٦١ التعليق ٦٩ وص ٥٤٩ التعليق ٣٤٨ وج ٤ ص ١٧١ التعليق ١٠٥ وص ٢١٤ التعليق ١٤٧.

والدليل على هذه كلّه أنّه أخبر عن مشاهدته في صور الأسماء ومظاهره الفعليّة بضرب مثل في صورة المشكاة والمصباح والزّجاجة والشجرة والزّيتون وأمثال ذلك لقوله جلّ ذكره:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥].

فهذا لو لم يكن يخبره عنه بهذا الوجه فعرفنا أنّ المراد بمثل هذا في جميع المواضع تقريب الذّهن إلى المعاني المقصودة بالذّات وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

وسرّ هذه الأمثال المضروبة في صورة هذه الأشباح الحسيّة، وقد تقدّم مبسوطاً وسيجيء أبسط منه لكن بحسب الحال.

المراد بالنور المشار إليه: ذاته المجرّدة ووجوده المطلق، وبالمشكاة في الآفاق: عالم الأجسام والجسمانيّات، وفي الأنفس: البدن والحواسّ، وبالمصباح في الآفاق: عالم الأرواح القدسيّة والعقول المجرّدة المعبّرة عنه بالجبروت، وفي الأنفس: العقول الجزئيّة والأرواح المجرّدة الإنسانيّة، وبالزّجاجة في الآفاق: النفوس والملكوت الّتي هي مظاهر (الجبروت)، وفي الأنفس: النّفس الناطقة الجزئيّة أو النّفس الحيوانيّة المنطبعة، وبالشجرة المباركة في الآفاق: الوجود، وفي الأنفس: الرّوح المجرّد، ونسبتها إلى الزيتون كما إضائتها وإبقاء وجودها دون إدهان أخرى، وصفة الشجرة أنّها لا شرقيّة ولا غربيّة، لأنّ الوجود ليس من عالم الأرواح الصّرف ولا من عالم الأجسام المحض.

وكذلك حقيقة الإنسان من حيث هي هي فإنّها ليست من العالمين، وهاهنا أسرار وإشارات، والغرض منه أن تعرف أنّ في أكثر المواضع من هذا الكتاب ذكر المعاني المعقولة والمعارف الكشفيّة في صورة أشكال ودوائر هذا هو لا غير، أي إيصال المعاني إلى الذّهن بواسطة التشكيل (الشكيل) الحسّي الصّوري، وأيضاً قد ضربنا من أنفسنا وشاهدنا في عقولنا، إنّا إذا رأينا صورة مسئلة عقليّة في أشكال حسيّة تميل قلوبنا إليها بعد أن كان متنفّراً عنها في غير تلك الصورة، لأنّ كثير من المسائل قد رأيناها يشكل علينا في صورة المعقول ويسهل علينا في صورة المحسوس، وهذا أمر وجداني يوجد كلّ عاقل من نفسه.

وأقلّ ذلك مشاهدة وحدة الوجود وكثرته في صورة البحر وأمواجه فإنّ هذا من أشكل المسائل وأصعبها، ثمّ مشاهدته في صورة الواحد وكثرته العدديّة وأمثال ذلك.

ويعرف صدق هذا أيضاً من الرؤيا في النوم، فأنّ الرؤيا في الحقيقة ليس إلاّ مشاهدة عالم العقول في صورة المحسوس لقوّة تصرّف الحسّ الباطن في تلك الحالة سيّما القوّة الخياليّة المقيّدة المحاذية للقوّة الخياليّة المطلقة المعبّر عنها بعالم الأمثال المشتمل على العرش والكرسيّ والسموات والأرض وما بينهما من الموجودات.

وبالجملة بين النّفس والحواسّ تعلّق العشق بسبب أنّها آلة لها بها تدرك المحسوسات وبها تحفظ المعقولات فكلّ ما كانت المعاني من صورة الحواسّ أحسن وألطف فأخذها منها يكون أسهل وأيسر والله أعلم وأحكم، وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون.

وإذا تقرّر هذا فلنرجع إلى المقصود ونقول ليس تطبيق العالم بحروف

«بسم الله الرحمن الرحيم» ولا حصرها في ثمانية عشر ألف عالم أو في تسعة عشر بعجب فإنّ هذا يمكن في كثير من الآيات القرآنيّة منها ما بيّناه في بيان قوله تعالىٰ:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: ٤].

فإنّه قد تقرّر أنّ المراد بالأيّام الستّة المراتب الستّ الوجودي وبالسموات والأرض عالم العقول والأرواح وعالم الأجسام والمركّبات وهذه كلّها منحصرة في مراتب ثلاثة كلّية، وهي عالم العقول وعالم النفوس وعالم الأجسام، وكلّ كلّيات منها مشتملة على جزئيّات كثيرة أقلّها الألف فتكون الستّة من المعقول والستّة من النفوس والستّة من الأجسام ثمانية عشر ألف عالم، لأنّ الأوّل ظلّ الثاني، والثاني ظلّ الثالث أو هذا عكس صورة ذاك وذاك عكس صورة ذاك الآخر، وقد بسطنا الكلام في هذا مفصّلاً مبسوطاً قبل هذا في فصل مفرد مخصوص بالتطابق بين القرآن والعالم فاطلب هناك.

وأمّا الدائرة فالدائرة الأولىٰ من الدائرتين وهي مشتملة على ثمانية عشر دائرة ملصقة بالدائرة الكبرىٰ المحيطة، فتلك صورة العوالم المعبّرة عنهما بثمانية عشر ألف عالم، والدائرة الوسطيّة المخصوصة بالإنسان وهي تمام العدد المطابق لحروف «بسم الله» الّتي هي التسعة عشر، والدوائر الثلاثة الّتي هي حواليها أعني على طرف الدائرة الوسطيّة هي إشارة إلى العوالم الثلاثة الإلٰهيّة المخفيّة بإزاء الألفات الثلاث المخفيّة في «بسم الله الرحمن الرحيم»، الأولىٰ منها بين الباء والسين، والثانية بين لام «الله» وبين هائه، والثالثة بين ميم «الرحمن» وبين نونه، وعبّرت عنها بالألفات الملفوظة لا الملكوتيّة، هذا ترتيب الدائرة الأولىٰ.

فأمّا الدائرة الثانية فترتيبها في الجداول هذا بعينه لكن يتغيّر تعيّن العالم فيها بحسب الإصطلاح والعبارة، والعدد لا يزيد على عدد حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» والدائرة بأسرها مشتملة على تسعة عشر دائرة فقط، وهذه صورة الدائرة وبالله التوفيق.



كلّيات هذه العوالم إجمالاً أربعة وهي مكتوبة على أطرافها

هذه الدائرة موضوعة لتعداد العوالم الكلّيّة تارة على حروف «بسم الله» الّتي هي تسعة عشر حرفاً في الكتابة وإثني عشرين حرفاً في التلفّظ، وتارة على عدد الخبر الوارد: أنّ العالم إجمالاً ثمانية عشر ألف عالم، فالدوائر الملصقة بالدائرة الكبيرة إشارة تصريحاً إلى ثمانية عشر ألف عالم والدائرة الوسيط الإنسانيّة عن تسعة عشر، والدائرة الثلاثة الّتي حواليها عن العوالم الثلاثة الإلّهيّة وهي على طريق أهل الله وخاصّته من أهل التوحيد.

كليات هذه العوالم اجمالا اربعة وهي مكتوبة على الاطراف

الاول
الجبروت

الثاني
الملكوت

الثالث
العرش

الرابع
الكرسي

الثامن عشر
الحيوان

السابع عشر
النبات

السادس عشر
المعدن

حضرة الذات
الاحدية

التاسع عشر
الانسان

حضرة الصفات
الالهية

حضرة الافعال
الربانية

٢٠٢

(متن الدائرة)

الجبروت – الملكوت – الإنسان – الملك

ب – الأوّل الجبروت: هذا عالم كلّيّ مشتمل على جزئيّات كثيرة من العقول المجرّدة والجواهر العالية، أقلّ عددها الألف.

س – الثاني الملكوت: هذا عالم كلّيّ مشتمل على جزئيّات كثيرة من النفوس والأرواح القدسيّة، أقلّ عددها الألف.

م – الثالث العرش: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الملائكة، أقلّ عددها الألف.

ا – الرابع الكرسيّ: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الملائكة، أقلّ عددها الألف.

ك – الخامس فلك زحل: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الكواكب وغيرها، أقلّ عددها الألف.

ل – السّادس فلك المشتري: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من أنواع الملك، أقلّ عددها الألف.

ه – السابع فلك المريخ: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الملك، أقلّ عددها الألف.

ا – الثامن فلك الشمس: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الملك، أقلّ عددها الألف.

ك – التاسع فلك الزهرة: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الملك، أقلّ عددها الألف.

ر – العاشر فلك عطارد: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من

الملك، أقلّ عددها الألف.

ح - الحادي عشر فلك القمر: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الملك، أقلّ عددها الألف.

م - الثاني عشر كرة النار: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الجنّ، أقلّ عددها الألف.

ن - الثالث عشر كرة الهواء: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الحيوانات والطيور، أقلّ عددها الألف.

ا - الرّابع عشر كرة الماء: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الحيوانات البحريّة، أقلّ عددها الألف.

ل - الخامس عشر كرة الأرض: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من الحيوانات الأرضيّة، أقلّ عددها الألف.

ر - السّادس عشر المعدن: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من أنواع المعدنيّات وأصنافها، أقلّ عددها الألف.

ح - السابع عشر النبات: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من أنواع النباتات، أقلّ عددها الألف.

ى - الثامن عشر الحيوان: هذا عالم كلّي مشتمل على جزئيّات كثيرة من أنواع الحيوانات، أقلّ عددها الألف.

م - التاسع عشر الإنسان: هذا ميم الرحيم بإزاء العالم الإنسانيهو آخر العوالم المذكورة على الترتيب االأوّل، وأوّل العوالم كلّها عند التحقيق لأنّ الكلّ منه صدر وإليه رجع: «منه بدأ وإليه يعود» وهو الجامع للجميع قوّة وفعلاً، وإليه أشارﷺ:

«خلق الله تعالىٰ (آدم) على صورته».

وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

حضرة الذات

هذا عالم إلهي وجناب قدسيّ منه صدرت العوالم كلّها ومنه نشأت الموجودات.

هذا عالم بإزاء ألف «بسم الله» الّتي هي غير ملفوظة بسبب إندراجها في التركيب حين التلفظ وهي حضرة خفية في الظاهر، ظاهرة في الباطن كما أشار إليه صاحب التأويل.

حضرة الصفات

هذا عالم كلّي وجناب رحماني منه صدرت المجرّدات والمعقولات والرّوحانيّات بأسرها.

هذا عالم بإزاء ألف الله الّتي هي أيضاً غير ملفوظة بسبب إندراجها في التركيب حين التلفظ وهي حضرة خفيّة مع أنّها ظاهرة وقد سبق الإشارة إليها أيضاً.

حضرة الأفعال

هذا عالم كلّي وجناب رحيمي منه صدرت العوالم الجسمانيّة كلّهامنه نشأت المواليد والمركّبات بأجمعها.

هذا عالم بإزاء ألف الرحمان الّتي هي أيضاً غير ملفوظة وقد سبق الإشارة إليها.

وحيث فرغنا من هذه الدائرة الّتي هي على طريق أهل الله من أرباب التوحيد، وتقسيمها تارة على ثمانية عشر ألف عالم، وتارة على تسعة

عشرة عالم، وتارة على إثنين وعشرين عالم.

فلنشرع في الدائرة الّتي على طريق الحكماء من أرباب المعقول فإنّهم أيضاً يوافقون في العدد وإن خالفوا في التعيين، والغرض واحد وهو أنّ العوالم قد وقعت على عدد حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» مطابقاً لقوله عليه السلام:

«ظهرت الموجودات من «باء بسم الله الرحمن الرحيم»».(١١٩)

والله أعلم وأحكم وهذه صورة الدائرة الثانية:



---

(١١٩) قوله: ظهرت الموجودات.

راجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٢١٠ التعليق ١٣.

كلّيات هذه العوالم كلّها إجمالاً أربعة وهـي مكتوبة على أطرافها

هذه الدائرة الثانية موضوعة أيضاً لتعداد العوالم الكلّيّة على حـروف «بسم الله الرحمن الرحيم» تسعة عشر حرفاً وعلى ثمانية عشر ألف عالم وأمثال ذلك، فالدوائر الملصقة بالدائرة الكبيرة المحيطة بأجمعها إشارة إلى ثمانية عشرة ألف عالم لأنّها كـلّيات مشـتملة عـلى جـزئيّاتها والدائـرة الوسطيّة إشارة إلى تسعة عشر الّتي هي النهاية في المراتب وهـذا عـلى طريق الحكماء من أرباب المعقول:

الأول
عالم الأمر

الثاني
عالم العقل

الثالث
عالم النفس

الرابع
عالم الطبيعة

الفلك الأعظم

فلك البروج

التاسع عشر
المواليد الثلاثة

الثامن عشر
كرة الأرض

السابع عشر
كرة الماء

السادس عشر
كرة الهواء

الخامس عشر
كرة النار

الطبيعة

(متن الدائرة)

العقل الأوّل - النّفس الكلّيّة - عالم الأجسام - الطبيعة

(أسماء عالم الأمر والعقل والنّفس والطبيعة)

ب -الأوّل عالم الأمر: هذه مرتبة أوّليّة في الوجود وليس فوقها مرتبة وهو الأمر الّذي يرجع الكلّ إليه، صدر من الحقّ بغير واسطة ويسمّى إبداعاً وفيضاً وإختراعاً وأثراً وإيجاداً، ولموجده واجباً ومبدعاً، وموجداً ومؤثّراً وغير ذلك.

س -الثاني عالم العقل: هذه مرتبة ثانية وهو أوّل موجود صدر عن الأمر بغير واسطة، وكلّ ما دونه صادر عن الأمر بواسطة، ويسمّى الجوهر الأوّل والعلّة الأولىٰ والمعلول الممكن وكاف الأمر ونون الإيجاد والقلم الأعلىٰ والذّوات الأعظم وأمّ الكتاب.

م -الثالث عالم النفس: هذه مرتبة ثالثة صادرة من الأمر بواسطة العقل ويسمّىٰ هذا الموجود باللّوح والكرسيّ ونون الأمر وغير ذلك.

ا -الرّابع عالم الطبيعة: هذه مرتبة رابعة صادرة من الأمر بوسائط وهي خليفة النّفس الكلّيّة وتارة الأفلاك والطبائع والمواليد وغير ذلك.

ل -الخامس الفلك الأعظم: هذه مرتبة خامسة صادرة من الأمر بوسائط ويسمّى هذا: الفلك الأطلس والأملس والأقصى والعرش وغير ذلك.

ل -السّادس فلك البروج: هذه مرتبة سادسة صادرة من الأمر بوسائط يسمّى هذا الفلك فلك البروج وفلك الثوابت واللّوح والكرسي

وغير ذلك.

هـ – السابع فلك زحل: هذه مرتبة سابعة صادرة من الأمر بوسائط، وحركة هذا الفلك تارة تكون مستقيمة وتارة غير مستقيمة.

ا – الثامن فلك المشتري: وهذه مرتبة ثامنة صادرة من الأمر بوسائط، وحركة هذا الفلك تارة تكون من المشرق إلى المغرب وتارة من المغرب إلى المشرق.

ل – التاسع فلك المريخ: هذه مرتبة تاسعة صادرة من الأمر بوسائط، وحركة هذا الفلك كحركة فلك زحل.

ر – العاشر فلك الشمس: هذه مرتبة عاشرة صادرة من الأمر بوسائط وحركة هذا الفلك مستقيمة وإنّما على وتيرة واحدة.

ح – الحادي عشر فلك الزهرة: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط وحركته كحركات باقي الكواكب.

م – الثاني عشر فلك عطارد: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط وحركة هذا الفلك تارة تكون مستقيمة وتارة تكون غير مستقيمة.

ن – الثالث عشر فلك القمر: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط وحركته مستقيمة دائماً كحركة الشمس.

ا – الرابع عشر الهيولىٰ العنصريّة: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط ويسمّى طبيعة خامسة عند البعض.

ل – الخامس عشر كرة النار: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط هو تحت فلك القمر وفوق كرة الهوىٰ.

ر – السادس عشر كرة الهواء: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط وهو تحت الهواء وفوق كرة الماء.

ح -السابع عشر كرة الماء: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط وهو تحت الهواء وفوق الأرض.

ى -الثامن عشر كرة الأرض: هذه مرتبة صادرة من الأمر بوسائط وهو تحت الماء والماء محيط بها ويسمّى مركز العالم.

م -التاسع عشر المواليد الثلاثة:

حيث إن هذا الدائرة وقعت على قوس الحكيم ما غيّرنا عباراتهم شيء والغرض واحد وهو تعداد العوالم الكلّيّة غيباً وشهادةً.

هذا ميم «الرحيم» الّتي هي بإزاء المواليد على القاعدة الأولىٰ وهو عالم واحد عند القائل به وعند العرثلة.

هذه الدائرة داخلة بوجه خارجة بوجه آخر أمّا الدخول فمن حيث الحروف المتعلّقة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» فإنّها داخلة بإزاء آخر حروفها، وأمّا الخروج فلأنّا إذا أردنا تعيين العوالم المسمّاة بثمانية عشر ألف عالم ليس لها دخل فيها، وإن كان لها دخل فللهيولىٰ العنصريّة لا تكون دخل، والحقّ هذا عند أهل التحقيق كما سبقت صورته.

وجعلهم المواليد الثلاثة عالماً واحداً وإدخالهم الطبيعة والهيولىٰ الأمر في التعداد غير مطابق لكن لا مشاحّة في الإصطلاح.

وجعلهم عالم الأمر عالماً واحداً برأسه سابقاً على العقل الأوّل الّذي لا يسبقه شيء بقولهم وقول المحقّقين وقول النّبيّ ﷺ:

«أوّل ما خلق الله العقل».

غير مطابق للشرع والعقل كما بيّناه.

(أكثر حكماء المتقدّمين متفقين مع أهل الله)

وحيث فرغنا من هذه الدائرة أيضاً وما يتعلّق بها من الرّموز والإشارات، فلنشرع في أبحاث آخر متعلّقة بها توضيحاً للمبحث وتحقيقاً للمقصد، ومن الله الإستعانة والتوفيق فنقول:

إعلم أنّ الغرض من وضع هذه الدائرة على قاعدة الحكيم خلاف ما ذكرناه وهو أنّ بعضهم ينكرون على أهل الله في أكثر أقوالهم وأفعالهم ويقولون فيهم ما لا يليق بهم فيكون هذه الصورة إلزاماً لهم في إنكارهم عليهم سيّما في هذه الدعوى وجعلهم الأمر عالماً برأسه سابقاً على العقل الأوّل غير مطابق لقولهم: أوّل ما صدر عن الله العقل الأوّل متمسّكاً بقول النّبيّ ﷺ:

«أوّل ما خلق الله تعالىٰ العقل».(١٢٠)

وجعلهم الطبيعة عالم آخر بين النّفس والفلك الأعظم أيضاً غير مطابق لقولهم في موضع آخر في تعداد العالم وترتيبه:

أوّل ما خلق الله العقل، ثمّ النفس، ثمّ الفلك بالوسائط، أو لقولهم: صدر من الله تعالىٰ العقل بغير واسطة وصدرت النّفس من العقل بواسطة وصدر منهما بالإعتبارات المذكورة: فلك وعقل ونفس.

والفلك مركّب من الهيولىٰ والصّورة وجعلهم الهيولىٰ العنصريّة عالم آخر بين فلك القمر والعناصر غير مناسب مع جعلهم المواليد الثلاثة عالم

---

(١٢٠) قوله: أوّل ما خلق الله العقل.

راجع التعليق ٦٠.

برأسه مع كثرتها وإتّساعها.

وهذا التقسيم إن كان على رأي المشّائين من الفلاسفة ففيه هذه الإعتراضات وإن كان على رأي الإشراقيّين من الحكماء المتقدّمين* فهم في أكثر المواضع متّفقين مع أهل الله فكيف يقع الخلاف بينهم في الكليّات.

وهذا التقسيم منقول من كلام الحكيم الفاضل الشيخ الكامل أفضل الدين الكاشي قدّس الله سرّه الّدي كان في بعض العلوم الحكميّة أستاذ الخواجه نصير الدّين الطوسي رحمة الله عليه الّذي هو رئيس الحكماء والمتكلّمين، وعلى جميع التقادير ما يضّرنا حيث إنّه مطابق لمقصودنا بوجه من الوجوه.

والخلاف في ترتيب العالم وتقسيمه بين الحكماء والمتكلّمين وبين الفلاسفة والإشراقيّن وبين أرباب التوحيد من المتقدّمين والمتأخّرين كثير، وقد ذكرنا بعضه في أوّل المقدّمة والبعض الآخر يطلب من مظانّه، فأمّا هذا المقام يقتضي ذكر بعض مفاسدهم في الإلهيّات وخبطهم في الآراء والإعتقادات على حسب ما هو مسطور في كتبهم، واعترضوا عليهم المتكلّمين بأجمعهم.

(الإيراد على قول الحكماء: الواحد لا يصدر منه إلا الواحد)

وأوّل تلك المفاسد قولهم: «الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد»، فالحقّ تعالىٰ واحد فما صدر منه إلاّ الواحد وذلك الواحد هو العقل الأوّل، والعقل

---

*. أقول: وأيضاً الحكمة المتعالية على مباني صدر المتألّهين.

الأوّل صدر منه عقل ونفس وفلك مركب من الصورة والهيولىٰ كما سبق ذكره.

وغرضهم من هذا تنزيه الحقّ عن الكثرة الوجوديّة والإعتباريّة وإيجاد أمثال هذه الموجودات من الجسمانيّات والرّوحانيّات، وكلّ ذلك ينسبون إلى العقل الأوّل بوسائط، والعقل الأوّل إليه من غير واسطة.

والحقّ أنّ هذا تعطيل لا تنزيه، وحيث إنّ بعض اليهود كانوا قائلين بهذا الكلام في زمان رسول اللهﷺ نزل قوله تعالىٰ:

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وسبب ذلك أنّ الرّسولﷺ قال يوماً من الأيّام:

«أنّ الله فرغ من أربع من الخلق والخلق والرّزق والأجل».

فقال بعض اليهود: فالآن وهو معطّل، قال الرّسولﷺ لليهود: «مه يا عدوّ الله فإنّه ليس كذلك بل هو الفاعل دائماً أزلاً وأبداً بإيصال التقادير إلى المقادير» ونزل في الحال جبرئيل بالآية المذكورة وهو قوله تعالىٰ:

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وأمّا جواب المتكلّمين للحكماء فهو أنّهم أمّا قولكم: «أنّ الواحد لايصدر منه إلاّ الواحد»، ممنوع، فإّ الحقّ تعالىٰ واحد وصدر منه أشياء كثيرة خلاف دعواكم، فإنّ هذا ليس كواحد آخر من الممكنات حيث قرّرنا إنّه لا يجوز أنّ يشبه الخالق بالخلق في ذات أو صفة أو فعل أو غير ذلك من الأوصاف، وسلّمنا أنّه لايصدر من الواحد إلاّ الواحد فلم جعلتم العقل الأوّل موصوفاً بالكثرة وأثبتّم أنّه صدر منه عقل ونفس وفلك مركّب من الهيولىٰ والصورة؟

(وان) قلتم هذا أمر إعتباريّ في العقل، والأمر الإعتباري لا يحصل منه الكثرة في الحقيقة، وذلك الإعتبار هو إعتبار إمكانه وإعتبار تعقّل موجده وتعقّل ذاته فحصل منه بكلّ إعتبار موجود من العقل والنّفس والفلك.

قلنا: لا نسلّم أنّ الأمر الإعتباري له صلاحيّة أن يوجد منه الأمر الوجودي أصلاً.

وإن قلتم: إنّه أمر وجودي، يبطل قولكم بأنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد وكذلك إلى آخر الموجودات، لأنّه يلزم أن لا يصدر من الموجود الّذي هو بعد العقل إلاّ شيء واحد. وكذلك الّذي بعده وليس كذلك بدعواكم.

وإن قلتم: بعد العقل يصدر الأشياء من العقل والنّفس وهما إثنان والإثنان مبدأ الكثرة.

قلنا: لم ما تسلمون في العقل الأوّل ولاباري تعالىٰ جلّ ذكره بأنّ بعد العقل كلّ ما يصدر في الوجود يكون من الله بواسطة العقل ويكون الحقّ تعالىٰ بهذا الوجه مبدءاً للكثرة من غير نقص فيه، كصدور الباء من الألف بغير واسطة وصدور الجيم من الألف بواسطة الباء والألف، وكذلك إلى آخر الحروف.

هذا إذا قلنا من حيث التفصيل والتدريج، فأمّا إذا قلنا من حيث الإجمال والدفع فصدر منه العالم دفعة واحدة من غير واسطة. ثمّ صار كلّ واحد منه واسطة للآخر وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وهاهنا أبحاث كثيرة أشرنا إليها في مواضعها فاطلب من هناك.

(الإيراد على قول الحكماء بأنّ العالم قديم) وأنّ الله ليس بفاعل موجَب

وأمّا الثاني من المفاسد المنسوبة إليهم قولهم: العالم قديم لأنّه المعلول للحقّ، والحقّ تعالىٰ علّة له وإذ كان العلّة قديماً يجب أن يكون المعلول قديماً، فالعالم يجب أن يكون قديماً.

قلنا: لا نسلّم ذلك فإنّ الله تعالىٰ ليس علّة موجَبة حتّى يلزم هذا بل هو فاعل مختار يوجد العالم أيّ وقت شاء ويعدمه أيّ وقت شاء: ﴿وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [ابراهيم: ٢٧]، ﴿وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١٠].

وأيضاً لو كان تعالىٰ علّة موجبةً في إيجاد العالم لكان يلزم من إعدام أيّ موجود فرض في العالم حتّى البقّة والنملة إعدام ذاته لأنّ بدعواكم عدم العلّة يوجب عدم المعلول وكذلك بالعكس كعدم النار لعدم الحرارة وعدم الحرارة لعدم النار وهذا ظاهر جليّ واضح يفهم كلّ عاقل.

(الإيراد على قول الحكماء بأنّ الله لا يعرف الجزئي الزماني)

وأمّا الثالث من المفاسد المنسوبة إليهم قولهم: الله تعالىٰ لا يعرف الجزئي الزماني من حيث هو جزئي بل من حيث هو كلّي، لأنّه لو عرف الجزئيّات للزم من تغيير الجزئيّات تغيير ذاته لأنّ علمه عين ذاته وكلّ ما تغيّر العلم تغيّر الذات.

قلنا: لانسلّم ذلك لأنّ من تغيير الجزئيّات لايلزم تغيير العلم

بالجزئيّات بل يتغيّر تعلّق العلم بالجزئيّات، ومن تغيّر التعلّق لا يلزم تغيّر العلم ولا من تغيير العلم تغيير الذات، لأنّه إذا قلنا: علمه عين ذاته ما أردنا به أنّ العلم هو الذات بل أردنا به أنّ علمه ذاتيّ له غير كسبيّ عن غيره وإلاّ الصّفة كيف تكون عين الموصوف أو الموصوف عين الصّفة وقد عرفت قول الإمام عليه السلام في هذا الباب:

«**وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة وشهادة كلّ صفة أنّه غير الموصوف**»، إلى آخره. [نهج البلاغه: الخطبة ١].

وأمثال ذلك في كلامهم كثيرة، هذه الثلاث أعظمها وأصعبها.

وهذه الأبحاث ما لها دخل في هذا المقام لأنّا في بحث تعداد العالم وتطبيقها بحروف «بسم الله الرحمن الرحيم» وهذا بحث العقائد والمفاسد، لكن الكلام يجرّ الكلام لأنّ الدائرة الثانية من الدائرتين حيث وقعت على قاعدتهم ألزمنا الشروع في مثل هذا تنبيهاً وتذكيراً للسّالك حتّى لا تقع فيما وقعوا هٰؤلاء وتشكر الله تعالىٰ على حصول العقيدة الصحيحة له وتحمده على إرشاده إلى طريقة الأنبياء والأولياء عليهم السلام وتابعيهم على قدم الصدق من أرباب التوحيد.

وحيث تقرّر هذا التطابق الثلاث بهذه الوجوه من أوّل المقدّمة إلى هذا المكان، وتحقّق أنّ العالم كتاب كبير إلهيّ، وأنّ الإنسان كتاب صغير إلهيّ، وأنّ القرآن كتاب جامع إلهيّ، وأنّ كلّ واحدة منها عين الآخر صورة ومعنىً وكان مجموع ذلك من حيث العبارة والتقرير، ومن حيث الإستدلال والإستشهاد.

فيجب الشروع فيه مرّة أخرىٰ من حيث الإشارة والرّموز، المرموز بين

أهل الله وخاصّته، فإنّ عند الخواصّ منهم: العالَم وما يقع عليه إسم العالَم، ما له وجود أصلاً لقولهم:

«ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه ومنه وإليه».

بل الوجود لله تعالىٰ ولمظاهره الصّوريّة والمعنويّة لاغير.

ثمّ الشروع بعد القيام بهذا وبما يتعلّق به في شكل دائرة وجوديّة كلّيّة وشكل خط وهمّي في وسط هذه الدائرة القاطعة لهذه الدائرة بنصفين المعبّر عنه بـ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]، حتّى يتحقّق عندك وعند غيرك أنّ الوجود للحقّ تعالىٰ لا لغيره صورة ومعنىً وذهناً وخارجاً، وذلك يكون في فصل مفرد ملحق بالفصول المتقدّمة وهو هذا وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان.

فصل مفرد ملحق بالفصول المتقدّمة

مشتمل على

تحقيق العالم وتقسيم الوجود بالمطلق والمقيّد أو الواجب والممكن في صورة دائرة وجوديّة مبنيّة على معنى:

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩].

وغير ذلك من الأبحاث المتعلقة بالوجود.

إعلم أنّ هذا البحث لا يتحقّق على ما ينبغي إلاّ بعد مقدّمات كلّيّة وضوابط جمليّة مشتملة على تحقيق العالَم وماهيّته، وعلى أيّ شيء يطلق

نفظ العالَم من حيث إنّ ما له الوجود ذهنا ولا خارجاً.

وهذه المقدّمات نذكرها من كلام العارفين المحقّقين بعباراتهم اللائحة وإشاراتهم الواضحة والأبحاث المبنيّة عليها في كلامنا الآتي بعدها لتكون كالأسّ للبناء والأصل للفرع، فمن المقدّمات ما قال بعضهم وهو منقول من كتاب «الأمالي» للمفيد(١٢١) شيخ الإماميّة بأجمعهم قدّس الله روحه، إنّه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ موسى عليه السلام سأل الله عزّ وجلّ أن يعرفه بدأ الدنيا منذ خلقت، فأوحى الله تعالىٰ إلى موسى عليه السلام: أتسئل (تسئلني) عن (من) غوامض علمي؟ فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى! خلقت الدنيا منذ مأة ألف ألف عام عشر مرّات، وكانت خراباً خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها (فعمرتها)، فمكث عامرة خمسين ألف عام، ثمّ خلقت (فيها) خلقاً على مثال البقرة يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين ألف عام، ثمّ أمتّهم كلّهم في ساعة واحدة، ثمّ خربت (الدنيا) خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها، فمكث عامرة خمسين ألف عام، ثمّ خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين ألف عام لا شيء (مجاجاً) من الدنيا يشرب منها، ثمّ خلقت دابّة وسلّطتها على ذلك (البحر) فشربته بنفس واحد، ثمّ خلقت (دابّة)

---

(١٢١) قوله: وهو منقول من كتاب الأمالي: إنّ موسى عليه السلام سأل الله عزّ وجلّ.

لم أجد في «أمالي» للمفيد ـ رحمه الله ـ ولعلّ في زعم الناقل أنّ مؤلّف كتاب «جامع الأخبار» هو المفيد كما زعم بعض آخر وكما يقال أيضاً إنّه للصدوق سهواً ـ ولكن رواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٥٧ ص ٣٣٠ الحديث ١٦، نقلاً عن «جامع الأخبار» وراجع «جامع الأخبار» الفصل ٨٣، ص ٣٤٥، الحديث ٩٥٤.

خلقاً أصغر من الزنبور وأكبر من البقّ، فسلّطت دابّة (ذلك) الخلق على هذه الدابّة فلدغها وفقتلها، فمكث الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثمّ بدأت في عمارتها فمكث خمسين ألف سنة، ثمّ خلقت (جعلت) الدنيا كلّها آجام القصب فخلقت فيها السلاحف وسلمتها (سلّطتها) عليها فأكلتها حتّى لم يبق منها شيء، ثمّ أهلكتها في ساعة (واحدة)، فمكث الدنيا خراباً خمسين ألف عام، (ثمّ بدأت في عمارتها فمكث عامرة خمسين ألف عام)، ثمّ خلقت فيها ثلاثين ألف آدم (خلقت ثلاثين آدم في ثلاثين ألف سنة) ومن آدم إلى آدم ثلثين ألف سنة، فأفنيتهم كلّهم بقضائي وقدري، ثمّ خلقت فيها (خمسين) ألف ألف مدينة من الفضّة البيضاء، وخلقت في كلّ مدينة مأة ألف ألف قصر من الذهب الأحمر، فملأت المدن خردلاً إلى عند الهواء، والخردل يومئذ ألذّ من الشهد وأحلىٰ من العسل وأبيض من الثلج، ثمّ خلقت طيراً واحداً أعمىٰ وجعلت طعامه في كلّ سنة حبّة من خردل (الخردل) فأكلها حتّى فنيت، ثمّ خربتها فمكث خراباً خمسين ألف سنة، ثمّ بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف سنة، ثمّ خلقت فيها أباك آدم (بسيدي) يوم الجمعة بيدي (وقت الظهر) ولم أخلق من الطين غيره، فأخرجت من صلبه محمّداً صلّى الله عليه وآله، والسّلام على من اتبع الهدى».

وذكر أيضاً في «الأمالي» المذكور:[122] مرويّ عن جابر بن يزيد أنّه

---

(١٢٢) قوله: في الأمالي المذكور - أنّ الله إذا أفنىٰ هذا الخلق.

رواه الصدوق في «الخصال» باب الواحد إلى المأة، (ما بعد الألف) ص ٦٥٢، الحديث ٥

قال: سئلت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

فقال: «يا جابر تأويل ذلك أنّ الله عزّ وجلّ إذا أفنىٰ هذا الخلق وهذا العالم وسكن (أسكن) أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار جدّد عالماً غير هذا العالم وجدّد خلقاً من غير فحول (فحولة) ولاأناث يعبدونه، ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلّهم، لعلّك ترىٰ أنّ الله عزّ وجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد، وترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق بشراً غيركم، بلىٰ والله لقد خلق الله تبارك وتعالىٰ ألف ألف عالم وألف ألف آدم في أواخر (آخر) تلك العوالم واولئك الآدمين».

وهذه الأخبار المرويّة عن الأنبياء والأئمّة يكفي للفطن اللّبيب في هذا الباب لكن ما نكتفي بها ونشرع فيه بوجوه متعدّدة متنوّعة، منها، قول بعض العارفين:

إعلم أنّ الحقيقة تطلق على كلّ ما له تحقّق بالإطلاق العام على الجملة، فقد تطلق على حقيقة تحقّقها بذاتها، وقد تطلق على حقيقة تحقّقها بتحقيق الحقيقة المتحقّقة بذاتها إمّا في حضرة الوجود العلمي أزلاً، أو في حضرة الوجود العيني أبداً، إمّا في بعض مراتبه أو في جميع مراتب الوجود دائماً أو لا دائماً. وعلى هذا يصدق إطلاق الحقيقة على الحقّ والخلق والنسب المعنويّة والأعراض والجواهر.

⊃ ٥٤، وهو آخر الحديث من كتاب الخصال وبه ينتهي الكتاب، ورواه أيضاً في «التوحيد» ص ٢٧٧، الحديث ٢، من باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله، وعنهما «البحار» ج ٥٧ ص ٣٢١ الحديث ٣.

(الحقائق ثلاث: مطلقة بالذّات فعّالة، مقيّدة بالذّات منفعلة، جامع الحقيقتين)

ثمّ إعلم أنّ الحقائق ثلاث:

الأولىٰ حقيقة مطلقة بالذّات فعّالة مؤثّرة بالذّات وجودها واجب لها في ذاتها، وهو عينها غير زائد عليها وهي حقيقة الله سبحانه.

والثّانية، حقيقة منفعلة بالذات مقيّدة متأثّرة سافلة قابلة مستفيدة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض والتجلّي وهي حقيقة العالم.

وحقيقة ثالثة هي أحديّة جمعيّة بين الإطلاق والتقييد والفعل والتأثير والإنفعال والتأثّر، فهي مطلقة من وجه مقيّدة من وجه آخر، فعّالة بإعتبار منفعلة بإعتبار، وهذه الحقيقة أحديّة جمع الحقيقتين ولها مرتبة الأوّليّة الكبرىٰ والآخريّة العظمىٰ.

وذلك لأنّ الحقيقة المطلقة الفعّالة يقابلها الحقيقة المقيّدة المنفعلة، وكلّ متفرقين لابدّ لهما من أصل واحد يتقدّمهما قبلهما، هما فيه واحد وهو فيهما وبهما متعدّد منفصل إذ الواحد أصل العدد والعدد تفصيل الواحد الأحد.

ولكلّ واحدة من هذه الحقائق الثلاث ثلاث مراتب:

مرتبة أحديّة جمعها الأولىٰ الّتي هي أحديّة لا تفصيل فيها.

والثانية مرتبة تفصيلها وتعيينها في الأعيان الشخصيّة الخصيصة بها.

والثالثة مرتبة أحديّة جمع جمعها والآخريّة بعد التفصيل.

فالأوّل منها في كلّ مرتبة يخصّ بحقيقة الحقائق بإضافة حقايقها التفصيليّة إليها. فافهم والله أعلم وأحكم.

ومنها، ما ذكر الشيخ الأعظمﷺ في كتاب الرقائق[١٢٣] وهو قوله: «إعلم أنّ الأشياء على ثلاث مراتب لا رابع لها والعلم لا يتعلّق بسواها، وما عداها عدم (فعدم) محض لا يعلم ولا يجهل ولا هو متعلّق بشيء، وإذا فهمت هذا فنقول:

هذه الأشياء الثلاثة:

منها، ما يتّصف بالوجود لذاته فهو موجود بذاته في عينه لا يصحّ أن يكون وجوده من عدم بل هو مطلق الوجود لا عن شيء فكان يتقدّم عليه ذلك الشيء بل هو الموجد لجميع الأشياء وخالقها ومقدّرها ومفصّلها ومدبّرها، وهو الوجود المطلق الّذي لا يتقيّد سبحانه وهو الله الحيّ القيّوم العليم المريد القديم (القدير) الّذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومنها، موجود بالله تعالىٰ وهو الموجود المقيّد المعبّر عنه بعالم العرش (بالعالم والعرش) والكرسيّ والسّماوات العلىٰ وما فيها من العالم والجوّ والأرض وما فيها من الدّوابّ والحشرات والنّبات وغير ذلك من العالم، فإنّه لم يكن موجوداً في عينه، ثمّ كان من غير أن يكون بينه وبين موجده زمان يتقدّم (به) عليه فيتأخّر هذا عنه فيقال فيه بعد أو قبل، هذا محال وإنّما هو متقدّم بالوجود كتقدّم الأمس (أمس) على اليوم، فإنّه من غير زمان لإنّه نفس الزّمان، فعدم العالم لم يكن في وقت لكن الوهم

---

(١٢٣) قوله: في كتاب الرقائق.

الكتاب الرقائق معروف بـ: «إنشاء الدوائر» المطبوع في مجموعة في مدينة لَيْدَن مع كتاب «عقلة المستوفر» وكتاب «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانيّة» راجع في قول الشيخ الأكبر المنقول في المتن تلك المجموعة ص ١٥ إلى ١٩.

يتخيّل أنّ بين وجود الحقّ ووجود الخلق إمتداداً وذلك راجع لما عهده في الحسّ من التقدّم الزّماني بين المحدثات وتأخره.

وأمّا الشيء الثالث فما لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم، وهو مقارن للأزلي الحقّ أذلاً فيستحيل عليه (أيضاً) التقدّم الزماني على العالم والتأخّر كما استحال على الحقّ وزيادة لأنّه ليس بموجود فإنّ الحدوث والقدم أمر إضافي يوصل إلى العقل حقيقةً مّا وذلك أنّه إن (لو) زال العالم لم يطلق على الواجب الوجود قديماً وإن كان الشرع لم يجيء بهذا الإسم أعني القديم، وإنّما جاء بإسمه «الأوّل» و«الآخر» فإن (فإذا) أزلت (زِلَت) أنت لم يُقل أوّلاً ولا آخراً إذ الوسط المعاقد (العاقد) للأوّليّة والآخريّة (ليس) ثمّ فلا أوّل ولا آخر. وهكذا الظاهر والباطن وأسماء الإضافات كلّها موجود مطلق (فيكون موجوداً مطلقاً) من غير تقييد بأوّليّة أو بآخريّة.

وهذا الشيء الثالث الّذي لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم مثله في نفي الأوّليّة والآخريّة بانتفاء العالم، كما كان الواجب الوجود سبحانه وتعالىٰ (و) كذلك لا يتّصف بالكلّ ولا بالبعض ولا يقبل الزّيادة والنقصان.

فأمّا (وأمّا) قولنا فيه: كما استحال على الحقّ وزيادة، فتلك الزّيادة كونه لا موجوداً ولا معدوماً فلا يقال (فيه) أوّل وآخر.

وكذلك لتعلم أيضاً أنّ هذا الشيء الثالث ليس العالم يتأخّر عنه أو يحاذيه بالمكان إذ المكان من العالم وهذا أصل العالم وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة وكلّ ما هو من العالم (وكلّ ما هو عالم من الموجود المطلق)، وعن هذا الشيء الثالث ظهر العالم، فهذا الشيء هو حقيقة حقائق العالم الكلّيّة المعقولة في الذّهن الّذي يظهر في القديم قديماً وفي

المحدث حادثاً، فإن قلت هذا الشيء هو العالم صدقت، وإن قلت إنّه الحقّ القديم سبحانه صدقت، وإن قلت إنّه ليس العالم ولا الحقّ وأنّه معنى زائد صدقت، كلّ هذا يصحّ عليه، وهو الكلّي الأعمّ الجامع للحدوث والقدم وهو يتعدّد بتعدّد الموجودات و (لا) ينقسم بانقسام المعلومات وهو لا موجود ولا معدوم، ولا هو العالم وهو العالم، هو غير ولا هو غير لأنّ المغايرة في الموجودين (الوجودين)، والنّسبة إنضمام شيء مّا إلى شيء آخر فيكوّن منه أمر آخر يسمّى صورة مّا، والإنضمام نسبة أخرى.

فإذا أردنا أن نحدث مثلّثا ضمنا (أجزاء) انضماماً مخصوصاً فحدثت ثلاثة أركان فقلنا هذا مثلث. وأنواع ذلك من التشكيل والتصوير والأكوان والألوان معلوم في الكلّي الأعم، وهذا ملك وإنسان وعقل وغير ذلك، وهذا مقدار ومكان ووضع وإنفعال مّا ومنفعل مّا.

وبإنضمام الجزئيّات الّتي تحت الأجناس الكلّيّات بعضها إلى بعض يحدث في العالم التفصيل عِلواً وسفلاً من غير إقتران إلاّ ما حصل من (في) الوهم، هذا وجه قولك: إنّ هذا الشيء هو العالم وتصدق في ذلك، وكذلك أيضاً إن قلت: إنّه ليس العالم صدقت فإنّ العالم قد كان معدوم العين وهذا على حالته لا يتّصف بوجود ولا عدم لكن (العلم) القديم يتعلّق عليه بما يتضمّنه هذا الشيء الثالث المجمل من التفصيل كما قدّمناه قبل، كما يتعلّق علمنا ببعض التفصيلات ويتعلّق بمجملاتها غير مفصّلة لكن نفصّلها متىٰ شآء وهذا سرّ فإنّ علمنا به كذلك لصحّة المضاهاة بيننا وبين الحقّ.

ولهذه الإشارة من الإمام أبي حامد الغزّالي: «**وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم**»، إذ لو كان وادّخره لكان عجزاً ينافي في القدرة، وبخلاً

يناقض الجود، ولهذه العلّة قطع الإمكان، وهذا ليس هو عندي على وجه واحد.

وأكمل الوجوه عندي في هذا كونه وجد على الصورة فافهم، ولأنّه أيضاً دليل موصل إلى معرفة الله تعالىٰ فلا بدّ أن يكون مستوفي الأركان فلو نقص ركن منه لما كان دليلاً ولم تصحّ معرفته (معرفة) وقد صحّت، وقد ثبت دلالته وقال ﷺ:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».(١٢٤)

ثمّ نرجع فنقول:

هذا الشيء الثالث الّذي نحن بسبيله لا يقدر أحد أن يقف على حقيقته عبارة، لكن نومي إليه بضرب من التشبيه والتمثيل، ولهذا (بهذا) ينفصل عن الحقّ الّذي لا يدخل تحت المثال إلاّ من جهة الفعل، لأنّه (لا أنّه) ينبي عن حقيقته فكنّا نحيط به علماً وهذا لا سبيل إليه (قطّ)، وقد قال تعالىٰ:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

فنقول: نسبة هذا الشيء الّذي لا يحدّ ولا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم، إلى العالم كنسبة الخشبة إلى الكرسي والتابوت والمنبر والمحمل، والفضّة إلى الأواني والآلات الّتي تصاغ منها كالمكحلة والقرط والخاتم، فبهذا تعرف تلك الحقيقة فخذ هذه النسبة ولا تتخيّل النقص (فيه كما تتخيّل النقص) في الخشبة بانفصال المحبرة عنها.

---

(١٢٤) قوله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

حديث معروف ومشهور روي عن النّبيّ ﷺ وعن عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام راجع في تفصيل مصادره وألفاظه المنقولة فيه تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢٤٣ التعليق ٣٠.

واعلم أنّ الخشبة أيضاً صورة مخصوصة في العوديّة أبداً إلاّ الحقيقة (للحقيقة) المعقولة الجامعة الّتي هي (العوديّة فتجدها، لا تنقص ولا تتبعّض بل هي) في كلّ كرسي ومحبرة على كمالها من غير نقص ولا زيادة وإن كان في صورة المحبرة حقائق عظيمة كثيرة: منها الحقيقة العوديّة والإستطاليّة والتربيعيّة والكميّة والكيفيّة وغير ذلك وكلّها فيها بكمالها (وكذلك الكرسي والمنبر، وهذا الشيء الثالث هو هذه الحقائق كلّها بكمالها) فسمّه إن شئت حقيقة الحقائق أوالهيولىٰ أو المادّة الأولى أو جنس الأجناس».

وهذه الأقوال منه صدرت بعد القول في الوجود والعدم وأقسامها، وذلك ضروري الذّكر في هذا المقام ليتحقّق المبحث ثمّ نرجع إلى الغرض وهو قوله*:

(الوجود والعدم ليسا بشيء زائد على الموجود والمعدوم)

«إعلم، أنّ الوجود والعدم ليسا بشيء زائد على الموجود والمعدوم لكن هو نفس الموجود والمعدوم، لكن الوهم يتخيّل أنّ الوجود والعدم صفتان راجعتان إلى الموجود والمعدوم ويتخيّلهما كالبيت قد دخل فيه (والموجود والمعدوم قد دخلا فيه)، ولهذا نقول قد دخل هذا الشيء في الوجود بعد أن لم يكن.

---

*. قوله: وهو قوله.

ذكره الشيخ الأكبر في كتابه «الرقائق» المعروف بـ: «إنشاء الدوائر» ص ٦ إلى ١٠.

وإنّما المراد بذلك عند المحقّقين(إنّما معناه) أنّ هذا الشيء وجد في عينه والوجود والعدم عبارتان عن إثبات عين الشيء أو نفيه.

ثمّ إذا ثبت عين الشيء أو انتفىٰ فقد يجوز عليه الإتّصاف بالعدم والوجود معا وذلك بالنّسبة والإضافة فيكون زيد الموجود في عينه موجوداً في السّوق معدوماً في الدار، فلو كان العدم والوجود من الأوصاف الّتي ترجع إلى الموجود كالسّواد والبياض لاستحال وصفه بهما معاً بل كان إذا كان معدوماً لم يكن موجوداً كما أنّه إذا كان أسود لا يكون أبيض وقد صحّ وصفه بالعدم والوجود معاً في زمان واحد.

هذا هو الوجود الإضافي والعدم مع ثبوت العين فإذا صحّ أنّه ليس بصفة قائمة بموصوف محسوس ولا بموصوف معقول وحده دون إضافة فثبت (فيثبت) أنّه من باب الإضافة (الإضافات) والنسب مطلقاً مثل المشرق والمغرب واليمين والشمال والأمام والوراء لا يخصّ الوصف وجوداً (ولا يخصّ بهذا الوصف وجود) دون وجود.

فإن قيل كيف يصحّ أن يكون الشيء معدوماً في عينه ثمّ يتّصف بالوجود في عالم وبنسبة مّا، فيكون موجوداً في عينه معدوماً بنسبة مّا، فنقول:

(المراتب الأربعة لكلّ شيء في الوجود)

نعم لكلّ شيء في الوجود المضاف أربع مراتب إلاّ الله تعالىٰ فإنّ له في الوجود (المضاف) ثلاث مراتب:

المرتبة الأولىٰ وجود الشيء في عينه وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحق بالمحدث.

المرتبة الثاني وجوده في العلم وهي المرتبة الأولىٰ بالنظر إلى علم الله تعالىٰ.

والمرتبة الثالثة وجوده في الألفاظ.

والمرتبة الرّابعة وجوده في الرّقوم.

ووجود الحقّ تعالىٰ بالنّظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم.

هذا هو الإدراك الّذي حصل بأيدينا اليوم، ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصريّة المقدّرة في الشرع هل يحصل في نفوسنا علم إثبات أو مزيد وضوح في جنس العلم الّذي بأيدينا اليوم منه في علمنا به سبحانه وإن (فإن) كان كذلك فليس له إلاّ ثلاث مراتب وإن كان يوجب النظر إثباتاً في الدّار الآخرة، أو حيث وقعت المعاينة فقد يصفه بالمرتبة الرّابعة، فتحقّق هذه الإشارة في علمنا بالله سبحانه فإنّها نافعة في الباب.

ثمّ هذه المراتب بالإضافة إلينا كما قدّمنا بتقدّم وجود العين مبدّدة غير مجموع بعضها إلى بعض بالإضافة إلى شكل ما يخترعه العاقل.

كلّ هذا لابدّ من تقديمه أو واحداً منها ثمّ بعد هذا ينضبط في العلم ويتصوّر في الذّهن، هذا بالإضافة إلينا.

وبالإضافة إلى الله إنّما العلم متقدّم من غير زمان بالشيء قبل عينه فوجود الشيء المحدث في علم الله قبل وجود الشيء في عينه ومقدّم عليه.

غير أنّ ثَمّ سرّاً سنؤميء إليه إن شاء الله ونبيّن لك أنّ وجود العين يتقدّم على وجود العلم بالمرتبة ويساويه في الوجود أزلاً لا من جهة كونها محدثة هذا في حقّ الحقّ.

وأمّا في حقّ المخلوق (الخلق) فسنبيّن لك أنّ إدراك الحقّ للموجود في عينه تفصيلاً أنّه قد كانت له حالة بالنّظر إلى أمر مّا لا يـتّصف فـيها بالوجود ولا بالعدم مع عدمه في عينه.

ثمّ نرجع ونقول: فأمّا تبيّن تلك المراتب الأربعة المتقدّمة فهي أن نقول زيد باللسان فنعقل معناه، أو نرقمه في الكاغذ زيد فنعقل معناه، أو يظهر في عينه فنعقل، أو نتخيّله في نفوسنا وهو غير حاضر فنعقل معناه، وهذا هو الوجود في العلم، فكلّ واحدة من هذه (المراتب) متحّدة بالعين لم يزد باختلافها معنى في زيد، وكلّ (فكلّ) شيء قديم أو محدث لا يخلو من أن يكون في بعض هذه المراتب أو كلّها، وإذا تقرّر هذا وثبت أنّه الحقّ فنقول:

أنّ الإنسان قديم، محدث، موجود، معدوم، أمّا قولنا قديم فلأنّه موجود في العلم القديم متصوّر فيه أزلاً وهو في بعض مراتب الوجود المذكورة.

وأمّا قولنا محدث فإنّ شكله وعينه لم يكن ثمّ كان فيخرج من هذا أنّ زيداً موجود في العلم، موجود في الكلام، معدوم في العين أزلاً مثلاً فقد تصوّر إتّصافه بالوجود والعدم أزلاً، فصحّ من هذا أنّ الوجود ليس بصفة للموجود.

وإذا تقرّر هذا فبقي لنا أن ننظر بماذا يتعلّق العلم، هـل بـالموجود أو بالعدم ولا يعلم ذلك ما لم يعلم ما هو العلم وإلى كم ينقسم المـعلومات (المعدومات)؟ فنقول:

(تعريف العلم)

أوّلاً العلم عبارة عن حقيقة في النّفس يتعلّق بالمعدوم والموجود على حقيقته الّتي هو عليها، أو يكون إذا وجد فهذه الحقيقة هي العلم.

(أقسام المعدومات)

والمعدومات تنقسم إلى أربعة أقسام:

معدوم مفروض لايصحّ وجوده ألبتة كالشّريك والصّاحبة (له) والولد للإله، ودخول الجمل في سمّ الخياط. ومعدوم يجب وجوده وجوباً ترجيحيّاً إختياريّاً لا إضطراريّاً كشخص من الجنس الواحد وكنعيم (الجنّة) للمؤمنين، ومعدوم يجوز وجوده كعذوبة ماء البحر ومرارة الحلو وأشباه ذلك، ومعدوم لا يصح وجوده قطعاً إختياراً لكن وجد شخص من جنسه.

وهذا كلّه أعني ما يجوز وجوده وما لا يصحّ إختياراً إنّما أريد (به) الشخص الثاني من الجنس فصاعداً، علىٰ أنّ الحقيقة تثبت الإرادة وتنفي الإختيار كما تثبت العلم وتنفي التدبير وإن كان (ورد) في الشرع: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [يونس: ١٠]، وورد:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَار﴾ [القصص: ٦٨].

ولكن من وقف على سرّ وضع الشريعة عرف موضع هذا الخطاب بالتدبير والإختيار».

هذا آخر أقواله في هذا الباب.

وأمّا قوله في نشأ العالم من الأسماء الإلهيّة وحقائقها فهو ما أشار إليه بعد هذا الكلام بقليل وهو قوله*:

---

*. قوله: وهو قوله.

ذكره الشيخ الأكبر في كتابه «الرقائق» المعروف بـ: «إنشاء الدوائر» ص ٣٦.

«إعلم، أنّ سبب نشأ العالم على ما اقتضاه الكشف المثالي والحكم الإلهي وهو أنّ السدنة من الأسماء الإلهيّة لمّا كانت بأيديهم مقاليد السّموات والأرض بقي كلّ سادن بمقلاده وما يجد ما يجد ما يفتح فقالوا يا للعجب خزّان بمفاتيح مخازن لا تعرف مخزناً موجوداً فما نصنع بهذه المقاليد فاجمعوا أمرهم وقالوا لابدّ لنا من أئمّتنا السبعة الّذين أعطونا هذه المقاليد ولم يعرفونا المخازن الّتي تكون عليها فقاموا على أبواب الأئمّة، منها على باب الإمام المخصّص والإمام المنعم والإمام المقسط فأخبروهم الأمر فقالوا صدقتم الخبر عندنا وسنعيّنها لكم إن شاء الله ولكن تعالوا نصل إلى من بقي من الإئمّة تجتمع على باب حضرة الإمام الإلهي إمام الأئمّة فاجتمع الكلّ وهم بالإضافة إلى الإمام المعروف بالله سدنة فوقف الجميع ببابه فبرزلهم، وقال: ما الّذي جاء بكم فذكروا له الأمر وأنّهم طالبون وجود السّماوات والأرض حتّى يضعوا كلّ مقلاد على بابه، فقال أين الإمام المخصص فبادر إليه المريد فقال له أليس الخبر عندك وعند العليم فقال له: نعم قال: فإن كان فأرح هٰؤلاء ممّا هم فيه من تعلّق الخاصر وشغل البال فقال العليم والمريد أنّها الإمام الأكمل قل للإمام القادر يساعدنا وللقائل فإنّه لا نقوم (به) بأنفسنا إلاّ أربعتنا وفنادي الله تعالىٰ القادر والقائل وقال لهما أعينا أخويكما فيما هما بسبيله فقالا نعم فدخلوا حضرة الجود، وقالوا للجواد عرضاً (عزمنا) على إيجاد الأكوان أو (و) عالم الحدثان وإخراجهم من الوجود إلى العدم (من العدم إلى الوجود) وهذا حضرتك حضرة الجود فادفع لنا من الجود ما نبرّزهم به فدفع لهم الجود المطلق فخرجوا به من عنده وتعلّقوا بالعالم فأبرزوه على غاية الإحكام والإتقان فلم يبق في الإمكان أبدع منه فإنّه صدر عن الجواد

المطلق، ولو بقي أبدع منه لكان الجواد قد بخل بمالم يعط وأبقاه عنده من الكمال، ولم يصحّ عليه إطلاق إسم الجواد إذ فيه شيء من البخل فليس إسم الجواد عليه فيما أعطى بأولىٰ من إسم البخيل عليه فيما أمسك وتطلب (بطلت) الحقائق، وقد ثبت أن إسم البخيل عليه محال، فكونه أنّ إبقاء (إن ابقىٰ) عنده ما هو أكمل محال.

فهذا أوّل نشأ العالم وسببه، وما ظهر الإمام المقسط إلاّ بعد نزول الشرايع فتأهبّت الأسماء بمقاليدها وعلمت ما كان عندها وما هي عليه بوجود الأكوان، فتحقّق هذا الفصل العجيب فإنّه نافع في هذا الباب».

ثمّ قال*:

(العالم ظهور آثار الأسماء الحسنىٰ وأحكامها)

إعلم وفّقك أنّه لما ننظر العالم على ما هو عليه، وعرفنا حقيقته ومورده ومصدره، ونظرنا ما ظهر فيه من الحضرة الإلهيّة بعد ما فصّلناه تفصيلا، فوجدنا الذّات الإلٓهيّة منزّهة عن أن يكون لها بعالم الكون والخلق والأمر مناسبة، أو تعلّق بنوع (مّا) من أنواع لأنّ الحقيقة تأبىٰ ذلك، فنظرنا ما الحاكم والمؤثّر في هذا العالم فوجدنا أسمائه الحسنىٰ ظهرت في العالم كلّه ظهوراً لاخفاء به (كليّاً) وحصلت فيه بآثارها وأحكامها لا بذواتها لكن بأمثالها لا بحقائقها لكن برقائقها، فأبقينا الذات المقدّسة على تقديسها (وتنزيهها) ، ونظرنا إلى الأسماء فوجدنا كثيرة فقلنا الكثرة جمع ولابدّ من

---

*. قوله: ثمّ قال.

قاله الشيخ الأكبر في كتابه «إنشاء الدوائر» ص ٣٢.

أئمّة متقدّمة في هذه الكثرة فلتكن الأئمّة هي المسلّطة على العالم (و) ما بقي من عدد الأسماء إذ الأئمّة الجامعون بحقائقها فالإمام المقدّم الجامع إسمه «الله» فهو الجامع بمعاني الأسماء كلّها وهو دليل الذات (فنزّهناه كما نزّهنا الذات) وأيضاً فإنّه من حيث ما وضع جامع الأسماء فإنّ أخذناه لكون (مّا) من الأكوان ما نأخذه من حيث ما وضع وإنّما نأخذه من جهة حقيقة مّا من حقائقه الّتي هو مهيمن عليها ولتلك الحقيقة إسم يدلّ عليها من غير إسم «الله» قلنا خذها (من جهة ذلك الإسم الّذي لا يحتمل غيرها) ونبرز الكون منها ونترك إسمه الله على منزلته والتقديس.

وإذا تقرّر هذا وخرج الإسم الجامع عن التعلّق بالكون وبقي عليه مرتبته حتّى لا يبقى حقيقة إلاّ برزت فحينئذ ظهر سلطان ذاته كلّياً فلنرجع إلى الأئمّة الّذين هم من جملة حقائقه ونقول:

(أئمّة الأسماء سبعة)

إنّ الأئمّة الأسماء كلّها عقلاً وشرعاً سبعة ليس غيرها أصلاً وما بقي من الأسماء فتبع لهولاء وهي «الحيّ» «العليم» «المريد» «القائل» «القادر» «الجواد» «المقسط»، فالحيّ إمام الأئمّة ومقدّمهم، والمقسط آخر الأئمّة، والقائل أدخله الشرع في الأئمّة (خاصّة)، وقبله المقام وسرّ به وما بقي، فالرّوح العقلي اقتضاء إماما وانفرد الرّوح القدسي بالقائل خاصّة وله مدخل في المقسط من جهة مّا وفي إسم الجواد لا غير فاسمه الجواد يعمّ كلّ شيء (إسم) رحماني يُعطي سرّاً ونعمة فهو المهيمن على هذا القبيل من الأسماء لا غير.

ولو لا ظهور الأحكام الشرعيّة ما احتجنا إلى الإسم المقسط إحتياجاً

ضروريّاً والعقاب والوعد (الوعيد) إضطرّنا إلى إمامة الإسم المقسط وليس إيلام البهائم وما في ضمن ذلك من حكم إسم المقسط ولكن في حكم إسمه المريد وهو من الأئمّة المتقدّمين».

هذا آخر كلامه في هذا الباب وقد اعترض على تخصيصه الأئمّة بالسبعة والجواد والمقسط منهم الشيخ الكامل كمال الدين عبد الرزّاق قدّس الله سرّه إعتراضاً حسناً وجعل موضع المقسط والجواد السميع والبصير وهو قوله في اصطلاحاته(١٢٥):

أئمّة الأسماء هي الأسماء السبعة الأُول المسمّاه الأسماء الإلهيّة وهي: الحيّ والعالم والمريد، والقادر والسميع والبصير، والمتكلّم وهي أصول الأسماء كلّها، وبعضهم أورد مكان السميع والبصير والجواد والمقسط، وعندي أنهما من الأسماء الثانية، لإحتياج الجواد والعدل إلى العلم والإرادة والقدرة، بل إلى الجميع لتوقّفهما على روية استعداد المحلّ الّذي يفيض عليه الجواد الفيض بالقسط، وعلى سماع دعاء السائل بلسان الإستعداد، وعلى إجابة دعائه بكلمة «كن» على الوجه الّذي يقتضيه إستعداد السائل من الأعيان الثابتة، فهي (فهما) كالموجد والخالق والرّازق الّتي هي من أسماء الرّبوبيّة، وجعلوا الحيّ إمام الأئمّة لتقدّمه على العلم

---

(١٢٥) قوله: وهو قوله في إصطلاحاته.

قاله كمال الدين عبدالرزّاق القاشاني في كتابه «اصطلاحات الصّوفية» ص ٣٣. وأمّا المؤلّف وهو كمال الدين عبد الرزّاق بن جمال الدين، أبو الغنائم القاساني، المتوفىٰ ٧٣٥ كما يقال، وله تأليفات ثمنية منها «تأويلات القرآن الحكيم» المطبوع بإسم محيي الدين العربي سهواً، و«شرح فصوص الحكم» و«شرح منازل السائرين» وغيرها.

بالذّات لأنّ الحياة شرط العلم والشرط متقدم على المشروط طبعاً.

وعندي أنّ العلم (العالم) بذلك أولىٰ لأنّ الإمامة أمر نسبيّ تقتضي ماموماً، وكون الإمام أشرف من المأموم، والعلم يقتضي بعد الّذي قام به معلوماً، والحياة لا تقتضي غير الحيّ فهي عين الذّات غير مقتضية للنسبة.

وأمّا كون العلم أشرف منها فظاهر، ولهذا قالوا: «إنّ العلم هو أوّل ما يتعيّن به الذات دون الحيّ، لأنّه في كونه غير مقتض للنّسبة كالموجود والواجب، ولا يلزم من التقدّم بالطبع الإمامة، ألا ترىٰ أنّ المزاج المعتدل للبدن شرط الحياة؟ ولا شك انّ الحياة متقدّمة عليه بالشرف».

ويمكن جواب هذا الإعتراض من طرف الشيخ؛ بأن نقول: وصفه تعالىٰ بالعلم يستغني عن وصفه بالسميع والبصير سيّما في هذا المقام لأنّ سميعيّته وبصيريّته عند التحقيق ليس إلاّ علمه بالمسموعات والمبصرات كما قال؛:

«سميع لا بأداة وبصير لا بتفريق آلة».

وإذا كان كذلك فعالميّته يقوم مقام سميعيّته وبصيريّته ولا يحتاج إلى ذكرهما وبل يحتاج إلى ذكر المقسط والجواد، لأنّ كلّ جود وعدل لا يكون من العلم لا يكون جوداً ولا عدلاً وخصوصاً إذا كان الجود والعدل بالنّسبة إلى الإستعدادات الذاتيّة والإستحقات الأزليّة لقوله:

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

ولقوله:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

لأنّ الكلّ إشارة إلى هذا المعني، والله أعلم وأحكم.

وهذا البحث خارج عن مقصودنا في هذا المقام، لأنّ المقصود تحقيق العالم وتعيينه على الوجه المذكور، وهذا بحث الأسماء وليس له دخل فيه، وتلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت هذا مضىٰ.

(تحقيق حقيقة العالم وبيان الأقوال فيه)

ومنها ما قيل في تحقيق العالم أيضاً وهو قول الشيخ الأعظم صدر الدّين القونوي رحمة الله عليه في مفاتيح الغيب(١٢٦):

«إعلم، أنّ أوّل مراتب المعلومة والمسمّاة المنعوتة مرتبة الجمع والوجود، وقد يعبّر عنها بعض المحقّقين بـ: حقيقة الحقائق وحضرة أحدية الجمع ومقام الجمع ونحو ذلك، ونسبة حكمها وأثرها إلى ما يليها من أمّهات الحقائق الإلٰهيّة والكونيّة – كالوجود العام وأمّ الكتاب ونحوهما – نسبة الذكورة إلى الأنوثة، والمجموع أمر واحد راجع لذات واحدة.

وللذّات المشار إليها من حيث الرتبة الكلّيّة أعتباران أو نسبتان –

---

(١٢٦) قوله: في مفاتيح الغيب.

راجع «مفاتيح الغيب» ص ٣٥، و«مصباح الأنس» ط ق ص ١٢٦، ط ج ص ٣١١.

وأمّا مؤلّف كتاب «مفاتيح الغيب» هو الشيخ الكبير ابو المعالي صدر الدين محمّد بن إسحاق بن يوسف بن علي قونوي المتوفي سنة ٦٧٣، له تصانيف قيّمة منها: «النفحات الإلهيّة»، و«الفلوك في أسرار مستندات حكم الفصوحى»، وإعجاز البيان في تأويل أمّ القرآن»، وغيرها.

كيف شئت (قلت) -، إعتبارها من حيث جمعها المنبّه عليه وإحاطتها أيضاً ووحدتها، وإعتبار كونها ليست غير الحقائق المذكورة الّتي اشتملت عليها.

فمن حيث نسبة الإحاطة والجمع تسمّى حضرة الجمع ومرتبة أحديّة الجمع الّتي تليها حضرة الألوهيّة ونحو ذلك. ومن حيث إنّ الوجود الظاهر المنبسط على أعيان المكوّنات ليس سوى صورة جمعيّة تلك الحقائق تسمّى: الوجود العامّ والتجلّي الساري في حقائق الممكنات، وهذا من باب تسميّة الشيء بأعمّ أوصافه، وأوّلها (أولها) حكماً وظهوراً للمدارك تقريباً وتفهيماً، لا أنّ ذلك إسم مطابق للأمر في نفسه.

وأمّا الإسم النور والظاهر وأمثالهما فصور أحوال هذه الذات ومراتب معيّنات لها فافهم.

ولكلّ حقيقة من حقائق العالم والأسماء الإلهيّة أيضاً من حيث رتبة الكلّيّة إعتباران أو حكمان -كيف قلت - أحدهما نسبة الإفتقار (و الطلب) من حيث التوقف في الظهور على السوى، والآخر نسبة حكم التعيّن والقبول للأثر، والطلب حيث كان يستلزم حكم الحاجة وينافيه الغناء المطلق، لكن قد يكون الفقر ظاهر الحكم مع عدم التعلّق بالغير - كافتقار الشيء إلى نفسه - فهو غنيّ عمّا سواه وإن لم يعرا (يعز) عن حكم الحاجة، وبين الطلبين فروق:

منها أنّ المفتقر إليه من حيث الحضرة الإلهيّة ليس شيئاً معيّناً يكون هو قبلة (قلبه) الطلب بخلاف الطلب والفقر الكوني، فإن قبله (قبلته)متعلّقه حضرة أحديّة الجمع والوجود لا محالة، عرف الطالب ذلك أو لم يعرف، وكلّ ذلك مراتب نسبته (نسبيّة) لا وجود لها في عينها من

حيث الإنفراد.

وظهور الحكم الجمعي يسمّى وجوداً عينيّاً وليس هو سوى صورة النّسبة الإجتماعيّة - لا أمر زائد - لكن على وجه مناسب لتلك الجمعيّة - أيّ جمعيّة كانت - سواءٌ سمّيت خاصّة أو عامّة شاملة، وحكم التوقّف يشمل الحضرتين كما ذكر.

ثمّ إنّه إذا اعتبر معتبر بعد الإطّلاع المحقّق بما شاء الله من الفرق (الطرق) كلّ حقيقة من حقائق الحقيقة الأصليّة الجامعة المذكورة من حيث أحديّتها، القاها (ألفاها) حقيقة عينيّة من حقائق مرتبة الجمع المشتملة على حقائق الأسماء الذاتيّة، وبإعتبار إضافة النّسبة الجامعة إلى ما يليها من الأسماء الذاتية مجموعة في العلم لا في الخارج تسمّى حضرة الهويّة وحضرة الذات ونحو ذلك على ما مرّ.

والجهل بهذه الذّات عبارة عن عدم معرفتها مجردة عن المظاهر والمراتب والمعيّنات لإستحالة ذلك، فإنّه من هذه الحيثيّة لا نسبة بين الله سبحانه وبين شيء أصلاً، لأنّ الواحد في مقام وحدته الّتي لا يظهر لغيره فيها عين ولا رسم، ولا يتعيّن فيها لسواه وصف ولا حكم، لا يدركه سواه ولا يتعلّق به (له) إلاّ هو ويتعذّر معرفة هذه الذّات أيضاً من حيث عدم العلم بما انطوت عليه من الأمور الكامنة من غيب كتمها (في غيب كنهها) الّتي لايمكن تعيّنها وظهورها دفعة بل بالتدريج، فإنّ الوجود الإلّهي والحكم الجمعي الذّاتي بحسب ظهوره لكلّ عين، وبحسب تعيّن ظهوره في مرتبة كلّ كون على نحو ما سبق التنبيه عليه تجلّياً خاصّاً وسرّاً لا يمكن كشفه (معرفته) مطلقاً إلاّ بعد الوقوع، حتّى أنّ معرفة حال العين الّتي عرض لها الوجود الإلّهي وانسحب عليها الحكم

الجمعي المذكور قبل انصباغها بالنّور الوجودي وقبل معرفة الوجود والحكم المنبّه عليه بالنّسبة إلى عين أخرىٰ، لا يكفي في تمام المعرفة بها معرفة - ما أشرت إليه - دون حصول الإجتماع التوجّهي الأسمائي والقبول الكوني العيني بالفعل وإدراكه ظاهراً، فإنّ الأمر كما قلنا ظاهر بنسبة الإجتماع، وحكمه (حكمة) الظاهر من حيث الجملة والعموم من الطلب الكامن في الحضرتين.

ومن حيث التفصيل والخصوص في (من) التعيّنات الخاصّة المستجنّة في غيب ذات الحقّ سبحانه، الكامنة عن أعيان خاصّة والظاهره لأعيان خاصّة فيها والمتعيّن بذلك أمر جزئي، وسألمع ببعض أسراره فيما بعد إن شاء الله».

ومنها ما قيل في تحقيق العالم والأعيان وهو قولهم: محو العبوديّة، ومحو عين العبد هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، فإنّ الأعيان شئون ذاتيّة ظهرت في الحضرة الواحديّة بحكم العالميّة، فهي معلومات معدومة العين أبداً، إلاّ أنّ الوجود الحقّ ظهر فيها، فهي مع كونها ممكنات معدومة لها آثار في الوجود، والظاهر بها وتصوّرها المعلومة والوجود ليس إلاّ عين الحقّ تعالىٰ، والإضافة نسبة ليست لها وجود في الخارج، والأفعال والتأثيرات ليست إلاّ تابعة للوجود المعدوم لا يؤثر، فلا فاعل ولا موجود إلاّ الحقّ تعالىٰ فهو العابد بإعتبار تعيّنه وتقيّده بصور المقيّدات الّتي هي شأن من الشئون الذاتيّة، وهو المعبود بإعتبار إطلاقه وتجرّده، وعين العبد على عدمها الأصلي فالعبد ممحوّ والعبادة ممحوّة كما قال تعالىٰ:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

ألاترى قوله تعالىٰ:

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

(في أنّ الحقّ سبحانه هو رابع ثلاثة)

فأثبت أنّه رابع ثلاثة ونفىٰ أنّه ثالث ثلاثة، لأنّه لو كان أحدهم لكان ممكناً مثلهم تعالىٰ عن ذلك وتقدّس، أمّا إذا كان رابعهم فكان غيرهم بإعتبار الحقيقة، عينهم باعتبار الوجود، أو غيرهم بإعتبار تعيّناتهم عينهم باعتبار حقيقتهم، وهذا أمر يتّضح المقصود منه على ما ينبغي، ويتحقّق المبحث على ما هو عليه في نفس الأمر.

(الظلّ هو الوجود الإضافي)

ومنها ما قيل في تحقيق العالم:

الظلّ هو الوجود الإضافي الظاهر بتعيّنات الأعيان الممكنة وأحكامها الّتي هي معدومات ظهرت بإسمه «النور» الّذي هو الوجود الخارجيّ المنسوب إليها فتستر ظلمة عدميّتها «النور» الظاهر بصورها صار ظلاً لظهور الظلّ بالنّور وعدميّته في نفسه قال تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات، فالظّلمة بإزاء هذا النّور هو العدم، وكلّ ظلّ عبارة عن عدم النّور عمّا من شأنه أن يتنوّر ولهذا سمّي الكفر ظلمة لعدم نور الإيمان عن قلب الإنسان الّذي من شأنه أن يتنوّر به قال الله تعالىٰ:

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

(الحقّ هو هويّة العالم وروحه، والعالم هو الظلّ الثاني)

ومنها ما قيل فيه: العالم هو الظلّ الثاني، وليس إلاّ وجود الحقّ الظاهر بصور الممكنات كلّها فلظهوره بتعيّناتها سمّي باسم السّوىٰ، والغير بإعتبار إضافته إلى الممكنات إذ لا وجود للمكن إلاّ بمجرّد هذه النّسبة وإلاّ فالوجود عين الحقّ والممكنات ثابتة على عدمها في علم الحقّ وهي شئونه الذّاتية، فالعالم صورة والحقّ هويّة العالم وروحه وهذه التعيّنات في الوجود الواحد أحكام إسمه الظاهر الّذي هو مجلىٰ لإسمه الباطن.

(في بيان المراد من العماء)

ومنها ما قيل فيه: العماء الحضرة الأحديّة عندنا لأنّه لا يعرفها أحد غيره، فهو في حجاب الجلال، وقيل الحضرة الواحديّة الّتي هي منشاء الأسماء والصفات، لأنّ العماء هو الغيم الدقيق، والغيم هو الحائل بين السّماء والأرض، وهذه الحضرة هي الحائلة بين سماء الأحديّة الذاتيّة وبين الأرض الكثرة الخلقيّة، ولا يساعده الحديث النبوي لأنّه سئل: **«أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق، فقال: «كان في عماء»»**.(١٢٧)

(١٢٧) قوله: كان في عماء.

وفي هذه الحضرة يتعيّن بالتعيّن الأوّل لأنّها محلّ الكثرة وظهور الحقائق والنّسب الأسمائيّة، فكلّ ما تعيّن فهو مخلوق فهي العقل الأوّل، قال عليه السلام:

«أوّل ما خلق الله العقل».(١٢٨)

فإذاً لِم فيه قبل أن يخلق الخلق الأوّل بل بعده والدليل على ذلك أنّ القائل بهذا القول يسمّىٰ هذه الحضرة بحضرة الإمكان، وحضرة الجمع بين أحكام الوجوب والإمكان، والحقيقة الإنسانيّة وكلّ ذلك من قبيل المخلوقات، ويعترف بأنّ الحقّ في هذه الحضرة متجلّي بصفات الخلق وكلّ ذلك مقتض أن يكون ليس قبل أن يخلق الله الخلق، اللّهم إلاّ أن يكون مراد السائل بالخلق العالم الجسماني فيكون العماء الحضرة الإلهيّة المسمّاة بالبرزخ الجامع، ويقويه أنّه سئل عن مكان الرّبّ فإنّ الحضرة الإلهيّة منشاء الرّبوبيّة.

(تجلّيات الحقّ تعالىٰ الثلاث)

ومنها ما قيل فيه: وفي ظهوره من كتم العدم بتجلّيات الحقّ تعالىٰ الّتي هي الثلاث:

◄ رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ١ ص ٥٤، وأخرجه ابن ماجه في سننه الباب ١٣، الحديث ١٨٢ ص ٦٤، وأخرجه أيضاً ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ١١.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ٣٧٥ التعليق ١٧٨.

(١٢٨) قوله: اوّل ما خلق الله العقل.

راجع التعليق ٦٠.

(في ان وحدته تعالىٰ عين ذاته وهي منشاء الأحـديّة والواحـديّة)

التجلّي الأوّل، هو تجلّي الذّات وحدها لذاتها وهي الحضرة الأحديّة الّتي لا نعت فيها ولا رسم إذ الذات الّتي هي الوجود الحقّ المحض وحدته عينه، لأنّ ما سوى الوجود من حيث هو وجود ليس إلاّ العدم المطلق وهو اللاّ شيء المحض، فلا يحتاج في أحديّته إلى وحدة وتعيّن يمتاز به عن شيء ولا عن غيره فوحدته عين ذاته، وهذه الوحدة منشاء الأحديّة والواحديّة لأنّها عين الذات من حيث هي هي أعني لا بشرط شيء أي المطلق الّذي يشمل كونه بشرط أن لا شيء معه وهو الأحديّة، وكونه بشرط أن يكون معه شيء وهو الواحديّة، والحقائق في الذّات الأحديّة كالشجرة في النّواة وهي غيب الغيوب.

التجلّي الثاني، هو الّذي يظهر به أعيان الممكنات الثابتة الّتي هي شئون الذّات لذاته تعالىٰ وهو التعيّن الأوّل بصفة العالميّة والقابليّة لأنّ الأعيان معلوماته الأوّل الذّاتيّة القابلة للتجلّي الشّهودي وللحقّ بهذا التجلّي تنزّل من الحضرة الأحديّة إلى الحضرة الواحديّة بالنّسب الأسمائيّة.

(في أنّه بنَفَس الرحمن يوجد الكلّ)

التجلّي الثّالث، وهو التجلّي الشّهودي وهو ظهور الوجود المسمّى بإسم «النور» وهو ظهور الحقّ بصور أسمائه في الأكوان الّتي هي صورها، وذلك الظّهور هو نَفَس الرّحمن الّذي يوجد به الكلّ، والنَفَس الرّحماني

عندهم كما سبق ذكره غير مرّة هو الوجود الإضافي الوحداني بحقيقته، المتكثّر بصور المعاني الّتي هي الأعيان وأحوالها في الحضرة الواحديّة، سمّي به تشبيها بنَفَس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء ساذجاً في نفسه. ونظراً إلى الغاية الّتي هي ترويح الأسماء الداخلة تحت حيطة الإسم الرّحمن عن كونها، وهو كمون الأشياء فيها وكونها بالقوّة كترويح الإنسان بالتنفّس.

ومنها ما قيل فيه في سرّ الرّبوبيّة وهو قولهم: سرّ الرّبوبيّة هو توقّفها على المربوب لكونها نسبة لابدّ لها من المنتسبين، واحد المنتسبين هو المربوب وليس إلاّ الأعيان الثابتة في العدم، والموقوف على المعدوم معدوم، ولهذا قال سهل: «للربوبيّة سرّ لو ظهر لبطلت الرّبوبيّة»، وذلك لبطلان ما يتوقّف عليه.

وسرّ سرّ الرّبوبيّة هو ظهور الرّبّ بصور الأعيان، وهي من حيث مظهريّتها للربّ القائم بذاته الظاهر بتعيّناته قائمة به موجودة بوجوده، فهي عبيد مربوبون من هذه الحيثيّة، والحقّ ربّ لها فما حصلت الرّبوبيّة في الحقيقة إلاّ بالحقّ، والأعيان معدومة بحالها في الأزل فلسرّ الربوبيّة سرّ به ظهرت ولم تبطل، وأمثال ذلك كثيرة في هذا الباب.

(ليس للعالم وجود خارجيّ)

والغرض من الكلّ شيء واحد باتّفاق الكلّ وهو أنّ العالم في الحقيقة ما له وجود خارجيّ أصلاً، والوجود الخارجيّ للحقّ تعالىٰ جلّ ذكره، والمسمّى بالعالم هو وأسمائه وصفاته وأفعاله لا غير، كما قيل:

«ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلّ

هو وبه ومنه وإليه».

وكما قال هو بنفسه جلّ ذكره:

﴿هُوَ الأَوّل وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الحديد: ٣].

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٣ و٥٤].

ويعضد جميع ذلك الأوّل (أوّلاً) الأقوال المتقدّمة من الله تعالىٰ ومن الأنبياء والأولياء عليهم السلام وخصوصاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام كقوله:

«والبصير لا بتفريق آلة، والشاهد لا بمماسّة، والبائن لا بتراخي مسافة، والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة، بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرّجوع إليه».

[نهج البلاغه: الخطبة ١٥٢].

وكقوله:

«ولا يُجنّه البطون عن الظّهور، ولا يقطعه الظّهور عن البطون، قرب فنأىٰ، وعلا فدنا، وظهر فبطن، وبطن فعلن، ودان ولم يدن».

[نهج البلاغه: الخطبة ١٩٥ صبحي].

وكقوله:

«الّذي لم تسبق له حال حالاً، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً... كلّ ظاهر غيره غير باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر». [نهج البلاغه: الخطبة ٦٥ صبحي و٦٤ فيض].

«وهو الأوّل الّذي ليس قبله شيء والآخر الّذي ليس بعده شيء والظاهر الّذي ليس فوقه شيء والباطن الّذي ليس دونه شيء وهو العزيز الحكيم»※.

والثاني (ثانياً) أقوال العارفين كقولهم:

«كلّ ظاهر من مظهر يغاير المظهر من وجه أو وجوه إلاّ الحقّ، فإن له أن يكون عين الظاهر وعين المظهر».

وكقولهم المستغني عن الأقوال كلّها:

«العالم غيب لم يظهر قطّ، والحقّ تعالىٰ هو الظاهر ما غاب قطّ».

والناس في هذه المسئلة على عكس الصواب فيقولون: العالم ظاهر والحقّ تعالىٰ غيب، فهم بهذا الإعتبار في مقتضى هذا التنزّل كلّهم عبيد للسوى، وقد عافى الله تعالىٰ بعض عبيده من هذا الدّاء والحمد لله».

وهذا كلام لا مزيد عليه في هذا الباب.

وإذا عرفت هذا وعرفت هذه المقدّمات المشتملة على النقليّات، وتحقّقت هذه الضوابط المشحونة بالدّلائل والإستشهادات، فلنشرع في تحقيق هذه البحث، وتعيين الوجود وتقسيمه إلى المطلق والمقيّد، والواجب والممكن، وبيان أنّ الوجود في نفس الأمر واحد لكنّه بحسب الظهور والإعتبارات متكثّر، وتلك الإعتبارات والظهور هي المسمّى بالعالم، والعالم كالخطّ الوهمي الفرضي بين الدائرة الوجوديّة الواجبيّة كما

※. قوله: هو الأوّل الّذي.

ورد قريب منه في دعاء اليوم الأوّل من الشهر المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام، رواه السيّد بن طاووس في كتابه «الدّروع الواقية» ص ٨٢.

سنشكّلها ونقرّرها في صورة جدول ومشتمل على معنى «قاب قوسين أو أدنىٰ» وقد شرطناه أوّلاً وهو هذا:

(الوجود من حيث هو وجود واحد من جميع الجهات)

إعلم، أنّ الوجود بإتّفاق المحقّقين من أهل الله وخاصّته واحد من جميع الوجوه وليس في الخارج غيره وهو المسمّى بالمطلق والحقّ وغير ذلك وهو الواجب الوجود لذاته وممتنع العدم لذاته، وباقي الموجودات المسمّاة بالممكنات والمحدثات فهي مظاهر له ومجالي لكمالاته وأوصافه إمّا بالإضافة والنّسبة أي إضافة المطلق إلى المقيّد ونسبة الواجب إلى الممكن، وإمّا بالإرائة ذاته في مرايا الممكنات المتعدّدة والمحدثات المتبوعة، وعلى التقديرين من غير حصول كثرة في ذاته ووجوده أصلاً ورأساً، لأنّ الكثرة الإضافيّة ليست بقادحة في وحدة الذّات.

أمّا أنّه واحد فلأنّه نقيض العدم المطلق والعدم واحد فيكون نقيضه كذلك، وأمّا أنّ العدم واحد فلأنّ العدمان لا تمايز بينهما، لأنّ التميّز عبارة عن ثبوت صفة لشيء ليست ثابتة للآخر.

وثبوت الصّفة يستدعي ثبوت الموصوف، والعدم ليس بثابت فلا يكون متميّزاً فلا يكون متعدّداً فيجب أن يكون واحداً لأنّه لو تعدد لم ينحصر القسمة في قولنا: الشيء إمّا موجود أو معدوم لطلب العقل حينئذ قسم آخر وهو كونه موجوداً بذلك الوجود أو بهذا الوجود الآخر، لكنّا نعرف بالضّرورة أنّ العقل يجزم بانحصاره في أحدهما ولم يطلب قسماً آخر فعدم طلبه قسماً آخر يدل على عدمه فيكون الوجود حينئذ معنى واحداً وهو المطلوب.

وإمّا أنّه مطلق غير مقيّد مشترك بين الموجودات المقيّدة بالإضافة والنّسبة فلأنّا نقسّم الوجود إلى الواجب والممكن ومورد القسمة يجب أن يكون مشتركاً بينهما، والمشترك المقسم لا يكون نفس القسيم فيجب أن يكون غيرهما، وغير المقيّد لا يكون إلاّ مطلقا، والمطلق لا يكون إلاّ واحداً لدخول كلّ المقيّدات تحته حتّى الواجب والممكن.

(في أنّ الوجود مشترك معنوي)

وبيان ذلك وهو أن تعرف أنّ الإشتراك على قسمين لفظي وهو أن يكون لفظ واحد موضوعاً لمعان متغايرة كلفظة العين فإنّها لفظة واحدة موضوعة لعين الشّمس وعين الركبة وللعين الباصرة وغير ذلك، وهذه كلّها معان متغايرة، وإشتراك معنوي وهو أن يكون لفظاً واحداً موضوعاً لمعنى، وذلك المعنى مشترك بين معان كثيرة متخالفة كالحيوان مثلاً فإنّه موضوع لمعنى وهو الجسم الحسّاس المتحرّك بالإرادة، وهذا المعنى موجود في حيوان كثيرة متخالفة وهي الإنسان والفرس وغير ذلك من أنواع الحيوانات. فذهب بعضهم إلى أنّ وجود كلّ ماهية بعينها، والإشتراك إنّما هو في لفظ الوجود، وذهب بعضهم إلى أنّه مشترك بالإشتراك المعنوي والحقّ الأخير، والدليل عليه من وجهين:

الأوّل لأنّا نقسّم الوجود إلى الواجب والممكن بأن نقول: الوجود إمّا وجود واجبيّ أو إمكاني ومورد القسمة أعني المقسم مشترك بين الأقسام فيجب أن يكون واحداً لأنّ القسمة عبارة عن أخذنا المقسم وضمّنا إليه قيداً ليصر قسماً، نأخذ المقسم بعينه ونضمّ إليه قيداً آخر فيصير قسماً آخر وهكذا إلى أن ينتهي الأقسام، فمورد القسمة حينئذ مشترك بين الأقسام،

ومورد القسمة هنا الوجود فيكون مشتركاً ويكون واحداً.

والثاني أنّ النفي أمر واحد كما سبق فيجب أن يكون نقيضه الّذي هو الوجود واحداً وهو المطلوب، وهذا كلّه من لسان أهل النّظر ومن طريقهم حجّة وإلزاماً، وإلاّ من طريق أهل الله فلا نحتاج إلى هذا.

(في أنّ الحقّ سبحانه واجب الوجود لأنّه ليس بقابل للعدم)

وأمّا أنّه الحقّ تعالىٰ وأنّه واجب الوجود لذاته وممتنع العدم لذاته، فلأنّه ليس بقابل للعدم في ذاته، وكلّ ما ليس بقابل للعدم في ذاته فهو واجب الوجود لذاته.

أمّا الصغرى فلأنّه لو كان قابلاً للعدم للزم إتّصاف الشيء بنقيضه، وإتّصاف الشيء بنقيضه محال، فمحال أن يكون الوجود قابلاً للعدم في ذاته، وأيضاً لو كان قابلاً للعدم في ذاته لكان دائماً معدوماً، لأنّ الإقتضاء الذّاتي للشيء يكون لازماً لذلك الشيء، لأنّ الذاتيّات غير منفكة عن الذّات فلم يكن وجوداً والحال أنّه وجود فلا يكون معدوماً، وإذا لم يكن معدوماً في ذاته فيجب أن يكون موجوداً في ذاته وكلّ ما يكون موجوداً في ذاته يستحيل عليه العدم في ذاته فافهم.

وأمّا الكبرى فبمدّعي الخصم بإنّ كلّ ما ليس بقابل للعدم في ذاته فهو واجب الوجود لذاته فيكون الوجود المطلق حينئذ واجب الوجود لذاته.

وإن قلت: إتّصاف الشيء بنقيضه يكون مستحيلاً على تقدير أن يكون القابل مع المقبول شرطا فإذا لم يكن هذا الشرط موجوداً لابدّ وأن يكون المشروط مفقوداً، وذلك بأن يكون العدم طارياً على الوجود وزايلاً له لا

بطريق المعيّة.

قلنا: العدم ليس بشيء حيّ يكون له طريان على الوجود بمعنى الإزالة بأنّ العدم المطلق الّذي هو نقيض الوجود هو عبارة عن امتناع وجوده ذهناً وخارجا، وكلّ ما يكون هو ممتنع الوجود لذاته ذهناً وخارجاً لا يكون له طريان على شيء لايكون في الذهن و(لا في) الخارج إلاّ هو.

وإذا تقرّر هذا وتحقّق أنّ الوجود من حيث هو وجود واحد من جميع الجهات، ومقسم لجيمع الموجودات، وأنّه مطلق غير مقيّد، وأنّه واجب لذاته وممتنع العدم لذاته، فاعلم:

(ظهر العالم بتنزّل الواجب من حضرة الإطلاق إلى حضرة التقييد)

أنّ هذا الوجود الموصوف بهذه الأوصاف له تنزّل من حضرة الإطلاق والوجوب إلى حضرة التقييد والإمكان بمقتضي قوله:

«كنت كنزاًمخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق».(١٢٩)

وقد سبق أنّ هذا التنزّل من حيث الإضافة والنّسبة لا من حيث المحلّ والمكان، لئلاّ يتوّهم أحد غير الحقّ وينحرف عن طريقه، ويعضد ذلك قولهم:

---

(١٢٩) قوله: كنت كنزاً مخفيّاً.

راجع التعليق ٥٨.

«التوحيد إسقاط الإضافات».(١٣٠)

وبهذا التنزّل ثبت وجود الغير وظهر وجود العالم وإلاّ في حضرة إطلاقه ووحدته لا الغير ولا العالم:

«كان الله ولم يكن معه شيء والآن كما كان»*.

(التوحيد الحقيقي الصرف هو رؤية الواجب وجوداً واحداً في ذاته ومتكثّراً باعتباراته)

فالتوحيد الصّرف الحقيقي هو رؤية هذا الأمر على ما هو عليه في نفسه أي رؤية وجود واحد في ذاته متكثّر بإعتباراته، لأنّ الأوّل وجود حقيقي ذاتيّ خارجيّ، والثاني وجود مجازي عارضي وهمّي كما أشار إليه العارف في قوله:

«محو الموهوم مع صحو المعلوم».(١٣١)

لأنّ الموجودات الوهميّة مادامت ثابتة في الذّهن لم يصحّ وجود المعلوم الحقيقي الّذي هو الحقّ تعالىٰ جلّ ذكره، لأنّ الحقّ إنّما يتعيّن عند

---

(١٣٠) قوله: التوحيد إسقاط الإضافات.

راجع التعليق ٦٢.

*. قوله: كان الله.

راجع التعليق ٥٦ و ٨١.

(١٣١) قوله: محو الموهوم مع صحو المعلوم.

قد مرّت الإشارة إليه في «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ١٦٠، التعليق ٦٨، وج ٣ ص ٧٨ التعليق ٤٣، فراجع.

إضمحلال الإسم والرّسم هو الخلق المعبّر عنه بالممكنات والموجودات وغير ذلك،

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

إشارة إلى هذا المعنى، لأنّه مخبر عن فناء كلّ شيء وهلاكه في نفس الأمر، لا أنّه موقوف على وقت من الأوقات فإنّ ذلك غير صحيح.

(الممكن والوجود الإضافي فانيان و هالكان)

ومعلوم أنّ وجود الممكن من حيث هـو مـمكن مـتساوي الطـرفين بالنّسبة إلى الوجود والعدم، وكلّ ما يكون نسبة الوجود والعدم إلى ماهيّته وحقيقته على السويّة فهو لا يكون في نفس الأمر إلاّ فانياً هالكاً و:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[الرحمن: ٢٦ و٢٧].

أيضاً يؤكّد هذا المعنى ويعضده لأنّ «عليها» ضمير إلى حقيقة الوجود لا إلى الأرض كما هو رأى أرباب الظاهر، وتقديره: كلّ من على حقيقة الوجود الحقيقي قائم بها فهو في نفس الأمر فانٍ لأنّ قيامه بها في الحقيقة ليس إلاّ بالنّسبة والإضافة والتقييد والتعيين، وكلّ قيام يكون بمثل هـذه المقوّمات مع عدمها لا يكون فانياً زايلاً مضمحلاً، وقد تقدّم معنى هاتين الآيتين غير مرّة مع تأكيدهما بقوله:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

(الشاهد المكاشف لا يشاهد إلاّ ذاته المحاط)

لأنّ كلّ من حصل له هذا الشهود لا يشاهد إلاّ وجهه الّذي هو ذاته،

لأنّ المحيط هذا شأنه أعني لا يكون مخصوصاً بجهة من الجهات ولا محاط من محاطات، والحقّ تعالىٰ محيط بالكلّ لقوله:

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤].

فلا يشاهد هذا المحاط العارف بهذا إلاّ ذاته، وقوله:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤].

إشارة إلى هذا الشهود، ويعرف من هذا سرّ:

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩].

لأنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله في آخر الأمر عند نهاية عروجه إلى أوج السّماء الأحديّة المعبّر عنه بالمعراج المعنوي حيث حصل له هذا الشهود بجعل قوسي الوجوب والإمكان الّذي يحصل من فرض خط وهمّي بين دائرة الوجود المطلق قوساً واحداً ودائرة واحدة قال تعالىٰ في حقّه:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩].

لأنّ القوسين هٰهنا ليس إلاّ الوجودين أي الوجود الواجبيّ الإلهي والوجود الإمكاني الخلقي اللّذان هما في الحقيقة واحد كما بينّاه: أنّ الوجود من حيث هو وجود واحد والباقي موجود بالإضافة إليه والتقييد.

(ليس في الخارج إلاّ الوجود الواحد الحقيقي)

ومعلوم أيضاً أنّ كلّ مقيّد مطلق مع قيد الإضافة، والإضافة أمر عدميّ لا وجود لها في الخارج، فلا يكون في الخارج إلاّ الوجود الواحد الحقيقي الّذي به قيام كلّ موجود، وهذا سرّ إسمي «الحيّ القيّوم» اللّذين بهما قيام كلّ حيّ وموجود.

وقد ورد في إصطلاح القوم هذا المعنى بعينه في معني «قاب قوسين» وهو قولهم: «قاب قوسين» هو مقام القرب الأسمائي بإعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلّهي المسمّى دائرة الوجود كالإبداء والإعادة والنزول والعروج والفاعليّة والقابليّة وهو الإتّحاد بالحقّ مع بقاء التميّز الإثنينيّة المعبّر عنه بالإتّصال ولا أعلى من هذا المقام إلاّ مقام «أو أدنىٰ» وهو أحديّة عين الجمع الذاتيّة المعبّر عنه بقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ لإرتفاع التميّز والإثنينيّة الإعتباريّة هناك بالفناء المحض والطمس الكلّي للرسوم كلّها.

وقيل: مجمع البحرين هو حضرة قاب قوسين لإجتماع بحري الوجوب والإمكان فيها.

وقيل: هو حضرة جمع الوجود بإعتبار إجتماع الأسماء الإلّهيّة والحقائق الكونيّة فيها، وأن سميت القوسين بوجهي إطلاقه وتقييده، فذلك أيضاً جائز حسن.

والكلّ واحد: بحري الوجوب والإمكان، وقوسي الوجوب والإمكان، ووجهي الإطلاق والتقييد، وحضرة الوحدة والكثرة، «عباراتنا شتّىٰ حسنك واحد».

وقد عرفت معنى قوسي الوجوب والإمكان، وكذلك بحري الوجوب والإمكان لكن ما قرع سمعك معنى وجهي الإطلاق والتقييد المعبّر عنه بقوسي الوحدة والكثرة، وذلك قول بعض العارفين: «فاحضر قلبك حتّى تسمع ما يريد منه»، وهو قوله:

«وجها الإطلاق والتقييد هما جهتا إعتبار الذّات بسقوط جميع الإعتبارات وبحسب إثباتها، فإنّ ذات الحقّ هو الوجود من حيث هو وجود، فإن إعتبرته كذلك فهو المطلق أي الحقيقة الّتي:

«مع كل شيء لا بمقارنه». [نهج البلاغه: الخطبة ١].

فإنّ غير الوجود البحت هو العدم المحض فكيف يقارنه ما به موجود وبدونه معدوم.

«وغير كلّ شيء لا بمزايلة». [نهج البلاغه: الخطبة ١].

فإنّ ما عداه هي الأعيان المعدومة وهي غير الوجود فإن فارقها لم يكن شيئاً، فالكلّ به موجود وبدونه معدوم وهو الموجود بذاته، وممتنع العدم لذاته.

فإن قيّدته بالتجرّد أي بقيد أن لا يكون معه شيء فهو الأحد الّذي كان ولم يكن معه شيء، ولهذا قال المحقّق:

«الآن كما كان».(١٣٢)

وإن قيّدته بقيد أن يكون معه شيء فهو عين المقيّد الّذي هو به موجود وبدونه معدوم، وقد تجلّىٰ في صورته فأضيف إليه الوجود، فإذا أسقطت الإضافة فهو معدوم في ذاته وهذا معنى قولهم:

«التّوحيد إسقاط الإضافات».

وقد صدق من قال: «إنّ الوجود عين الحقيقة الواجب وغير حقيقة كلّ ممكن لأنّه زايد على كلّ ماهيّة وعين، إذ لا نشكّ أنّ سواديّة السّواد وإنسانيّة الإنسان مثلاً شيء غير وجوده وهو بدون الوجود معدوم».

وقد قيل في محويّة عين العبد في عينه تعالىٰ ومحو أفعاله في أفعاله، ومحو جميع الممكنات في حضرة وجوبه وإطلاقه معنىً يوافق هذا

---

(١٣٢) قوله: الآن كما كان.

العبارة حديث منقول عن المعصوم عليه السلام كما ذكرنا في التعليق ٥٦ فراجع.

المعنى نذكره ونرجع إلى الغرض و:

﴿كُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وهو قول بعض العارفين: «**محو عين العبد ومحو العبوديّة هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان**».

فإنّ الأعيان شئوون ذاتيّة ظهرت في الحضرة الواحديّة بحكم القابليّة فهي معلومات معدومة العين أبداً إلاّ أنّ الوجود الحقّ ظهر فيها مع كونها ممكنات معدومة لها آثار في الوجود والظاهر بها وبصورها المعلومة، والوجود ليس إلاّ عين الحقّ تعالىٰ والإضافة نسبة ليست لها وجود في الخارج، والأفعال والتأثيرات ليست إلاّ تابعة للوجود، إذ المعدوم لا يؤثّر فلا فاعل ولا موجود إلاّ الحقّ تعالىٰ وحده فهو العابد بإعتبار تعيّنه وتقيّده بصورة الخلق الّتي هي شأن من شئونه الذاتيّة وهو المعبود بإعتبار إطلاقه وعين الخلق على عدمها فالعبد محو والعبوديّة ممحوّة كما قال:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

ألاترى قوله تعالىٰ:

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله تعالىٰ:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

فأثبت أنّه رابع ثلاثة ونفىٰ أنّه ثالث ثلاثة، لأنّه لو كان أحدهم لكان ممكناً مثلهم تعالىٰ عن ذلك وتقدّس.

أمّا إذا كان رابعهم فكان غيرهم بإعتبار الحقيقة عينهم بإعتبار الوجود، أو غيرهم بإعتبار تعيّناتهم عينهم بإعتبار حقيقتهم.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[الزّمر: ٢٧].

وإذا عرفت هذا وحصل لك الفرق بين الوجود المطلق والمقيّد والممكن والواجب وقوسيهما وبحريهما المضافين إليهما فنرجع إلى بحث «قاب قوسين» ونقول:

(في بيان مقام قاب قوسين)

إعلم أنّ المناسبة بين هذا المقام والقرب المعنوي وبين الوجوب والإمكان المعبّر عنهما بالقوسين وهي أنّ القرآن نزل على قاعدة العرب ولغاتهم وإصطلاحاتهم فيجب أن يكون لهم نصيب من كلّ آية يخاطب بها ربّهم وإلاّ يكون عبثا ولا يكون بلسان قومه كما قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد كانوا يعبّرون عن أقرب القرب بقاب قوسين فوجب على الله تعالىٰ إخبار قرب النّبيّ لهم بعبارتهم ليفهمون المقصود من تلك العبارة ويعرفون قدرة ويعظّمونه بقدر معرفتهم به.

وسبب تعبيرهم القرب القريب بـ:«قاب قوسين» وهو الّذي حكى بعض الأبواب (الأصحاب) عنهم: أنّهم إذا أرادوا الصّلح بين الطّائفتين اللّتين جرى بينهم خصومة وعداوة وقتل ومحاربة مثلاً كانوا يجعلون كلّ واحدة من الطائفتين في قطر من الأقطار بحيث يكون كلّ واحدة منهما محاذياً للآخر، ثمّ يحكمون على كبيرهما ورئيسهما أن ينزلان عن فرسهما أو جملهما و(يجعلان) شيئاً في وسط ذلك المقام حتّى يلاقيان، فإذا تلاقيا فكان غاية القرب بينهما أن يصل وثر (وتر) قوس كلّ واحد منهما بالآخر من دون ملاقاة البدن والمعانقة المعهودة بين الناس، وكانوا

يسمّون هذا القرب قاب قوسين لقرب قوس كلّ واحد منهما إلى الآخر على الوجه المذكور.

فالحكيم الكامل جلّ جلاله حيث كان عالماً بهم وبعادتهم المعهودة بينهم أخبر عن قرب نبيّه به بهذه العبارة ليفهمون المقصود منه والعهدة على الرّاوي.

وقد ورد في هذا المعنى عند أهل التّفاسير روايات كثيرة وليس هناك أنسب من هذا بالنّسبة إلى هذه العبارة الّتي أخبر الله به قرب نبيّه ﷺ.

وهذا مع دقّته ولطافته نصيب أهل الظّاهر وأرباب القشور.

(مقصود العارف من الوجود)

وأمّا أرباب الباطن وأهل اللّب فلهم هاهنا إشارات أخر ستعرفها إن شاء الله، وقد سبق بعضها والبعض الآخر قبل الشروع في الدائرة والتشكيل وهو:

أنّ الوجود عندهم دوري لدور كلّ نقطة من الوجود الإضافي إلى مبدأه بعد الوصول إلى النهاية المقصودة منه لقوله جلّ ذكره:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وبيان ذلك على سبيل التفصيل والتوضيح وهو:

إنّا إذا فرضنا مثلاً ملاقاة نقطتين متقابلتين الواحدة منهما مبدائيّة والأخرى منتهائيّة لابدّ أن تكون بينهما مسافة ودورة لإتّصال كلّ نقطة منهما بالأخرى فتلك الدورة الواقعة بين النقطتين هو دائرة الوجود الإضافي المنقسم للوجود الحقيقي إلى المطلق والمقيّد والواجب والممكن والقديم والمحدث وذلك لفرض خط وهمي بين تلك الدائرة المعبّر عنه

بالعالم والخلق وغير ذلك وإلاّ في الحقيقة ليس هناك وجود غير أصلاً كما بينّاه غير مرّة.

ومثال تلك الدورة في الحسّ والعقل دورة الشّمس مثلاً من النقطة الحمليّة بعد قطع البروج كلّها إليها ومع أنّها كذلك يجوز أن يفرض فيها وفي حركتها الدورية كلّ نقطة مبدأ والأخرى منتهىٰ، وكذلك الوجود والموجودات الدائرة عليه من المبدأ إلى المنتهى فافهم جدّاً.

فالعارف المحقّق المطّلع على هذا السرّ كشفاً لا يشاهد أبداً إلاّ وجوداً واحداً قائماً بذاته أزلاً وأبداً، والوجودات القائمة به إلاّ وجوداً مجازيّاً إضافيّاً عارضيّاً في معرض الزّوال والفناء والهلاك أزلاً وأبداً كوجود الأمواج بالنّسبة إلى البحر وهلاكها وزوالها آناً فآناً في أنفسها من غير إنفكاكها عن البحر وإنفكاك البحر عنها، ويعرف سرّ قولهم في هذا من غير شك وشبهة وهو قولهم:

«الباقي باق في الأزل والفاني فان لم يزل».

وكذلك سرّ قوله تعالىٰ:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ و٢٧].

وسرّ قوله:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وسرّ قوله:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وبالجملة يشاهد الوجود الحقيقي على ما هو عليه في النّفس الأمر من البقاء والدّوام والثّبات، والوجود المجازي في الهلاك والزّوال والفناء،

وليس للعارف مقصود في الوجود إلاّ هذا رزقنا الله الوصول إليها.

ونظراً إلى هذا قال العارف المحقّق نظماً:

هـذا الوجـود وإن تـعدّد ظـاهراً وحـياتكم! مـا فـيه إلاّ أنـتم

وأنـتم حـقيقة كـلّ مـوجودٍ بـدا ووجود هذا (هذى) الكائنات توهّم

وقد سبقت هذه الأبيات مرّة أخرىٰ، والمقصود منها واحد. وقول النّبيّ ﷺ:

«إنّ الزمـان قـد اسـتدار كـهيئة يـوم خـلق الله فـيه السّماوات والأرض».(١٣٣)

إشارة إلى هذا، وقد أشرنا إليه في الخطبة إجمالاً. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّه﴾ [هود: ١٢٣].

وقول العارف:

«منه بداء وإليه يعود».(١٣٤)

---

(١٣٣) قوله: إنّ الزمان قد استدار.

أخرجه مسلم في سننه ج ٣ كتاب القسامة الباب ٩، الحديث ٢٩، ص ١٣٠٥.

وأخرجه ابن كثير في تفسيره عن أحمد بن حنبل وغيره، ج ٢ ص ٥٧٤، سورة التوبة الآية ٣٦.

ورواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ٤٨٢.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٤٦٥ التعليق ٢٥٢.

(١٣٤) قوله: منه بداء وإليه يعود.

روى الصدوق في «علل الشرايع» باب ٢٤٠، عن الباقر عليه السلام:

(في أنّ الأزل عين الأبد، وشكل المستدير أفضل الأشكال)

والعلّة الكبرىٰ في أنّ الوجود دوريّ وهي أنّه لا يمكن فرض نقطة مبدائية وإلاّ بإزائها تفرض نقطة منتهائيّة خصوصاً في الدائرة الكريّة المحيطة، لأنّ كلّ نقطة منها فرضت مبدئاً تكون بالنّسبة إلى النقطة الأخرىٰ منتهى، أو كلّ نقطة فرضت تكون بإزائها نقطة أخرىٰ منتهىٰ، وفي الحقيقة المبدأ عين المنتهى والمنتهى عين المبدأ، كما قيل: الأزل عين الأبد والأبد عين الأزل، و الأوّل عين الآخر والآخر عين الأوّل، وكذلك الظاهر والباطن، والمبدىء والمعيد، لأنّه الأوّل والآخر والظاهر والباطن والمبدئ والمعيد، وليس في هذا نقض في وحدته ولا قدح في تقديسه، ومن هذا وقع أيضاً صورة جميع الأجسام الأفلاك والعناصر وبل العالم بأسره كريّة، لأنّها أفضل الأشكال، ولقولهم أيضاً: «**أفضل الأشكال الشكل المستدير**»، وسر ذلك وهو أنّه: لو أمكن شكل أفضل من شكل مستدير لظهر الوجود بذلك الشكل بما تقرّر أنّه: «**ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم**».(١٣٥) لأنّه لو أمكن للزم: إمّا العجز من الله، أو البخل منه وجلّ جنابه عنهما.

⊃ «وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأوّل الّذي منه ابتداء».

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ٤٦٤ التعليق ٢٥١.

(١٣٥) قوله: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم.

قاله أبو حامد الغزّالي، نقله عنه ابن العربي في «الفتوحات المكيّة» ج ٨ ص ٢٢١، طبع عثمان يحييٰ، وراجع «شرح كلمات الصوفيّة» لمحمود الغراب ص ٢٦٥.

فعرفنا حينئذ أن ليس في الإمكان أفضل من شكل المستدير، وهاهنا سرّ آخر بالنّسبة إلى إحاطته بالكلّ الّذي هو محاطاته من الموجودات والمخلوقات كما سبق ذكره عند قوله:

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤].

لأنّ الإحاطة عبارة عن شمول المحيط جميع أطراف المحاط وإلاّ لايصدق الإحاطة، ومن هذا يلزم التدوير والتحويط من غير خصوصيّة بمكان ومحلّ كإحاطة الدائرة المفروضة بالنّقطة المركزيّة المفروضة أيضاً أو الوجوديّتان وكلاهما صحيح، وإلى هذه الإحاطة أشار النّبيّ ﷺ بقوله:

«لو دلّيتم بحبل لهبط على الله».(١٣٦)

وكذلك أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة». [نهج البلاغة: الخطبة ١].

وفي قوله:

«وإنّه لبكلّ مكان، وفي كلّ حينٍ وأوان، ومع كلّ إنس وجانّ، ظهر فبطن، وبطن فعلن، ودان ولم يدن». [نهج البلاغه: الخطبة ١٩٥ - صبحي والخطبة ١٨٦ - فيض].

---

(١٣٦) قوله: لو دلّيتم بحبل.

أخرجه الترمذي في سننه ج ٥ كتاب التفسير باب ٥٨، الحديث ٣٢٩٨، في حديث طويل عن النّبيّ ﷺ قال:

«والّذي نفس محمّد بيده لو أنّكم دلّيتم رجلاً بحبل إلى الأرض السفلىٰ لهبط على الله، ثمّ قرأ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾».

والغرض من هذه الإستشهادات في هذا الباب وهو أن لا يتوّهم من هذه الأسرار في لباس هذه الأقوال تجسيم وتحديد لازم للحدوث والإمكان في حقّه تعالىٰ جلّ ذكره، فإنّه منزّه عن أمثال ذلك، تعالىٰ الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقد أشرنا إلى هذا المعنى وبالغاً فيه مبالغة لا مزيد عليها، وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين.

وحيث إنّ بين الحسّ والعقل والكشف رابطة كليّة ومناسبة أزليّة وجوديّة نجعل هذه المعاني في صورة أشكال جمعيّة دوريّة كما شرطناه أوّلاً، لأنّ الحقائق الكشفيّة مثلاً إذا لم يمكن التعبير عنها كالذوقيّات والبديهيّات يجب إنزالها إلى المراتب العقليّة ليفهم بواسطتها المقصود منها، وكذلك المعارف العقليّة إذا لم يكن التعبير عنها كالكشفيّات بالنّسبة إلى العقليّات يجب إنزالها إلى المراتب الحسيّة.

ليعرف بواسطتها المقصود منها، سيّما في صورة دائرة مشكّلة محسوسة مجدوّلة، وهذه هي صورة تلك الدائرة الموعودة المسمّاة بدائرة: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ١١].

وبالله التوفيق والعصمة وهو يقول الحقّ وهو يهدى السبيل.

(قاب قوسين أو أدنى)

الأول

الآخر

(ما كُتب في متن الدائرة)

وكلّيات هذا الوجود أربعة من الأسماء: الأوّل، الآخر، الظاهر، الباطن. وهذه الدائرة هي الدائرة الكلّيّة الوجوديّة المعبّرة عنها بقاب قوسين.

نهاية الدائرة ومحلّ إجتماع القوسين، بإزالة الخطّ الوهمي المشار إليه في المقدّمات.

المراد بالوجود هٰهنا الوجود الحقيقي الإلهي المعبّر عنه بالوجود المطلق الّذي يدخل تحته الوجودات كلّها من الواجب والممكن، لأنّه المقسم والباقي قسيمه كما مرّ ذكره.

هذا القوس الواجبي المشتمل على الوجوب والقدم والأسماء والصّفات والأفعال.

هذا القوس الإمكاني المشتمل على الممكنات والمخلوقات كلّها روحانيّة كانت أو جسمانيّة.

هذا هو الخطّ الوهميّ المعبّر عنه بالعالم والممكنات وغير ذلك الّذي بإزالته يحصل إجتماع القوسين ويتحدّ الوجود بأمره.

قال تعالىٰ:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨ و ٩].

وهذه الدائرة وما اشتمل عليها ليست بغريبة في الوجود ومظاهره الصوريّة والمعنوية، لأنّ الوجود يحتمل هذا وأكثر، ولكن وهي غريبة في النّبوّة المطلقة والمقيّدة، والدائرة الّتي وضعوها بالنّسبة إلى النّبيّ المطلق والنّبيّ المقيّد، والنّبوّة المطلقة والنّبوّة المقيّدة، وكذلك إلى الولاية المطلقة والمقيّدة، والوليّ المطلق والمقيّد وأمثال ذلك فإنّها في غاية الغرابة، وهذا

الموضع ليس موضع جميع ذلك لكن نذكر بعضه في صورة دائرة مجدولة مشكّلة موضوعة لهذا المعنى خاصّة. والمراد منه أنّه يعضد كلامنا السابق في بحث الوجود والدائرة وغير ذلك، وهو قول بعض العارفين بعبارته هذا.

(نبوّت النّبيّ الخاتم ﷺ دائميّة غير منصرمة وحقيقته هي حقيقة الرّوح الأعظم)

إعلم، أنّ النّبوّة بمعنى الإنباء، والنّبيّ هو المنبيء عن الله سبحانه وصفاته وأسمائه وأحكامه ومراداته، والإنباء الحقيقي الذّاتي الأوّلي ليس إلاّ للرّوح الأعظم الّذي بعثه الله تعالى إلى النّفس الكلّيّة أوّلاً، ثمّ إلى النفوس الجزئيّة ثانياً لينبّئهم بلسانه العقلي عن الذّات الأحديّة والصفات الأزليّة والأسماء الإلهيّة والأحكام القديمة والمرادات الجسيمة.

وكلّ نبيّ من لدن آدم عليه السلام إلى محمّد ﷺ مظهر من مظاهر نبوّة الرّوح الأعظم، فنبوّته ذاتيّة دائمة، ونبوّة المظاهر عرضيّة منصرمة إلاّ نبوّة محمّد ﷺ فإنّها دائمة غير منصرمة إذ حقيقته حقيقة الرّوح الأعظم وصورته صورته الّتي ظهرت فيها الحقيقة بجميع أسمائها وصفاتها، وسائر الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء والصّفات تجلّت في كلّ مظهر بصفة من صفاتها وإسم من أسمائها إلى أن تجلّت في المظهر المحمّدي بذاتها وجيمع صفاتها وختم به النّبوّة فكان الرّسول ﷺ سابقاً على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة متأخّراً عنهم من حيث الصورة كما قال:

«نحن الآخرون السّابقون».(١٣٧)

وقال:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».(١٣٨)

(سرّ ختم النبوّة)

وذلك لأنّ نبوّة الرّوح الأعظم سابق على وجود الأرواح والأجساد.

ومن يدرك هذا المعنى يفهم سرّ ختم النّبوّة، وأضرب لك مثلاً دائرة لها وجود في الذهن ووجود في الخارج وهو مظهر الوجود الذهني وصورته، والذهني حقيقته ومعناه متقدّم عليه، ووجودها الخارجي خط مستدير متألّف من نقطة متواصلة، وجود كلّ نقطة منها مظهر وصف من أوصاف وجودها الذّهني، ولا يوجد حقيقتها في الخارج إلاّ عند تكامل الأجزاء وتواصلها بوجود النقطة الأخيرة المتّصلة بالنقطة الأولى، فالنقطة الأخيرة لإشتمالها على سائر النقط مظهر لحقيقة الدائرة وسائر مظاهر أوصافها.

فكذلك مُثّل للنبوّة دائرة لها وجود في الغيب هو حقيقتها ومعناها،

---

(١٣٧) قوله: نحن الآخرون السّابقون.

رواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٢٤ ص ٤ الحديث ١١ عن ابن شهر آشوب.

وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٥٨ باب ٦ الحديث ١٩ و ٢٠ و ٢١.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٤٤١ وج ٢ ص ٤٥٩ وج ٣ ص ٢٥٠ التعليق ١٢٨.

(١٣٨) قوله: كنت نبيّاً وآدم.

راجع التعليق ٨٤.

ووجود في الشهادة هو مظهرها وصورتها، والحقيقة متقدّمة على الصورة من حيث الوجود متأخرة عنها من حيث الظهور، ووجودها الخارجي خط مستدير متألّف من نقط وجودات الأنبياء المتواصلة، وجود كلّ نقطة منها مظهر صفة من أوصاف وجودها العيني ولا يوجد في الخارج إلاّ عند تكامل أجزائها من النقط بوجود النقطة الأخيرة الّتي هي الصورة الجزئيّة المحمّديّة، وتمّ بها صورة دائرة النّبوّة، وظهر فيها حقيقتها بجميع أوصافها.

وحقيقة هذه الدائرة هي الرّوح الأعظم الّذي هو حامل معنى النّبوّة وله بداية هي أوّل نقطة الإنباء وهو وجود آدمعليه‌السلام وحركة دوريّة في نقط وجودات الأنبياءعليهم‌السلام، ونهاية منطبقة على البداية هي النقطة الأخيرة المحمّديّة، والنّبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله مثّل النّبوّة بـ: «حائط كمل إلاّ موضع لبنة واحدة هي وجوده»[١٣٩].

مشيراً إلى هذا المعنى، وهذا المعنى يرشد إلى معنى قوله:

---

(١٣٩) قوله: حائط كمل إلاّ موضع لبنة.

روى ابن شهر آشوب في «مناقب آل ابى طالب» ج ١ ص ٢٣١ في (فصل في النكت والإشارات) عن جابر وأبو هريره، عن النّبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله:

«وإنّما مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويعجبون بها ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللّبنة وأنا خاتم النّبيين».

ورواه أيضاً ابن أبى جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٢٢ الحديث ٢٠٣ وأخرجه مسلم بعبارات مختلفة في سننه ج ٤ كتاب الفضائل باب ٧ ذكر كونهصلى‌الله‌عليه‌وآله خاتم النّبيّين، ص ١٧٩٠، الحديث ٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣.

«إنّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله فيه السّماوات الأرض».(١٤٠)

فظهر من ضرب هذا المثل أنّ نبوّة الرّسول عليه أفضل الصّلوات ذاتيّة دائمة لأنّها المنتهىٰ والمنتهىٰ عين المبتدأ، والمبتدأ هو الرّوح الأعظم المتجلّي في كلّ نقطة من نقط الإنباء بوصف من أوصافها، وفي نقطة الصورة المحمّديّة بذاتها، كظهور البذر في كلّ مرتبة من مراتب النموّ بوصف من أوصافه، وفي منتهى المراتب وهو الثمرة بالذّات.

وحقيقة كلّ نقطة حاملة لوصف الإنباء هي اللطيفة المتولّدة من إزدواج (زواج) الرّوح والنّفس الجزئيّين ويسمّى قلباً وهو محلّ نزول الرّوح عليه بالإنباء كما قال عليه السلام:

﴿نَزَلَ بِهِ الرّوحِ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤].

فهو عرش الرّوح الأعظم إذ لا يسعه إلاّ هو كما قال سبحانه:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن».(١٤١)

ولا يستوي إلاّ على عرش القلب المحمّدي، لأنّه لا يتجلّي بالذّات إلاّ عليه.

فلو قيل: يسعني يدلّ على أنّه يسع الحقّ، والرّوح غيره.

---

(١٤٠) قوله: إنّ الزمان.

وقد مرّت الإشارة إليه في التعليق ١٣٣ فراجع.

(١٤١) قوله: لايسعني أرضي ولا سمائي.

راجع التعليق ٤٤.

قلنا: كذلك لكنّه خليفة الحقّ، والخليفة يحاكي المخلِف في الصّفات، بل هو مظهر الحقّ، فيكون الإستناد إليه إستناداً إلى الحقّ حقيقة.

وللقلب وجه إلى الرّوح ويسمّى فؤاداً وهو محلّ الشهود كما نصّ عليه قوله تعالىٰ:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

ووجه إلى النّفس يسمّي صدراً وهو محلّ صور العلوم، والقلب عرش الرّوح كما أنّ العرش قلب الكاينات في عالم الشهادة، هـذا بـالنّسبة إلى النّبوّة ونقطها المفروضة والموجودة في الدائرتين أى الوجوي والذهنى.

(الولاية باطن النبوّة)

وأمّا بالنّسبة إلى الولاية فقال: «الولاية فـهي التـصرّف فـي الخـلق بالحقّ»، وليست في الحقيقة إلاّ باطن النّـبوّة لأنّ النّـبوّة ظـاهر الإنـباء، وباطنها التصرّف في النّفوس بإجراء الأحكام عليها، والنّبوّة مختومة من حيث الإنباء إذ لا نبيّ بعد محمّدﷺ دائمة من حيث الولاية والتصرّف، لأنّ نفوس الأولياء من أمّة محمّدﷺ حملة تصرّف ولايته يتصرّف بـهم في الخلق بالحقّ إلى قيام الساعة.

فباب الولاية مفتوح وباب النّبوّة مسدود، وعلامة صحّة الوليّ متابعة النّبيّﷺ في الظاهر، لأنّهما يأخذان التصرّف من مأخذ واحد، إذ الوليّ هو مظهر تصرّف النّبيّ فلا متصرّف إلاّ واحد.

ومن هذا الوجه تكلّم بعض الأتباع عن نفسه بخصائص النّبيّﷺ على سبيل الحكاية فنزّل نفسه من النّبيّ منزلة الآلة في التصرّف نحو قول ابن فارض قدّس الله روحه:

إليّ رسـولاً كـنت مـني مـرسلاً   وذاتي بآياتي عليّ اسـتدلّت[١٤٢]

ونحو قوله:

وكـلّهم عـن سـبق مـعناي دائـر   بدائـرتي أو واحـد مـن شـريعتي

وإنّي وإن كـنت ابـن آدم صـورة   فـلي فـيه مـعنى شـاهد بـأبوّتي

وكما أنّ النّبوّة دائرة متألفة في الخارج من نقط وجودات الأنبياء كاملة بوجود النقطة المحمّديّة، فالولاية أيضاً دائرة متألّفة في الخارج من نقط وجودات الأولياء كاملة بوجود النقطة الّـتي سـيختم بـها الولايـة وهـو المهديّ، وخاتم الأولياء على ما ذكر لا يكون في الحقيقة إلاّ خـاتم الأنبياء وعليه تقوم الساعة.

وقد سبق في إصطلاح القوم في تعريف الخاتم: أنّ خاتم النّـبوّة هـو الّذي ختم الله به النّبوّة ولا يكون إلاّ واحد وهو نـبيّنا، وكـذا خـاتم الولاية وهو الّذي يبلغ صلاح الدّنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختلّ بموته نظام العالم وهو المهديّ الموعود في آخر الزمان.

وكذا في تعريف القطب فإنّهم قالوا: «**القطبيّة الكبرىٰ هي مرتبة قطب الأقطاب وهي باطن نبوّة محمّد فلا تكون إلا لورثته لإختصاصه بالأكمليّة فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلاّ على باطن خـاتم النّبوّة**»، وهو الآن ليس إلاّ مهديّ، وستعرفه أوضح من ذلك في بحث النّبوّة والولاية.

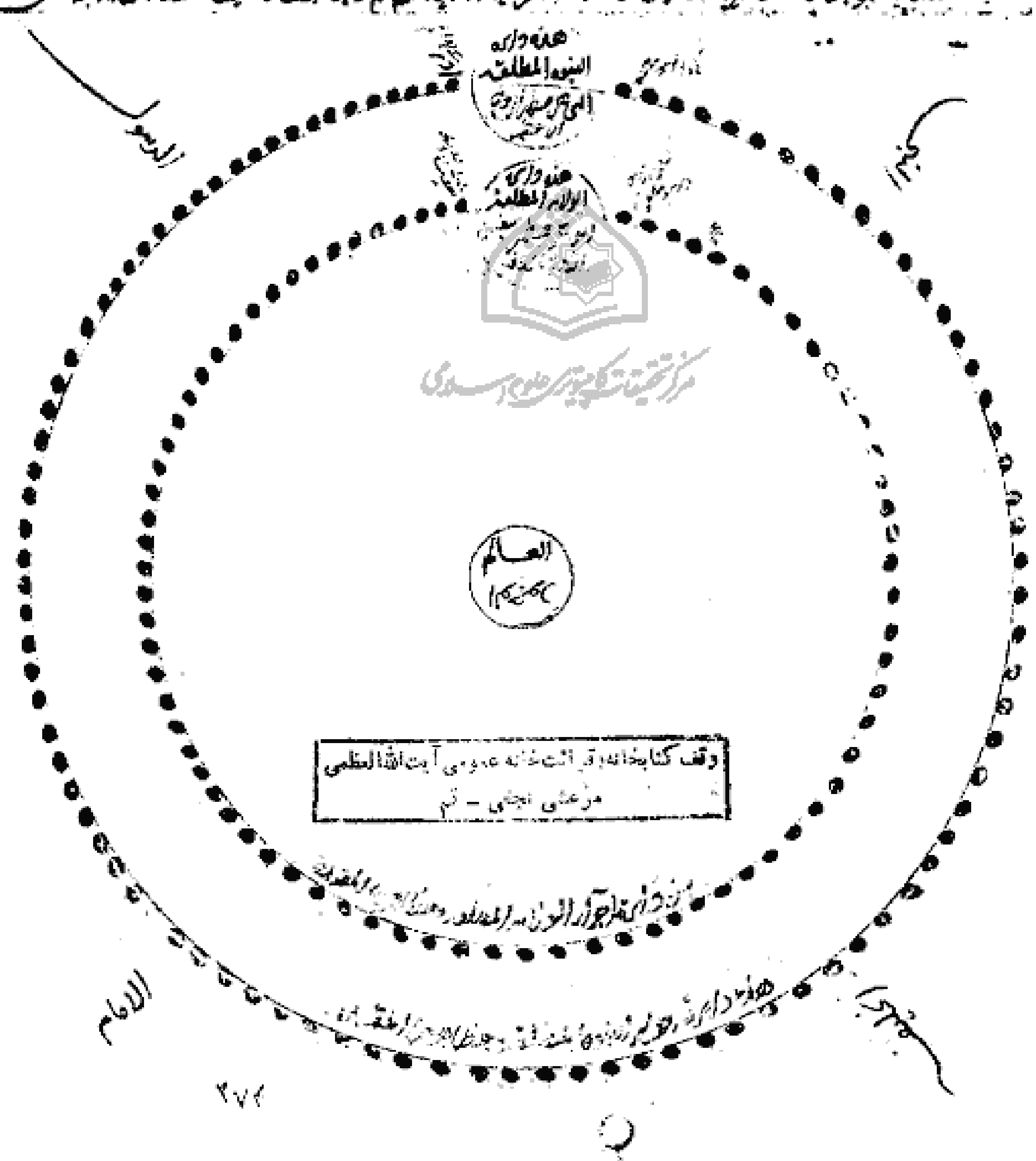
---

(١٤٢) قوله: إليّ رسولاً.

راجع «مشارق الدراري» ص ٣٧٨ وص ٥٣٧، وديوان ابن فارض (الخوري) ص ١٠٤ وص ١٢، و(عطوي) ص ٧٦ و ٩٤.

وحيث فرغنا من هذه الأبحاث المتعلّقة بالنّبوّة والولاية فـي صـورة النقط والدائرة، فلنشرع في صورة الدائرتين المركّبتين من نقط وجودات الأنبياء والأولياء عليهم السلام توضيحاً للمبحث وتحقيقاً للمقصد وهو هذا وبـالله التوفيق.




هذه دائرة النبوة المطلقة
هذه دائرة الولاية المطلقة
العالم
الامام

(متن الدائرة)

النّبيّ - الرّسول - الخليفة - الإمام

هذه دائرة النّبوّة المطلقة الّتي هي مظهر الرّوح الأعظم

محمّد صلى الله عليه وآله و آدم عليه السلام

هذه دائرة الولاية المطلقة الّتي هي مظهر النّفس الكلّيّة بالخلافة

المهديّ عليه السلام - شيث عليه السلام

العالم الوجود

هذه دائرة إجزاء الولاية المطلقة ومظاهرها المقيّدة

هذه دائرة إجزاء النّبوّة المطلقة ومظاهرها المقيّدة

وحيث إنّ هذه الدائرة وقعت مرموزة شديدة الفهم بعيدة الغور نشكل دائرة أخرى في هذا المعنى أوضح منها ليسهل عليك وعلى غيرك إدراكها وإدراك ما في ضمنها من الأمور والأسرار، لأنّ نظرنا ونظر أهل الله من أصحابنا دائماً على إيصال المعاني والمعارف إلى الأذهان والأسماع على أيّ وجه يكون كما قرّرناه قبل ذلك، لا على الإغلاق والإشكال كما هو عادة الغير من علماء الظاهر وأرباب المعقول.

ونريد أن نضيف إليها جدولاً آخر فوق الجدولين محيطاً بهما مشتملاً على الأسماء الإلهيّة الّتي النّبوّة والولاية مطلقاً ومقيّداً من مظاهرها ومجاليها بحيث نجعل موضع كلّ نقطة من نقط الدوائر الثلاث: إمّا إسم من أسماء الله أو إسم نبيّ من أنبياء الله أو إسم وليّ من أولياء الله موضوعة في

دائرته الملصقة بالدائرة المحيطة بها، ونعيّن فيها الإسم الأعظم الّذي كلّ الأسماء تحته، ونعيّن فيها أوّل مظهر منها من الأنبياء وكذلك آخر مظهر منهم، ونعيّن أوّل مظهر من الأولياء وآخر مظهر منهم، ونعيّن أيضاً مظهر النّبوّة المطلقة والمقيّدة ومظهر الولاية المطلقة والمقيّدة ومحلّ الفيض الخاصّ والعام والتجلّي الخاصّ والعام.

وحيث تقرّر أنّ أوّل مظهر من مظاهر النّبوّة المطلقة بحكم الأسماء الإلهيّة وهو أبونا آدمعليه السلام، نجعل أوّل نقطة ودائرة مخصوصة به في أوّل الدائرة المحيطة بكلّ منهم.

(خاتم الولاية المطلقة والمقيّدة)

وحيث تقرّر أنّ آخر مظهر من مظاهر النّبوّة المقيّدة محمّدصلى الله عليه وآله نجعل آخر نقطة ودائرة مخصوصة به في آخر الدائرة المحيطة لكلّ منهم، وكذلك بالنّسبة إلى الأولياء أعني نجعل أوّل مظهر من مظاهر الولاية المطلقة شيثعليه السلام، ونجعل أوّل نقطة ودائرة مخصوصة به في أوّل الدائرة المحيطة لكلّ منهم، ونجعل آخر مظهر من مظاهر الولاية المقيّدةالمهديّعليه السلام، ونجعل آخر نقطة ودائرة مخصوصة به في آخر الدائرة المحيطة لكلّ منهم.

والخلاف الّذي وقع بين المشايخ في تعيين خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، وتخصيص بعضهم الولاية المطلقة بعيسىعليه السلام والمقيّدة بأنفسهم دون المهديّعليه السلام، وتخصيصاً الولاية المطلقة بعليّ أميرالمؤمنينعليه السلام والمقيّدة بولده المعصوم المهديّعليه السلام عقلاً ونقلاً وكشفاً، فذلك سيجيء إن شاء الله (كما مرّ) في المقدّمة السّادسة عند بحث النّبوّة والولاية والرّسالة

والشريعة والطّريقة والحقيقة وغير ذلك لأنّ النّبيّ المطلق كما قال:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».(١٤٣)

الوليّ المطلق قال أيضاً:

«كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين».(١٤٤)

كما خصّ الأوّل بمحمّد ﷺ بالإتّفاق خصّ الثاني بعليّ عليه السلام بإتّفاق أكثر المشايخ أيضاً.

وقد ألزمنا بذلك الشيخ الأعظم محيي الدين العربي قدّس الله سرّه بأنّه يلزم من كلامه في الفصوص والفتوحات تعريضاً دون التصريح هذا المعنى بعينه.

والدليل على ذلك من النقل قبل العقل والكشف قوله ﷺ:

«خلق الله تعالىٰ روحي وروح عليّ بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألف ألف عام».(١٤٥)

وقوله ﷺ:

---

(١٤٣) قوله: كنت نبيّاً.

راجع التعليق ٨٤.

(١٤٤) قوله: كنت وليّاً.

روىٰ قريب منه المفيد في أماليه المجلس الأوّل ص ١٥ الحديث ٣.

و«عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٢٤، الحديث ٢٠٨.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٢٦٧ التعليق ٤٦.

(١٤٥) قوله: خلق الله روحي وروح عليّ بن ابي طالب.

راجع التعليق ٩٣.

«بعث علياً مع كلّ نبيّ سرّاً ومعي جهراً».(١٤٦)

لأنّ ذلك يدل على نسبة المعنويّة مع النّبيّ دون نسبة الصوريّة وعلى قربه الأبديّ (الذّاتي) الأزلي دون قربه الإمكاني (الكمالي) الأبدي.

وقد تقرّر أنّ الولاية المطلقة عبارة عن باطن حقيقة النّبوّة المطلقة وليس ذلك إلاّ عليّ عليه السلام بحكم النقل المذكور وغيره وذكر هذا المعنى بعينه الشيخ في الفتوحات وقد ألزمناه بكلامه في هذا المعنى، وهذا المقام له بسط عظيم ما يحتمل هذا المكان غير هذا سنبسط الكلام فيه في موضعه كما شرطناه إن شاء الله.

وقبل الخوض في الدائرة وتشكيلها نريد أن نقرّر لك ضابطة كلّيّة تنتفع بها في هذا الباب وهي أن تعرف:

(الولاية ظاهر الألوهيّة)

أنّ الوجود دائر على حقيقة ثلاثة: حقيقة الألوهيّة، وحقيقة الولاية، وحقيقة النّبوّة، وكلّ واحدة من هذه الحقائق منوطة بالأخرىٰ بحيث يستحيل إنفكاكها عنها كاللوزة المشتملة على القشر واللب والدّهن، فإنّ إنفكاك كلّ واحدة منها من حيث إنّها لوزة مستحيل.

فالنّبوّة ظاهر الولاية، والولاية ظاهر الألوهيّة، وكما أنّ حصول النّبوّة

---

(١٤٦) قوله: بعث علياً مع كلّ نبيّ.

رواه الجزائري في «القصص» ص ٩١ الباب الخامس في تخصيص نبيّ الله صالح، قال: وروى صاحب كتاب «القدسيّات» من علماء الجمهور: أنّه قال جبرئيل عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله بعث عليّاً مع الأنبياء باطناً وبعثه معك ظاهراً».

بدون الإتّصاف بصفة الولاية مستحيل، فكذلك حصول الولاية بدون الإتصاف بصفة الألوهيّة مستحيل، فالنّبيّ الكامل المعبّر عنه بالرّسول وليّ ونبيّ ورسول، وكلّ هذا من إتّصافه بصفة الألوهيّة لقوله ﷺ:

«من رأني فقد رأى الحقّ».(١٤٧)

ولقوله:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل».

لأنّ هذا إخبار عن حاله كان فيها متّصفاً بصفات الحقّ تعالىٰ، وإلى هذا أشار... العارف:

«تخلّقوا بأخلاق الله واتّصفوا بصفاته».(١٤٨)

(كيفيّة اتّصاف العبد بصفات الربّ)

وقد بيّنا لك كيفيّة إتّصاف العبد بصفات الربّ في مثال النار والفحم وتقريره:

أنّ النار جرم نوراني لطيف يحصل منه الحرارة والضوء والطبخ النُّضج

---

(١٤٧) قوله: من رأني فقد رأى الحقّ.

أخرجه البخاري في صحيحه ج ٩ كتاب التعبير الباب ١٠٢٩ الحديث ١٨٣٠، وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٦٥ التعليق ٣٥، وج ٢ ص ٥٣ التعليق ٢١.

(١٤٨) قوله: تخلّقوا بأخلاق الله.

رواه الديلمي في «إرشاد القلوب» الباب ٢٨ (في البصر) ص ١٢٧. وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٢٥٥ التعليق ٣٧، وج ٢ ص ٤٦٩ التعليق ٢٥٦، وج ٣ ص ٦١ التعليق ٣٢.

والتحليل وأمثال ذلك، والفحم جرم ظلمانيّ كدر ما يحصل منه إلاّ البرودة والظّلمة وعدم الطبخ والنضج لكن إذا حصل له قرب النار بالتدريج وأثّرت النار فيه كما ينبغي صار هو هو، وكلّ ما يجيء من النار يجيء منه لأنّه الآن هو النّار لا الفحم فافهم هذا حتّى تعرف معنى قولهم:

«سبحاني ما أعظم شأني».(١٤٩)

ومعني قولهم:

«أنا الحقّ وأنا الله».(١٥٠)

وغير ذلك وكذلك معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

(فناء الممكن في الواجب)

فإذا تدبّرت معنى هذا المثال في الواجب والممكن وأوصافهما، وفناء الممكن في الواجب والمقيّد في المطلق كما تقرّر مراراً عرفت أن الملك المحدث المخلوق يتّصف بصفات الواجب القديم الخالق وفيه قيل:

أ أنت أم أنا هذا العين في العين حاشاك حاشاك من إثبات إثنتين*

---

(١٤٩) قوله: سبحاني ما أعظم شأني.

صدر من أبي يزيد بسطامي، ذكره أيضاً المؤلّف الجليل في مقدمات نصّ النصوص ص ٢٠٣، والبدوي في «شطحات الصوفيّة» ص ٣٠.

(١٥٠) قوله: انا الحقّ.

قاله الحلاّج، راجع نفس المصدر المذكور في التعليق السابق.

*. قوله: أ أنت أم أنا.

والغرض أنّ النّبيّ إذا إتّصف بصفات الحقّ وأخلاقه، يصدق عليه أنّه وليّ من حيث الولاية، وإذا اتّصف بالولاية يصدق أنّه حقّ من حيث فنائه في الحقّ وبقائه به كفناء الموج في البحر مثلاً فانّ الموج إذا فنىٰ من تعيّنه وتشخّصه بإتحّاده بالبحر صار بحراً من غير خلاف.

وبناء على هذا يجب أن يكون خاتم الأولياء غير منفك عن خاتم الأنبياء حقيقة ومعنى وكذلك حقيقته عن حقيقته، وليس هذا المعنى صادق إلاّ علىٰ عليّ عليه السلام عقلاً ونقلاً وكشفاً فيجب أن يكون خاتم الأولياء مطلقاً هو لاغيره، وكذلك خاتم الأولياء مقيّداً لا يجوز أن يكون إلاّ المهديّ عليه السلام، فإنّه منهم ومن حقيقتهم.

(الأنبياء جميعاً مظاهر لخاتمهم)

والحقائق الثلاث المذكورة في الحقيقة واحدة فجميع الأنبياء يجب أن يكون مظهراً لخاتم الأنبياء الّذي هو محمّد صلى الله عليه وآله، وجميع الأولياء يجب أن يكون مظهرا لخاتم الأولياء مطلقاً الّذي هو عليّ عليه السلام، وخاتم الأنبياء المقيّدة يجب أن يكون عيسى عليه السلام، وخاتم الأولياء المقيّدة مطلقاً كذلك يجب أن يكون المهديّ عليه السلام، وهذا هو الترتيب المعنوي والصّوري والمطلق والمقيّد وستعرفه أكثر من ذلك إن شاء الله.

فإذا عرفت هذا فلنشرع في صورة الدائرة المودوعة وشكلها، وهي هذه، وبالله التوفيق[١٥١].

---

* قاله الحلاّج، ديوان حلاّج ص ٩٠.

(١٥١) الدائرة مفقودة ولا توجد في مخطوط الكتاب.

....بقدر هذا المقام، وغير ذلك من الأبحاث الشريفة والأسرار الدقيقة، ويمكن تطبيق مجموع هذه الدوائر وما فيها بالنّسبة إلى الآفاق والأنفس لكن ليس هذا موضعه ويكفي في هذا الباب صورة الدائرتين اللّتين سبقتا في تطبيق الإنسان الكبير المعبّر عنه بالعالم والإنسان الصغير المعبّر عنه بالأنفس صورة ومعنى وبيان الأقطاب السّبعة الآفاقيّة بالأقطاب السّبعة المعنويّة، وتطبيق الكواب السّبعة بالأقاليم السّبعة وكذلك بالطوائف السّبعة المتعلّقة بتلك الأقاليم والعلوم السّبعة الظاهرة بالعلوم السبعة الباطنة، وبيان دورة كلّ واحدة من الكواكب السبعة في البروج الإثنى عشرة ودورة كلّ واحدة من الأقطاب السبعة المعنويّة، والبروج الإثنى عشرة المعبرة عنها بالأئمّة الإثنى عشرة من أهل بيت نبيّنا عليه وعليهم السلام.

وحيث فرغنا من هذه كلّها وتقرّرت هذه المباحث بهذه الوجوه المختلفة وتبيّنت هذه القواعد بهذه الأقوال المتنوّعة منّا ومن غيرنا ولا سيّما بحث العالم والكتاب الكبير وإيجاده من الأعلىٰ إلى الأسفل وبالعكس، وكذلك بحث الإنسان والكتاب الصغير وإيجاده من الأعلىٰ إلى الأسفل وبالعكس، وبحث التطبيق بينهما بهذا الوجه وتطبيق القرآن الّذي هو الكتاب الجامع بينهما صورة ومعنى المشتمل عليهما ظاهراً وباطناً بهما.

(ترتيب العالم و إيجاده وترتيب الإنسان وتحقيقه)

فلنشرع في ترتيب العالم وإيجاده وكذلك في ترتيب الإنسان وتحقيقه بعد كلام الله تعالىٰ وكلام نبيّه صلى الله عليه وآله وكلام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وكلام المشايخ على حسب طبقاتهم بكلام قطب العارفين سلطان المشايخ

والمحقّقين محيي الحقّ... العربي الأندلسي الطائي قدّس الله سرّه وإن سبق من كلامه كثيراً في المواضع المحتاج إليه، فإنّ له في هذا المعنى فصول وأبواب في الفتوحات المكيّة كما ستعرفها، والغرض من ذلك بعد الفراغ من هذه الأبحاث:

الأوّل التّأكيد لصحة قولنا وقول غيرنا، فإنّ قوله حجّة في جميع ذلك.

والثاني إطمينان قلب سالك وإيضاح مقصوده فيه، وعلى هذا جرت عادة الأنبياء والأولياءعليهم السلام وتابعيهم من المشايخ، لأنّ الإستشهاد والتمسك بغير كلام القائل وهو موجب لإطمينان القلب وسبب لسكون النّفس لقول أكمل الأنبياءعليهم السلام:

﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وبالجملة فذلك يكون بحسب الإتّفاق من غير ترتيت الكتاب في الفصول والأبواب، فإنّه يمكن أن يكون المتأخر منه متقدّما وبالعكس، فإنّه يتّفق على سبيل الإنتخاب بحكم المناسبة في المواضع المحتاج إليها، وأعظم الإحتياج إليها أي إلى تلك الأبواب والفصول بحث العالم وبحث الإنسان وبحث المَلَك والجنّ، لأنّ التأويل في بعض المواضع يحتاج إلى هذه الأبحاث خصوصاً بحث الملك والجنّ وإبليس وآدم وغير ذلك.

وبسط الكلام في هذا في ذلك الموضع غير مناسب به، فالأولىٰ والأليق أن يبسط الكلام فيه هنا ونشير في موضع الإحتياج إلىٰ هذا المكان.

فالباب الأعظم منه من المجلد الأوّل الباب السادس[١٥٢] «في معرفة

(١٥٢) قوله: الباب السادس.

بدؤ الخلق الرّوحانيّ ومن هو أوّل موجود فيه» وهو هذا، وهذا الباب وبل الأبواب الآتية بعده محتاج إلى ضابطة كلّيّة من ضوابطه وهي في أوّل الكتاب بعد بحث الحروف، نذكرها أوّلاً ثمّ نشرع في الباب المذكور ثمّ الأبواب بعده وهو قوله(١٥٣).



⊃ الفتوحات المكيّة ج ١ ص ١١٧.

(١٥٣) قوله: وهو هذا.

الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٩٠، والطبع عثمان يحيى ج ٢ ص ٧٨.

(إطلاق لفظ «الإختراع» على الحقّ تعالىٰ)

(علمه تعالى بنفسه علمه بالعالم)

مسئلة. سألني وارد الوقت على إطلاق الإختراع على الحقّ تـعالىٰ، فقلت له: علم الحقّ بنفسه عين علمه بالعالم إذ لم يزل العالم مشـهوداً له تعالىٰ وإن اتّصف بالعدم ولم يكن العالم مشهوداً لنفسه إذ لم يكن موجوداً، وهذا بحر هلك فيه الناظرون الّـذين عـدموا الكشـف، وبـنفسه لم يـزل موجوداً فعلمه لم يزل موجوداً وعلمه بنفسه علمه بالعالم فعلمه بالعالم لم يزل موجوداً، فعَلِمَ العالم في حال عدمه وأوجده على صورته في علمه، وهذا سرّ القدر الّذي خفي عن أكثر المحقّقين.

وعلى هذا لا يصح في العالِم الحقيقي الإختراع، ولكـن يـطلق عـليه الإختراع بوجه مّا، لا من جهة ما تعطيه حقيقة الإختراع، فإنّ ذلك يؤدّى إلى نقص في الجناب الإلٓهي، فالإختراع لا يصح إلاّ في حقّ العبد، وذلك أنّ المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعاً إلاّ حتّى يخترع مثال ما يريد إبرازه في الوجود في نفسه أوّلاً، ثمّ بـعد ذلك تـبرّزه القـوّة العـلميّة إلى الوجود الحسّي على (شكل) ما يُعلم له مِثل، (و) متى لم يخترع الشـيء

في نفسه أوّلاً وإلاّ فليس بمخترع حقيقة.

فإنّك إذا قدّرت أن شخصا علمك ترتيب شكل مّا ظهر في الوجود له (مِثل) فعلمته، ثمّ أبرزته أنت للوجود كما علمته، فلست أنت في نفس الأمر وعند نفسك بمخترع له وإنّما المخترع له من اخترع مثاله في نفسه، ثمّ عَلمكَه، وإن نسب الناس الإختراع لك فيه من حيث إنّهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك.

فارجع (أنت) إلى ما تعرفه أنت من نفسك، ولا تلتفت إلى من لا يعلم ذلك منك، فإنّ الحقّ سبحانه ما دبّر العالم تدبير من يُحصّل ما ليس عنده، ولا فكر فيه، ولا يجوز عليه ذلك ولا اخترع في نفسه شيئاً لم يكن عليه، ولا قال في نفسه: هل نعمله كذا وكذا؟ هذا كلّه ما لا يجوز عليه، فإنّ المخترع للشيء يأخذ أجزاء موجودة متفرقة في الموجودات، فيؤلفها في ذهنه ووهمه تأليفاً لم يسبق إليه، وإن سبق فلا يبالي، فإنّه في ذلك بمنزلة الأوّل الّذي لم يسبقه أحد إليه كما تفعله الشعراء والكتّاب والفصحاء في اختراع المعاني المبتكرة.

فثمّ اختراع قد سُبق إليه فيتخيّل السامع أنّه سرقه، فلا ينبغي للمخترع أن ينظر إلى أحد إلاّ إلى ما حدث عنده خاصّة إن أراد أن يلتذّ ويستمتع بلذّة الإختراع، ومهما نظر المخترع لأمر مّا إلى من سبقه فيه بعد ما اخترعه ربما هلك وتفطرت كبده.

وأكثر العلماء بالإختراع البلغاء والمهندسون، ومن أصحاب الصنائع النجّارون والبنّاؤون، فهؤلاء أكثر الناس إختراعاً وأذكاهم فطرة وأشدّهم تصرّفاً لعقولهم.

فقد صحّت حقيقة الإختراع لمن استخرج بالفكر ما لم يكن يعلم قبل

ذلك، ولا عَلِمه غيره بالقوّة أو بالقوّة والفعل إن كان من العلوم غايتها العمل.

والباري سبحانه لم يزل عالماً بالعلم (بالعالم) أزلاً ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعلم (بالعالم) غير عالِم، فما اخترع في نفسه شيئاً لم يكن يعلمه.

فإذ وقد ثبت عند العلماء بالله قِدَم علمه فقد ثبت كونه مخترعاً لنا بالفعل لا أنّه اخترع مثالنا في نفسه الّذي هو صورة علمه بنا إذ كان وجودنا على حدّ ما كنّا في علمه ولو لم يكن كذلك لخرجنا إلى الوجود على حدّ ما لم يعلمه، وما لا يعلمه لا يريده، وما لا يريده ولا يعلمه لا يوجده، فنكون إذن موجودين بأنفسنا أو بالإتّفاق، وإذا كان هذا فلا يصحّ وجودنا عن عدم، وقد دلّ البرهان على وجودنا عن عدم، وعلى أنّه عَلِمنا وأراد وجودنا وأوجدنا على الصورة الثابة في علمه بنا، ونحن معدومون في أعياننا فلا إختراع في المثال، فلم يبق إلاّ الإختراع في الفعل وهو صحيح لعدم المثال الموجود في العين.

فتحقّق ما ذكرناه وقل بعد ذلك ما شئت فإن شئت وصفته بالإختراع وعدم المثال، وإن شئت نفيت هذا عنه نفيته، ولكن بعد وقوفك عل ما أعلمتك به».

والله أعلم وأحكم ويقول الحقّ وهو بهدى السبيل هذا آخر المسألة المذكورة والضّابطة الكلّيّة.



الباب السادس

في معرفة بدء الخلق الرّوحانيّ ومن هو أوّل موجود فيه وممّ وجد؟ وفيم وجد؟ وعلىٰ أيّ مثال وجد؟ ولِمَ وجد؟، وما غايته؟ ومعرفة أفلاك عالم الأكبر وعالم الأصغر،

(العالم الأكبر والأصغر)

قال نظماً:

أنظر إلى هذا الوجود المحكم	ووجودنا مثل الرّداء المغلَم
وانظر إلى خلفائه في ملكهم	من مُفصح طَلَق اللسان وأعجم

ثمّ قال:

(بدء العالم والإنسان وغايتهما)

بدء الخلق: الهباء، وأوّل موجود فيه الحقيقة المحمّديّة الرحمانيّة، ولا أين يحصرها لعدم التحيّز، وممّ وجد؟ وجد من الحقيقة المعلومة (الّتي) لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم، وفيم وجد؟ في الهباء، وعلىٰ أيّ مثال وجد؟

(على) الصورة المعلومة في نفس الحقّ، ولِم وُجد؟لإظهار الحقائق الإلهيّة، وما غايته؟ التخليص من المزجة. فيعرف كلّ عالم حظّة من منشئه من غير إمتزاج، فغايته إظهار حقائقه ومعرفة الأفلاك الأكبر من العالم، وهو ما عدا الإنسان في إصطلاح الجماعة.

والعالم الصغير (الأصغر) يعني الإنسان روح العالَم وعلّته وسببه، وأفلاكه ومقاماته وحركاته وتفصيل طبقاته، فهذا جميع ما يتضمّنه هذا الباب.

(الإنسان عالم صغير وهو خليفة الله سبحانه في العالم الكبير)

فكما أنّ الإنسان عالَم صغير من طريق الجسم، كذلك هو أيضاً حقير من طريق الحدوث، وصحّ له التألّه لأنّه خليفة الله في العالم، والعالم مسخّر له مألوه، كما أنّ الإنسان مألوه لله تعالىٰ.

واعلم أنّ أكمل نشاة الإنسان إنّما هي في الدنيا، وأمّا الآخرة فكلّ (إنسان) من الفرقتين عل النصف في الحال لا في العلم، فإنّ كلّ فرقة عالمة بنقيض حالها، فليس الإنسان إلاّ المؤمن والكافر معا، سعادة وشقاء، نعيم وعذاب، منعَم ومعذّب، ولهذا معرفة الدنيا أتمّ، وتجلّي الآخرة أعلىٰ فافهم، وحلّ هذا القفل.

(معلومات الإنسان الوجوديّة أربعة) (العلم بالحقّ سبحانه ومعرفته)

بسط الباب وبيانه ومن الله التأييد والعون:

إعلموا أنّ المعلومات أربعة: الحقّ تعالىٰ وهو الموصوف بالوجود المطلق، لأنّه سبحانه ليس معلولاً لشيء ولا علّة، بل هو موجود بذاته، والعلم به عبارة عن العلم بوجوده ووجوده ليس غير ذاته مع أنّه غير معلوم الذّات، لكن يعلم ما ينسب إليه من الصفات، أعني صفات المعاني وهي صفات الكمال.

وأمّا العلم بحقيقة الذات فممنوع لا تعلم بدليل ولا برهان عقليّ، ولا يأخذها حدّ، فإنّه سبحانه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، فكيف يعرف من يُشبه الأشياء مَن لا يشبهه شيء ولا يُشبه شيئاً؟، فمعرفتك به إنّما هي أنّه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]

و:

﴿يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقد ورد المنع من الشرع في التفكّر في ذات الله.

ومعلوم ثان، وهو الحقيقة الكلّيّة الّتي هي للحقّ وللعالَم لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم، هي في القديم - إذا وصف بها - قديمة، وفي المحدث (الحدث) - إذا وصف بها - محدثة.

لا تُعلم المعلومات قديمها وحديثها حتّى تُعلم هذه الحقيقة، ولا تُعلم (توجد) هذه الحقيقة حتّى توجد الأشياء الموصوفة بها، فإن وُجد شيء عن غير عدم متقدّم كوجود الحقّ وصفاته قيل فيها: موجود قديم لاتّصاف الحقّ بها، وإن وُجد شيء عن عدم، كوجود ما سوى الله وهو المحدث الموجود بغيره قيل فيها: محدثة وهي فيكلّ موجود بحقيقتها، فإنّها لا تقبل التجزّي، فما فيها كلّ ولا بعض، ولا يتوصّل إلى معرفتها، مجرّدة عن الصورة بدليل ولا ببرهان، فمن هذه الحقيقة وُجد العالَم

بوساطة الحقّ تعالىٰ وليست بموجودة فيكون الحقّ قد أوجدنا من موجود قديم فيثبت لنا القدم.

وكذلك لتعلم أيضاً أنّ هذه الحقيقة لا تتّصف بالتقدّم على العالَم ولا العالَم بالتأخّر عنها، ولكنّها أصل الموجودات عموماً، وهي أصل الجوهر، وفلك الحياة والحقّ المخلوق به وغير ذلك وهي الفلك المحيط المعقول.

فإن قلت: إنّها العالم صدقت، أو إنّها ليست العالم صدقت، أو إنّها الحقّ أو ليست الحقّ صدقت، تقبل هذا كلّه، وتتعدّد بتعدّد أشخاص العالم، وتتنزّه بتنزيه الحقّ.

وإن أردت مثالها حتّى يقرب إلى فهمك فانظر في العودية في الخشبة والكرسيّ والمحبرة والمنبر والتابوت.

وكذلك التربيع وأمثاله في الأشكال في كلّ مربع مثلاً من بيت وتابوت وورقة، والتربيع والعودية بحقيقتها في كلّ شخص من هذه الأشخاص.

وكذلك الألوان بياض الثوب والجوهر والكاغذ والدقيق والدّهان من غير أن تتصف البياضيّة المعقولة في الثوب بأنّها جزء منها فيه، بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها في الكاغذ. وكذلك العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وجميع الأشياء كلّها. فقد بيّنت لك هذا المعلوم وقد بسطنا القول فيه كثيراً في كتابنا الموسوم بـ: «إنشاء الجداول والدوائر».

ومعلوم ثالث، وهو العالم كلّه: الأملاك والأفلاك وما تحويه من العوالم والهواء والأرض وما فيها من العالم وهو الملك الأكبر.

ومعلوم رابع، وهو الإنسان الخليفة الّذي جعله الله في هذا العالم المقهور تحت تسخيره، قال تعالىٰ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [الجاثية: ١٢].

منه.

فمن علم هذه المعلومات فما بقي له معلوم أصلاً يطلبه، فمنها ما لا يعلم إلاّ وجوده وهو الحقّ تعالىٰ وتعلم أفعاله وصفاته بضرب من الأمثلة، ومنها ما لا يعلم إلاّ بالمثال: كالعلم بالحقيقة الكلّيّة، ومنها ما يعلم بهذين الوجهين وبالماهيّة والكيفيّة وهو العالم والإنسان.

وصـــل

«كان الله ولا شيء معه».(١٥٤)

ثمّ أدرج فيه:

«هو الآن على ما (عليه) كان».(١٥٥)

لم يرجع إليه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها، بل كان موصوفاً لنفسه، ومسمّى قبل خلقه بالأسماء الّتي يدعونه (يدعوه) بها خلقه، فلمّا أراد وجود العالم وبدأه عل حدّ ما علمه بعلمه بنفسه إنفعل عن تلك الإرادة المقدّسة بضرب تجلّ من تجلّيات التنزيه إلى الحقيقة الكلّيّة، إنفعل عنها حقيقة تسمّى الهباء، (هي) بمنزلة طرح البنّاء الجصّ ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصّور، وهذا هو أوّل موجود في العالم، وقد ذكره عليّ بن أبي طالب‌ﷺ، وسهل بن عبدالله‌رضي‌الله‌عنه وغيرهما من أهل التحقيق، وأهل

---

(١٥٤) قاله: كان الله ولا شيء معه.

راجع التعليق ٨١ و ٨٢.

(١٥٥) قوله: هو الآن على ما عليه كان.

راجع التعليق ٥٦ و ١٣٢.

الكشف والوجود.

ثمّ إنّه سبحانه تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء ويسمّونه أصحاب الأفكار الهيولىٰ الكلّ والعالم كلّه فيه بالقوّة والصلاحيّة، فقبل منه (تعالى) كلّ شيء في ذلك الهباء على حسب قوته وإستعداده، كما تقبل زوايا البيت نور السّراج، وعلى قدر قربه من ذلك النّور يشتدّ ضوءه وقبوله، قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

فشبّه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه قبولاً، في ذلك الهباء، إلاّ حقيقة محمّدﷺ المسمّاة بالعقل، فكان سيّد العالم بأسره، وأوّل ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النّور الإلهي، ومن الهباء، ومن الحقيقة الكلّيّة، وفي الهباء وُجد عينه وعين العالم من تجلّيه، وأقرب الناس إليه عليّ بن أبى طالب وأسرار الأنبياء أجمعين، (على بن أبى طالبؑ إمام العالم وسرّ الأنبياء أجمعين).

(وجدان العالم بالعلم القائم بنفس الحقّ سبحانه)

وأمّا المثال الّذي عليه وجد العالم كلّه من غير تفصيل فهو العلم القائم بنفس الحقّ تعالىٰ فإنّه سبحانه علمنا بعلمه بنفسه، وأوجدنا على حدّ ما علمنا، ونحن على هذا الشكل المعيّن في علمه، ولو لم يكن الأمر كذلك لأحذنا هذا الشكل بالإتّفاق لا عن قصد، لأنّه لا يعلمه وما يتمكّن أن تخرج صورة في الوجود بحكم الإتّفاق، فلو لا أنّ (هذا) الشكل (المعيّن معلوم لله سبحانه ومراد له ما أوجدنا عليه، ولم يأخذ هذا الشكل) من غيره إذ قد ثبت أنّه: «كان ولا شيء معه» فلم يبق إلاّ أن يكون ما برز عليه في نفسه من الصّورة فعلمه بنفسه علمه بنا أزلاً، لا عن عدم فعلمه بنا

كذلك فمثالنا، الّذي هو عين علمه بنا قديم بقدم الحقّ لأنّه صفة له ولا تقوم بنفسه الحوادث جلّ الله عن ذلك.

(غاية الإنسان والجنّ والملك وأنّ العالم مطيع)

وأمّا قولنا: ولم وُجد؟ وما غاية؟

يقول الله ﷻ:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فصرّح بالسّبب الّذي لأجله أوجدنا، وهكذا العالم كلّه، وخصّصنا والجنّ بالذّكر، والجنّ هنا كلّ مستتر، من مَلَك وغيره، وقد قال تعالىٰ في حقّ السّماوات والأرض:

﴿ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [السجدة: ١١].

وكذلك قال:

﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وذلك لما كان عرضاً، وأمّا لو كان أمراً لأطاعوا وحملوها، فإنّه لا يتصوّر منهم معصية، جُبلوا على ذلك، والجنّ الناري ولاإنس ما جبلا على ذلك.

(العالَم كلّه عاقل حيّ ناطق)

ولذلك (كذلك) من الإنس أصحاب الأفكار من أهل النظر والأدلّة المقصورة على الحواسّ والضروريّات والبديهات، يقولون: لابدّ أن يكون المكلّف عاقلاً بحيث يفهم ما يخاطب به، وصدقوا.

وكذلك هو الأمر عندنا العالم كلّه عاقل، حيّ، ناطق، من جهة الكشف

بخرق العادة الّتي النّاس عليها، أعني حصول العلم بهذا عندنا.

غير أنّهم قالوا: هذا جماد لا يعقِل ووقفوا عندما أعطاهم بصرهم، والأمر عندنا بخلاف ذلك، فإذا جاء عن نبيّ أنّ حجراً كلّمه، وكتف شاة، وجذع نخلة وبهيمة، يقولون: خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت، والأمر عندنا ليس كذلك بل سرّ الحياة في جميع العالم، وأنّ كلّ من يسمع المؤذّن من رطب ويابس يشهد له، ولا يشهد وإلاّ من علم، هذا عن كشف عندنا، لا عن استنباط من نظر بما يقتضيه ظاهر خبر ولا غير ذلك.

ومن أراد أن يقف عليه فليسلك طريق الرّجال (وليلزم الخلوة) والخلوة والذّكر، فإنّ الله سيطلعه على هذا كلّه عيناً، فيعلم أنّ النّاس في عماية عن إدراك هذه الحقائق.

فأوجد العالم سبحانه ليظهر سلطان الأسماء، فإنّ قدرة بلا مقدور، وجوداً بلا عطاء، ورازقاً بلا مرزوق، ومغيثا بلا مغاث، ورحيماً بلا مرحوم، حقائق معطّلة التأثير، وجعل العالم في الدنيا ممتزجاً:

(أوجد الله سبحانه العالم ليظهر سلطان الأسماء)

مزج القبضتين في العجنة، ثمّ فصّل الأشخاص منها، فدخل من هذه في هذه من كلّ قبضة في أختها فجهلت الأحوال.

وفي هذا تفاضلت العلماء في استخراج الخبيث من الطيّب، والطيّب من الخبيث، (وغاية التخليص من هذه المزجة، وتمييز القبضتين) حتّى تنفرد هذه بعالَمها وهذه بعالَمها كما قال الله تعالى:

﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

فمن بقي فيه شيء من المزجة حتّى مات عليها لم يحشر يوم القيامة من «الآمنين».

(من له نصيب من الشفاعة في يوم القيامة)

ولكنّه منهم من يتخلّص من المزجة في الحساب، ومنهم من لا يتخلّص منها إلاّ في جهنّم فإذا تخلّص أُخرج، فهؤلاء هم أهل الشفاعة.

وأمّا من تميّز في أحدى القبضتين انقلب إلى الدار الآخرة بحقيقته، من قبره إلى نعيم أو إلى عذاب وجحيم فإنّه قد تخلّص.

فهذا غاية العالم وهاتان حقيقتان راجعتان إلى صفة هو الحقّ عليها في ذاته، ومن هنا قلنا: يرونه أهل النار معذّباً، وأهل الجنّة منعّماً، وهذا سرّ شريف ربّما تقف عليه في الدّار الآخرة عند المشاهدة إن شاء الله، وقد نالها المحقّقون في هذه الدّار.

(تطابق العوالم العلويّة والسفليّة مع الإنسان)

وأمّا قولنا في هذا الباب: «ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر الّذي هو الإنسان»، فأعني به عوالم كلّياته وأجناسه، وأُمرائه الّذين لهم التأثير في غيرهم، وجعلتها مقابلة هذا نسخة من هذا.

وقد ضربنا لها دوائر على صورة الأفلاك وترتيبها في كتاب «إنشاء الدوائر والجداول» فلنلق منه في هذا الباب ما يليق بهذا المختصر، فنقول: إنّ العالم (العوالم) أربعة: العالم الأعلىٰ وهو عالم البقاء، ثمّ عالم الإستحالة وهو عالم الفناء، ثمّ عالم التعمير وهو عالم البقاء والفناء، ثمّ عالم النّسب.

وهذه العوالم في موطنين في العالم الأكبر وهو ما خرج عن الإنسان،

وفي العالم الأصغر وهو الإنسان.

فأمّا العالم الأعلىٰ فالحقيقة المحمّديّة وفلكها الحياة، نظيرها من الإنسان: اللطيفة والرّوح القدسي، ومنهم العرش المحيط ونظيره من الإنسان: الجسم، ومن ذلك الكرسيّ نظيره من الإنسان: النّفس، ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الإنسان: القلب، ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الإنسان: الأرواح الّتي فيه والقوى، ومن ذلك زُحل وفلكه نظيره من الإنسان القوّة العلميّة والنَّفَس، ومن ذلك المشتري وفلكه نظيرهما: القوّة الذّاكرة ومؤخّر الدّماغ، ومن ذلك الأحمر وفلكه ونظيرهما: القوّة العاقلة والكبد (اليافوخ)، ومن ذلك الشّمس وفلكها ونظيرهما: القوّة المفكّرة ووسط الدماغ، ثمّ الزهرة وفلكها نظيرهما:القوّة الوهميّة والرّوح الحيواني، ثمّ الكاتب وفلكه ونظيرهما: القوّة الخياليّة ومقدّم الدماغ، ثمّ القمر وفلكه نظيرهما: القوّة الحسيّة والجوارح الّتي تُحِسّ (نُحس)، فهذه طبقات العالم الأعلىٰ ونظائرها من الإنسان.

وأمّا عالم الإستحالة: فمن ذلك كرة الأثير وروحها الحرارة واليبوسة، وهي كرة النار ونظيرها: الصفراء وروحها القوّة الهاضمة، ومن ذلك الهوا وروحه الحرارة والرطوبة ونظيره: الدّم وروحه القوّة الجاذبة، ومن ذلك الماء وروحه البرودة والرطوبة نظيره البلغم وروحه القوّة الدافعة، ومن ذلك التراب وروحه البرودة واليبوسة، نظيره: السّوداء وروحها القوّة الماسكة.

وأمّا الأرض فسبع طباق: أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء.

ونظير هذه السّبعة من الإنسان في جسمه: الجلد والشحم واللحم

والعروق والعصب والعضلات والعظام.

وأمّا عالم التّعمير: فمنهم الرّوحانيّون نظيرهم: القوى الّتي في الإنسان، ومنهم عالم الحيوان ونظيره: ما يُحِسّ من الإنسان، ومنهم عالم النّبات نظيره ما ينمو من الإنسان، ومن ذلك عالم الجماد نظيره ما لا يحس من الإنسان.

وأمّا عالم النّسب: فمنهم العَرَض نظيره: الأسود والأبيض والألوان والأكوان، ثمّ الكيف نظيره: الأحوال مثل الصحيح والسقيم، ثمّ الكمّ نظيره الساق أطول من الذّراع، ثمّ الأين نظيره: العنق مكان للرأس والساق مكان للفخذ. ثمّ الزّمان نظيره: حركت رأسي وقت تحريك يدي، ثمّ الإضافة نظيرها: هذا أبي فأنا إبنه، ثمّ الوضع نظيره: لغتي ولحني، ثمّ أن يفعل نظيره: أكلت، ثمّ أن ينفعل نظيره شبعت، ومنهم إختلاف الصّور في الأمّهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر، نظير هذا: القوّة الإنسانيّة الّتي تقبل الصّور المعنويّة من مذموم ومحمود: هذا فطن فهو فيل، هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر.

والله يقول الحق وهو يهد السبيل.

هذا آخر الباب[١٥٦] وقد سبق (سبقت) هذه المطابقة قبل هذا بعينه وليس هذا من التكرار وبالله التوفيق والعصمة.

وحيث فرغنا من هذا الباب نشرع في باب آخر عنه وهو هذا:

الباب الأحد والسبعون وثلاثمأة من المجلد الخامس في إيجاد

---

(١٥٦) قوله: هذا آخر الباب.

الفتوحات المكيّة ج ١ ص ١٢١، وطبع عثمان يحيى ج ٢ ص ٢٣٣.

المخلوقات العلويّة والسفليّة على الترتيب المعلوم وهو من الفصل التاسع من فصوله.(١٥٧)

في العالم – وهو كلّ ما سوى الله – وترتيبه ونضده روحاً وجسماً وعلواً وسفلاً

(وأنّه علامة ودليل على المرجّح)

إعلم أنّ العالم عبارة عن كلّ ما سوى الله وليس إلاّ الممكنات سواء وجدت أو لم توجد، فإنّها بذاتها علامة على علمنا أو على العلم بواجب الوجود لذاته وهو الله.

فإنّ الإمكان حكم لها لازم في حال عدمها ووجودها بل هو ذاتيّ لها، لأنّ الترجيح لها لازم فالمرجح معلوم، وبهذا سمّى عالَماً من العلامة لأنّه الدّليل على المرجح فاعلم ذلك.

وليس العالم في حال وجوده بشيء سوى الصّور الّتي قَبِلها العماء وظهرت فيه، فالعالم إن نظرت حقيقته إنّما هو عرض زائل أي في حكم الزّوال وهو قوله تعالىٰ:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال رسول الله ﷺ:

«أصدق بيت قالته العرب وهو قول لبيد»:

(١٥٧) قوله: الفصل التاسع.

الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٤٣.

«ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل».

يقول ما له حقيقة يثبت عليها من نفسه فما هو موجود إلاّ بغيره ولذلك قال ﷺ:

«أصدق بيت قالته العرب»: «ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل».

(نسبة ما سوى الله سبحانه وتعالى من النَفَس الرحمن نسبة الصور من المرآة)

فالجوهر الثابت هو العماء وليس إلاّ نَفَس الرّحمن، والعالم جميع ما ظهر فيه من الصّور فهي أعراض فيه يمكن إزالتها، وتلك الصّور هي الممكنات ونسبتها من العماء نسبة الصور من المرآة تظهر فيها العين الرّائي.

والحقّ تعالىٰ هو بصر العالم فهو الرّائي وهوالعالِم بالممكنات فما أدرك إلاّ ما في علمه من الصّور الممكنات فظهر العالَم بين العماء وبين رؤية الحقّ فكان ما ظهر دليلاً عل الرّائي وهو الحقّ فتفطن واعلم من أنت.

وأمّا نضده على الظهور والتّرتيب فأرواح نوريّة إلهيّة مهيّمة في صور نوريّة خلقيّة إبداعيّة في جوهر نفس هوالعماء، من جملتها العقل الأوّل وهو القلم، ثمّ النّفس وهو اللوح المحفوظ ثمّ الجسم، ثمّ العرش ومقرّه وهو الماء الجامد والهواء والظّلمة، ثمّ ملائكته، ثمّ الكرسيّ ثمّ ملائكته، ثمّ الأطلس ثمّ ملائكته، ثمّ فلك المنازل ثمّ الجنّات بما فيها، ثمّ ما يختصّ بها وبهذا الفلك من الكواكب، ثمّ الأرض ثمّ الماء ثمّ الهواء العنصري، ثمّ النّار ثمّ الدخان وفتق فيه سبع سماوات: سماء القمر، سماء الكاتب، وسماء الزهرة، وسماء الشمس، وسماء الأحمر، وسماء المشتري، وسماء المقاتل

ثمّ أفلاكها المخلوقون منها، ثمّ ملائكة النار والماء والهواء والأرض، ثمّ المولدات المعدن والنبات والحيوان، ثمّ نشأة جسد الإنسان، ثمّ ما ظهر من أشخاص كلّ نوع من الحيوان والنّبات والمعدن، ثمّ الصور المخلوقات من أعمال المكلّفين وهي آخر نوع، هذا ترتيبه بالظهور في الإيجاد.

وأمّا ترتيبه بالمكان الوجودي أو المتوهّم:

فالمكان المتوهّم المعقولات الّتي ذكرناها إلى الجسم الكلّ، ثمّ العرش ثمّ الكرسي ثمّ الأطلس ثمّ المكوكب وفيه الجنّات، ثمّ سماء زحل ثمّ سماء المشتري ثمّ سماء المريخ ثمّ سماء الشمس ثمّ سماء الزّهرة ثمّ سماء الكاتب ثمّ سماء القمر، ثمّ الأثير ثمّ الهواء ثمّ الماء ثمّ الأرض.

وأمّا ترتيبه بالمكانة فالإنسان الكامل ثمّ العقل الأوّل ثمّ الأرواح المهيمة ثمّ النّفس ثمّ العرش ثمّ الكرسيّ ثمّ الأطلس ثمّ الكثيب ثمّ الوسيلة ثمّ عدن ثمّ الفردوس ثمّ دار السّلام ثمّ دار المقامة ثمّ المأوى ثمّ الخلد ثمّ النعيم ثمّ فلك المنازل ثمّ البيت المعمور ثمّ سماء الشمس (ثمّ القمر) ثمّ المريخ ثمّ المشتري ثمّ زحل ثمّ الزّهرة ثمّ الكاتب ثمّ القمر (ثمّ المريخ) ثمّ الهواء ثمّ الماء ثمّ التّراب ثمّ النار ثمّ الحيوان ثمّ النّبات ثمّ المعدن.

وفي الناس الرّسل ثمّ الأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ المؤمنون ثمّ سائر الخلق.

الباب السّابع*

في معرفة بدء الجسوم الإنسانيّة

وهو آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات.

(عمر العالم الطبيعي)

إعلم - أيّدك الله - أنّه لمّا مضىٰ من عمر العالم الطبيعيّ، المقيّد بالزّمان، المحصور بالمكان، إحدىٰ وسبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا، وهذه المدة أحد عشر يوماً من أيّام غير هذا الإسم، ومن أيّام «ذي المعارج» يوم وخُمُسا يوم. وفي هذه الأيّام يقع التفاضل، قال تعالىٰ:

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وقال:

---

*. قوله: الباب التاسع.

راجع الفتوحات المكيّة، ج ١ ص ١٢١.

﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فأصغر الأيام هي الّتي نعدها حركة الفلك المحيط، الّذي يظهر في يومه الليل والنهار. فأقصر يوم عند العرب – وهو هذا – لأكبر فلك، وذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك، إذ كانت حركة ما دونه في الليل والنهار حركة قسريةً له قهر بها سائر الأفلاك الّتي يحيط بها.

(الحركة الطبيعيّة والقسريّة للأفلاك)

ولكلّ فلك حركة طبيعيّة، تكون له مع الحركة القسرية. فكلّ فلك دونه، ذو حركتين في وقت واحد: حركة طبيعية وحركة قسريّة. ولكلّ حركة طبيعيّة في كلّ فلك، يوم مخصوص يعدّ مقداره بالأيام الحادثة عن الفلك المحيط، المعبّر عنها بقوله: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾. وكلّها تقطع في الفلك المحيط؛ فكلما قطعته على الكمال، كان يوما لها؛ ويدور الدور. فأصغر الأيام منها هو ثمانية وعشرون يوماً ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، وهو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط.

ونصب الله هذه الكواكب السبعة في السّماوات، ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط، «لنعلم عدد السنين والحساب». قال تعالى:

﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١١].

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[الأنعام: ٩٦].

فلكلّ كوكب منها يوم مقدّر، يفضل بعضها على بعض، على قدر سرعة حركتها (حركاتها) الطبيعيّة، أو صغر أفلاكها وكبرها.

(خلق القلم واللوح)

فاعلم أنّ الله تعالىٰ لمّا خلق القلم واللوح، وسمّاهما العقل والرّوح، فأعطى (وأعطى) الرّوح صفتين: صفة علميّة وصفة عمليّة، وجعل العقل لها معلّماً ومفيداً، إفادة مشاهدة حاليّة، كما تستفيد من صورة السكين القطع، من غير نطق يكون منه في ذلك. وخلق تعالىٰ جوهراً دون النفس الّذي هو الرّوح المذكور، سمّاه الهباء - وهذه الإسمية له نقلناها من كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(خلق الهباء)

وأما الهباء، فمذكور في اللّسان العربيوقال تعالىٰ:
﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعه: ٦].

كذلك لما رآها على بن أبى طالب - أعنى هذه الجوهرة - منبثة في جميع الصور الطبيعيّة كلّها، وأنّها لا تخلو صورة منها، إذ لا تكون صورة إلاّ في هذه الجوهرة سماها هباءً. وهي مع كلّ صورة بحقيقتها: لا تنقسم لا تتجزّىٰ ولا تتّصف بالنقص. بل هي كالبياض الموجود في كلّ أبيض بذاته وحقيقته؛ ولا يقال: قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض. فهذا مثل حال هذه الجوهرة.

(المراتب الأربعة بين الرّوح والهباء)

وعيّن الله سبحانه بين هذا الرّوح، الموصوف بالصفتين (الصفة العلمية والصفة العملية)، وبين الهباء أربع مراتب، وجعل كلّ مرتبةمنزلاً لأربعة

أملاك، وجعل هولاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم، من «علّيين» إلى «أسفل سافلين». ووهب كلّ ملك، من هولاء الملائكة، علم ما يريد إمضائه في العالم.

فأوّل شيء اوجده الله في الأعيان، مما يتعلّق به علم هولاء الملائكة وتدبيرهم الجسم الكلّي، وأوّل شكل فتح (الله) في هذا الجسم الشكل الكري المستدير إذ كان أفضل الأشكال ثمّ نزل سبحانه بالإيجاد والخلق إلى تمام الصنعة وجعل جميع ما خلقه تعالىٰ مملكة لهولاء الملائكة، وولاّهم أمورها في الدنيا والآخرة وعصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به، فأخبرنا سبحانه أنّهم:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

(خلق المولدات)

ولمّا إنتهىٰ خلق المولّدات، والجمادات والنبات والحيوان، بانتهاء إحدىٰ وسبعين ألف سنة من سنيّ الدنيا مما نعدّ ورتّب العالَم ترتيباً حِكميا، ولم يجمع سبحانه لشيء ممّا خلقه من أوّل موجود إلى آخر مولود - وهو الحيوان - بين يديه تعالىٰ إلاّ للانسان، وهي هذه النشئة البدنيّة الترابيّة بل خلق كلّ ما سواها إمّا عن أمر إلّهي، أو عن يد واحدة.

قال تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

فهذا عن أمر إلّهيّ وورد في الخبر:

«أنّ الله عزّ وجلّ خلق جنّة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة

طوبىٰ بيده».*

وخلق آدم الّذي هو الإنسان بيده فقال تعالىٰ لإبليس على جهة التشريف لآدمﷺ:

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

(الفلك الأدنى والبروج الإثنا عشر)

ولمّا خلق الله الفلك الأدنى، الّذي هو الأوّل المذكور آنفاً، قسّمه إثني عشر قسماً سمّاها بروجاً، قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

فجعل كلّ قسم برجاً، وجعل تلك الأقسام ترجع إلى أربعة في الطبيعة، ثمّ كرّر كلّ واحد من الأربعة في ثلاثة مواضع منها، وجعل هذه الأقسام كالمنازل والمناهل، الّتي ينزل فيها المسافرون ويسير فيها السائرون في حال سيرهم وسفرهم لينزل في هذه الأقسام عند سير الكواكب فيها وسباحتهم ما يحدث الله في جوف هذا الفلك من الكواكب الّتي تقطع بسيرها في هذه البروج، ليحدث الله عند قطعها وسيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطبيعي والعنصري، وجعلها علامات على إثر حركة فلك البروج، فاعلم.

(الطبائع والعناصر الأربعة)

فقسم من هذه الأربعة، طبيعته الحرارة واليبوسة، والثاني اليبوسة

---

*. قوله: انّ الله خلق جنّة.

راجع «المحاسن»، ج ١، ١١٥، الحديث ١١٨، باب عقايد الديوث، وراجع بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٢٤٣، باب النادر من بات ٣٦، الممدوح من البلدان والمذموم منها وغرائبها.

والبرودة، والثالث الحرارة والرطوبة، والرابع البرودة والرّطوبة، وجعل الخامس والتاسع، من هذه الأقسام (= البروج)، مثل الأوّل، وجعل السادس والعاشر مثل الثاني، وجعل السابع والحادي عشر مثل الثالث، وجعل الثامن والثاني عشر مثل الرابع، أعني (المثلية) في الطّبيعة، فحصر الأجسام الطبيعيّة بخلاف الأجسام العنصريّة بلا خلاف، في هذه الأربعة الّتي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومع كونها أربعاً أمهات، فإنّ الله جعل إثنين منها أصلاً في وجود الإثنين الآخرين، فانفعلت اليبوسة عن الحرارة، و(انفعلت) الرطوبة عن البرودة، فالرطوبة واليبوسة موجودتان عن سببين هما الحرارة والبرودة، ولهذا ذكر الله، في قوله تعالىٰ:

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

لأنّ المسبّب يلزم (عنه)، من (حيث) كونه مسبّباً وجود السبب؛ أو (من حيث كونه) منفعلاً، (يلزم عنه) وجود الفاعل - كيف شئت فقل: ولا يلزم من وجود السبب وجود المسبّب.

(الفلک الأطلس)

ولمّا خلق الله هذا الفلك الأوّل دار دورة غير معلومة الانتهاء إلاّ لله تعالىٰ، لأنّه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه، فإنّه أوّل الأجرام الشفافة فتتعدّد حركات وتتميّز، ولا كان قد خلق الله في جوفه شيئاً فتتميز الحركات وتنتهي عند من يكون في جوفه، ولو كان (قد خلق الله في جوفه هذا الفلك الأوّل شيئاً) لم تتميّز (الحركات فيه) أصلاً (أيضاً)، لأنّه أطلس لا كوكب فيه متشابه الأجزاء فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه ولا تتعيّن، فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه عدّ به حركاته بلا

شك؛ ولكن علم الله قدرها وانتهائها وكرورها، فحدث عن تلك الحركة اليوم ولم يكن ثمّ ليل ولا نهار في هذا اليوم.

ثمّ استمرت حركات هذا الفلك، فخلق الله ملائكة خمسة وثلاثين ملكاً أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك الستة عشر، فكان الجميع أحداً وخمسين ملكا، من جملة هولاء الملائكة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثمّ خلق (الله) تسع مأة ملك وأربعاً وسبعين وأضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك، وأوحىٰ إليهم وأمرهم بما يجرى على أيديهم في خلقه، فقالوا:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم: ٦٤].

وقال فيهم:

﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾[التحريم: ٦].

فهؤلاء من الملائلكة، هم الولاة خاصّةً، وخلق الله ملائكة هم عُمّار السماوات والأرض لعبادته، فما في السّماء والأرض موضع إلاّ وفيه ملك؛ ولا يزال الحقّ يخلق من أنفاس العالَم ملائكة ما داموا متنفسين.

(خلق الدار الدنيا)

و لمّا انتهى من حركات هذه الفلك – ومدته أربع وخمسون ألف سنة «مما تعدون» – خلق الله الدار الدنيا، وجعل لها أمداً معلوماً تنتهي إليه، وتنقضي صورتها، وتستحيل من كونها داراً لنا وقبولها صورة مخصوصة – وهي الّتي نشاهدها اليوم – إلى أن:

﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [ابراهيم: ٤٨].

ولمّا انقضى من مدة حركات هذا الفلك ثلاث وستون ألف سنة «مما تعدون»، خلق الله الدار الآخرة، الجنّة والنار اللتين أعدهما الله لعباده السعداء والاشقياء، فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسع آلاف سنة «مما تعدون»، ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا؛ وسميت الدنيا الأولىٰ لأنّها خلقت قبلها. قال تعالىٰ:

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحىٰ: ٤].

يخاطب نبيّهﷺ ولم يجعل (الحق) للآخرة مدة ينتهي إليها بقاؤها، فلها البقاء الدائم.

(سقف الجنّة الفلك الأطلس)

وجعل سقف الجنّة هذا الفلك وهو العرش عندهم الّذي لا تتعين حركته ولا تتميز فحركته دائمة لا تنقضي، وما من خلق ذكرناه خُلِق إلاّ وتعلّق قصد الثاني منه وجود الإنسان، الّذي هو الخليفة في العالم، وإنّما قلت: «القصد الثاني»، إذ كان القصد الأوّل معرفة الحقّ وعبادته الّتي لها خلق العالم كلّه، فما.

﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ومعنى القصد الثاني والأوّل التعلّق الإرادي لا حدوث الإرادة، ولأنّ الإرادة لله صفة قديمة أزلية اتصفت بها ذاته كسائر صفاته.

(حركة السماوات وحركة الأرض)

ولمّا خلق الله هذه الأفلاك والسماوات؛

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصّلت: ١٢].

ورتب فيها أنوارها وسرجها وعمرها بملائكته، وحرّكها تعالىٰ فتحرّكت طائعة لله، آتية إليه طلباً للكمال في العبوديّة الّتي تليق بها، لأنّه تعالىٰ دعاها (أي السماء) ودعا الأرض:

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ [فصّلت: ١١].

لأمر حُدَّ لهما، ﴿قَالَتَا: أَتِينَا طَائِعِين﴾. فهما آتيتان أبداً، فلا تزالان متحرّكتين، غير أن حركة الأرض خفية عندنا، وحركتها حول الوسط لأنّها أُكر، فأمّا السماء فأتت طائعة عند أمر الله لها بالإتيان، وأما الأرض فأتت طائعة، لمّا علمت نفسها مقهورة، وأنّه لابدّ أن يؤتي (الله) بها بقوله: ﴿أو كرها﴾، فكانت المراد بقوله تعالىٰ: ﴿أو كرها﴾، فأتت طائعة كرها، ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [السجدة: ١٢].

(خلق الأرض وتقدير أقواتها)

وقد كان خلق الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصّلت: ١٠]، من أجل المولدات، فجعلها خزانة لأقواتهم، وقد ذكرنا ترتيب نشء العالم في كتاب «عقله المستوفر»، فكان من تقدير أقواتها وجود الماء والهواء والنار وما في ذلك من البخارات والسحب والبروق والرعود والآثار العلوية، و﴿ذَلِكَ تَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وخلق الجانّ من النار، والطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الأرض، ليصفوا الهواء لنا من بخارات العفونات الّتي لو خالطت الهواء، الّذي أودع الله حياة هذا الإنسان والحيوان وعافيته فيه، لكان سقيما مريضاً معلولاً، فصفّى له الحقّ سبحانه لطفاً منه بتكوين هذه المعفّنات، فقلّت الأسقام والعلل.

(خلق الإنسان)

ولمّا استوت المملكة وتهيّأت، وما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلّها من أيّ جنس يكون هذا الخليفة الّذي مهّد الله هذه المملكة لوجوده. فلمّا وصل الوقت المعيّن في علمه لإيجاد هذا الخليفة، بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشر ألف سنة، ومن عمر الآخرة الّذي لانهاية لها في الدوام ثمان آلاف سنة، أمر الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كلّ أجناس تربة الأرض، فأتاه بها في خبر طويل معلوم عند الناس، فأخذها سبحانه وخمّرها بيده فهو قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وكان الحق قد أودع عند كلّ ملك من الملائكة، الذين ذكرناهم، وديعة لآدم، وقال لهم: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١].

وهذه الودائع الّتي بأيديكم له، «فإذا خلقته» فليؤدّ إليه كلّ واحد منكم ما عنده، مما أمنتكم عليه.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

فلمّا خمّر الحقّ تعالىٰ بيديه طينة آدم حتّى تغيّر ريحها - وهو المسنون، وذلك الجزاء الهوائى الّذي في النشأة - جعل ظهره محلاً للأشقياء والسعداء من ذريّته، فأودع فيه ما كان في قبضتيه، فإنّه سبحانه أخبرنا أن في قبضة يمينه السعداء، وفي قبضة اليد الأخرىٰ الأشقياء «وكلتا يدى ربّي يمين مباركة»*، وقال: «هؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة

---

*. قوله: كلتا يدي ربّي.

يعلمون، وهؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون».**

وأودع (الله) الكل طينة آدم؛ وجمع فيه الأضداد بحكم المجاورة، وأنشأه على الحركة المستقيمة، وذلك في دولة السنبلة، وجعله ذا جهات ست: الفوق، وهو ما يلي رأسه، والتحت يقابله وهو ما يلي رجليه؛ واليمين، وهو ما يلي جانبه الأقوى، والشمال يقابله وهو ما يلي جانبه الأضعف، والأمام وهو ما يلي الوجه، ويقابله القفا، وصوّره سبحانه وعدّله وسوّاه، «ثمّ نفخ فيه من روحه» المضاف إليه، فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه أركان الأخلاط الّتي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم.

فكانت الصفراء عن الركن الناري، الّذي أنشأه الله منه، في قوله تعالىٰ: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرّحمن: ١٤].

وكانت السوداء عن التراب، وهو قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾، وكان الدمّ من الهواء، وهو قوله: ﴿مَسْنُونٍ﴾، وكان البلغم من الماء الّذي عجن به التراب فصار طيناً، ثمّ أحدث فيه القوة الجاذبة الّتي بها يجذب الحيوان

○ روى المجلسي في بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٣٨٥، الحديث ٣، عن قرب الإسناد باسناده عن الصادق عليه السلام قال: «**صاحب هذا الأمر كلتا يديه يمين**» وقال المجلسي في بيانه: وروي: «**أنّ كلتا يدى الامام يمين**».

*. روى المجلسي عن تفسير الرازي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«**إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هولاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة يعملون، ثمّ مسح ظهره فاستخرج ذرّية فقال: خلقت هولاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**».

الأغذية، ثمّ القوّة الماسكة، وبها يمسك ما يتغذّي به الحيوان، ثـمّ القـوّة الهاضمة، وبها يهضم الغذاء، ثمّ القوّة الدافعة، وبها يدفع الفضلات عن نفسه، من عرق وبخار ورياح وبراز، وأمثال ذلك.

وأمّا سريان الأبخرة وتقسيم الدم في العروق من الكبد وما يخلّصه كل جزء من الحيوان فبالقوّة الجاذبة لا الدافعة، فحظّ القوّة الدافعة ما تخرجه كما قلنا من الفضلات لا غير، ثمّ أحـدث فـيه القـوّة الغـاذية والمـنميّة والحسيّة والخياليّة والوهميّة والحافظة والذاكرة وهذا كله في الإنسان بما هو حيوان، لا بما هو إنسان فقط، غير أن هذه القوى الأربعة: قوّة الخيال والوهم والحفظ والذكر، هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان.

ثمّ خصّ (الله) آدم الّذي هو الإنسان بالقوّة المصوّرة المفكّرة والعاقلة فتميّز عن الحيوان، وجعل هذه القوى كلّها في هذا الجسم آلات للنفس الناطقة لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة والمعنويّة.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وهو الإنسانيّة فجعله درّاكاً بهذه القوى: حياً، عـالماً، قـادراً، مـريداً، متكلّماً، سميعاً، بصيراً على حدّ معلوم معتاد في اكـتسابه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

ثمّ إنّه سبحانه ما سمّى نفسه باسم من الأسماء إلاّ وجعل للإنسان من التخلّق بذلك الإسم حظّاً منه يظهر به في العالم على قدر مـا يـليق بـه، ولذلك تأول بعضهم قوله ﷺ:

«أنّ الله خلق آدم على صورته».*

* . قوله: خلق الله تعالى آدم على صورته.

على هذا المعنى، وأنزله خليفة عنه في أرضه إذ كانت الأرض من عالم التغيير والإستحالات، بخلاف العالم الأعلىٰ، فيحدث فيهم من الأحكـام بحسب ما يحدث في العالم الأرضي من التغيير: فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهيّة. فلذلك كان خليفة في الأرض دون السماء والجنّة، ثمّ كان من أمره ما كان من علم الأسماء، وسجود الملائكة، وإباء إبليس، كما هو معلوم لأهله، وسنذكره إن شاء الله، (يأتي ذكر ذلك كلّه في مـوضعه، إن شاء الله).

(الجسوم الإنسانيّة وأنواعها)

وذلك فإن هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانيّة، وهي أربعة أنواع: جسم آدم، وجسم حواء، وجسم عيسى، وأجسام بـني آدم، وكـلّ جسم من هذه الأربعة، نشؤه يخالف نشء الآخر في السببية مع الإجتماع في الصورة الجسمانيّة والرّوحانيّة، وإنّما سقنا هذا ونبهنا عليه لئلا يتوهّم الضعيف العقل أن القدرة الإلٰهيّة، أو أنّ الحقائق لا تعطى أن تكـون هـذه النشأة الإنسانيّة إلاّ عن سبب واحد يعطي بـذاتـه النشء، فـردّ الله هـذه الشبهة بأن أظهر هذا النشء الإنساني في آدم بطريق لم يظهر بـه جسـم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسـم اولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسىﷺ وينطلق على كلّ واحد من هؤلاء اسم الإنسان بالحدّ والحقيقة، ذلك «ليعلم أنّ الله بكلّ شيء عليم»، وأنّه على كلّ شيء قدير.

⊃ راجع التعليق ٥٥.

ثمّ إنّ الله قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخلق، في آية من القرآن في «سورة الحجرات» فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

يريد آدم؛ ﴿مِنْ ذَكَرٍ﴾ يريد حواء ﴿وَأُنثَىٰ﴾ يريد عيسى؛ - ومن المجموع: ﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ - يريد بني آدم بطريق النكاح والتوالد، فهذه الآية من «جوامع الكلم» و«فصل الخطاب» الّذي أوتي محمّدﷺ.

(جسم آدم وجسم جواء)

ولمّا ظهر جسم آدم، كما ذكرناه، ولم تكن فيه شهوة نكاح، وكان قد سبق في علم الحقّ إيجاد التوالد والتناسل والنكاح في هذه الدار -النكاح في هذه الدار إنّما هو لبقاء النوع - فاستخرج من ضلع آدم القُصيْرىٰ حواء، فقصرت (المراة) بذلك عن درجة الرجل كما قال تعالىٰ:

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فما تلحق (النساء) بهم (أي بالرجال) ابداً. وكانت (حواء) من الضلع للإنحناء الّذي في الضلوع، لتحنو بذلك على ولدها وزوجها، فحنوّ الرجل على المرأة، حنوّه على نفسه، لأنّها جزء منه؛ وحنّو المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع، والضلع فيه انحناء وانعطاف.

(حبّ الرّجل للمرأة)

وعَمَر الله الموضع من آدم الّذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها، إذ لا يبقى في الوجود خلاء، فلما عمره بالهواء حنّ (آدم) إليها حنينه إلىٰ نفسه، لأنّها جزء منه؛ وحنّت حواء إليه، لكونه (أي آدم) موطنها الّذي نشأت فيه، فحبّ حواء حبّ الموطن، وحبّ آدم حبّ نفسه، ولذلك يظهر حبّ الرجل

للمراة، إذ كانت عينه، وأعطيت المراة القوّة المعبّر عنها بالحياء في محبّة الرجل، فقويت على الإخفاء لأنّ الموطن لا يتّحد بها، اتّحاد آدم بها.

فصوّر (الحق) في ذلك الضلع، جميع ما صوّره وخلقه في جسم آدم، فكان نشء جسم آدم في صورته، كنشء الفاخوريّ فيما ينشئه من الطين والطبخ، وكان نشء جسم حواء نشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب، فلمّا نحتها في الضلع، وأقام صورتها، وسوّاها، وعدّلها نفخ فيها من روحه، فقامت (حواء) حية، ناطقة، أنثى ليجعلها محلاً للزراعة والحرث لوجود الإنبات الّذي هو التناسل، فسكن (آدم) إليها وسكنت إليه وكانت لباساً له وكان لباساً لها». قال تعالى:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وسرت الشهوة منه في جميع أجزائه، فطلبها.

(تكوين الجسم الثالث للإنسان)

فلّما تغشّاها (آدم)، وألقىٰ الماء في الرحم، ودار بتلك النطفة من الماء دم الحيض الّذي كتبه الله على النساء، تكوّن في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكوّن منه جسم آدم وجسم حواء، فهذا هو الجسم الثالث، فتولاّه الله بالنشء في الرّحم حالاً بعد حال بالإنتقال من ماء، إلى نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، ثمّ كسا (الله) العظم لحماً. فلمّا أتمّ (الله) نشأته الحيوانيّة، أنشأه خلقاً آخر فنفخ فيه الرّوح الإنساني: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ولو لا طول الأمر لبيّنّا تكوينه (أى تكوين الإنسان) في الرحم حالاً بعد حال، ومن يتولّى ذلك من الملائكة الموكلين بإنشاء الصور في

الأرحام إلى حين خروج، ولكن كان الغرض الإعلام بأن الأجسام الإنسانيّة، وإن كانت واحدة في الحد والحقيقة والصورة الحسيّة والمعنويّة، فإنّ أسباب تأليفها مختلفة، لئلاً يتخيّل أن ذلك لذات السبب تعالى الله بل ذلك راجع إلى فاعل مختار يفعل ما يشاء، كيف يشاء من غير تحجير ولا قصور على أمر دون أمر، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

(تكوين جسم عيسى)

ولمّا قال أهل الطبيعة: إنّ ماء المراة لا يتكوّن منه شيء؛ وأن الجنين الكائن في الرّحم إنّما هو من ماء الرجل، لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكويناً آخر، وإن كان تدبيره في الرّحم تدبير إجسام البنين فإن كان (تكوين جسم عيسى) من ماء المراة، إذ تمثل لها الرّوح بشراً سويا أو كان عن نفخ بغير ماء فعلى كلّ وجه، هو (أعني جسم عيسى) جسم رابع، مغاير في النشء غيره من أجسام النوع، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ [آل عمران: ٥٩]، أي صفة نشء عيسى، ﴿عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾، الضمير يعود على آدم، ووقع الشبه في خلقه من غير أب؛ أي صفة نشئه (عيسى)، صفة نشء آدم، إلاّ أنّ آدم خلقه من تراب، ثمّ قال له: كن.

ثمّ إنّ عيسى، على ما قيل، لم يلبث في بطن أمّه (مريم) لبث البنين المعتاد، لأنّه أسرع إليه التكوين، لما أراد الله أن يجعله آية (للناس)، ويردّ به على الطبيعتين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة، لا بما تقتضيه ممّا أودع الله فيها من الأسرار والتكوينات العجيبة، ولقد أنصف

بعض جذّاق هذا الشأن الطبيعة فقال: «**لا نعلم منها إلاّ ما أعطتنا خاصةً، وفيها ما لا نعلم**».

(الإنسان في الأرض نظير العقل الأوّل في السّماء) (واتّصال الإنسان به)

فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانيّة، وأنّها أربعة أجسام، مختلفة النشء كما قررنا، وأنّه (أعني الإنسان) آخر المولدات، فهو نظير العقل الأوّل ، وبه ارتبط، لأنّ الوجود دائرة، فكان إبتداء الدائرة وجود العقل الأوّل، الّذي ورد في الخبر أنّه:

«**أوّل ما خلق الله العقل**».*

فهو أوّل الأجناس؛ وانتهى الخلق إلى الجنس الإنساني، فكملت الدائرة؛ واتصل الأنسان بالعقل، كما يتصل آخر الدائرة بأوّلها، فكانت دائرة وما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالَم بين العقل الأوّل، الّذي هو القلم أيضاً، وبين الإنسان الّذي هو الموجود الآخر.

ولمّا كانت الخطوط الخارجة من النقطة، الّتي في وسط الدائرة، إلى المحيط الّذي وجد عنها، تخرج على السواء لكلّ جزء من المحيط: كذلك نسبة الحقّ تعالىٰ إلى جميع الموجودات نسبة واحدة، فلا يقع هناك تغيير ألبتة، وكانت الأشياء كلّها ناظرة إليه وقابلة منه ما يهبها، نظر أجزاء

---

*. قوله: أوّل ما خلق الله العقل.

راجع التعليق ٦٠.

المحيط إلى النقطة.

وأقام سبحانه هذه الصورة الإنسانيّة بالحركة المستقيمة، صورة العَمَد الّذي للخيمة، فجعله لقبة هذه السماوات، فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه، فعبّرنا عنه (أي عن الإنسان) بالعَمَد، فإذا فنيت هذه الصورة (الإنسانية)، ولم يبق منها على وجه الأرض متنفس:

﴿وَانشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقّة: ١٦].

لأنّ العمد زال، وهو الإنسان.

ولمّا انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان إليها، وخربت الدنيا بانتقاله عنها، علمنا قطعاً أن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم، وأنّه الخليفة حقّاً، وأنّه محل ظهور الأسماء الإلهيّة، وهو الجامع لحقائق العالم كلّه: من ملك وفلك وروح وجسم وطبيعة وجماد ونبات وحيوان، (هذا، بالأضافة) إلى ما خصّ به من علم الأسماء الإلهيّة، مع صغر حجمه وجِرمه، وإنّما قال الله فيه: بأن:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتَ وَالأَرْضَ أَكْبَر مِنْ خَلْقِ النَّاس﴾ [الغافر: ١٨٧]، لكون الإنسان متولّدا عن السماء والأرض، فهما له كالأبوين، فرفع الله مقدارهما (لأجله).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فلم يرد (الحق الكِبَر) في الجِرميّة، فإنّ ذلك معلوم حسّاً.

(إبتلاء الإنسان الأكبر)

غير أن الله تعالىٰ ابتلاه (أي الإنسان) ببلاء ما ابتلى به أحداً من خلقه، إمّا لأنّ يُسعده أو (لأن) يُشقيه، على حسب ما يوفقه إلى استعماله، فكان

البلاء الّذي ابتلاه (الله) به أن خلق فيه قوّة تسمّى الفكر، وجعل هذه القوّة خادمة لقوّة أخرىٰ تسمّى العقل، وجبر (الله) العقل مع سيادته على الفكر أن يأخذ منه ما يعطيه، ولم يجعل (الله) للفكر مجالاً إلاّ في القوّة الخيالية، وجعل سبحانه القوّة الخيالية محلاً جامعاً لما تعطيها القوّة الحسّاسة، وجعل له قوة يقال لها: المصوّرة، فلا يحصل في القوة الخيالية (شيء) إلاّ ما أعطاه الحس، أو أعطته القوة المصوّرة ومادة المصوّرة من المحسوسات، فتركب صوراً لم يوجد لها عين، لكن أجزاؤها كلّها موجودة حسّاً.

وذلك لأنّ العقل خلق ساذجاً ليس عنده من العلوم النظرية شيء وقيل للفكر: ميّز بين الحق والباطل الّذي في هذه القوة الخيالية، فينظر (الفكر) بحسب ما يقع له، فقد يحصل في شبهة، وقد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك، ولكن في زعمه أنّه عالم بصور الشُبه من الأدلّة، وأنّه قد حصل على علم، ولم ينظر إلى قصور المواد الّتي استند إليها في إقتناء العلوم، فيقبلها العقل منه، ويحكم بها، فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب.

ثمّ إنّ الله كلّف هذا العقل معرفته - سبحانه - ليرجع إليه فيها لا إلى غيره، ففهم العقل نقيض ما أراد به الحق بقوله تعالىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾؟ [الأعراف: ١٨٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

فاستند إلى الفكر، وجعله إماماً يقتدى به، وغفل عن الحق في مراده بالتفكر: إنّه خاطبه أن يتفكر، فيرى أن علمه بالله لا سبيل إليه إلاّ بتعريف الله فيكشف له عن الأمر على ما هو عليه، فلم يفهم كلّ عقل هذا الفهم، إلاّ عقول خاصّة الله، من أنبيائه وأوليائه.

يا ليت شعري! هل بأفكارهم: «قالوا: بلى» حين أشهدهم (الحق) على

أنفسهم في «قبضة الذريّة» من ظهر آدم؟ لا، والله! بل عناية (من الله) إشهاده إياهم ذلك، عند أخذه إياهم عنهم من ظهورهم، و(لكن) لمّا رجعوا إلى الأخذ عن قواهم المفكرة في معرفة الله، لم يجتمعوا قطّ على حكم واحد في معرفة الله، وذهب كلّ طائفة إلى مذهب وكثرت القالة في الجناب الإلٰهيّ الأحمى، واجترؤوا (أى أصحاب الفكر، الآخذون عن أفكارهم لا عن الله) غاية الجرأة على الله، وهذا كلّه من الإبتلاء الّذي ذكرناه، من خلقه تعالىٰ الفكر في الإنسان.

و(أمّا) أهل الله (فقد) افتقروا إليه (تعالىٰ) فيما كلّفهم من الإيمان به في معرفته، وعلموا أن المراد منهم رجوعهم إليه سبحانه في ذلك، وفي كلّ حال، فمنهم من قال: «سبحان من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلاّ العجز عن معرفته».

ومنهم من قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك!».

وقال صلى الله عليه وآله:

«لا أحصى ثنائاً عليك».

وقال تعالىٰ:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: ١١٠].

فرجعوا إلى الله في المعرفة به، وتركوا الفكر في مرتبته ووفوه حقّه: لم ينقلوه إلى ما لا ينبغي له التفكر فيه وقد ورد النهى عن التفكّر في ذات الله، والله يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فوهبهم الله من معرفته ما وهبهم، وأشهدهم من مخلوقاته ومظاهره ما أشهدهم، فعلموا أنّه ما يستحيل عقلاً من طريق الفكر، لا يستحيل نسبةً إلٰهيّة.

فالذي ينبغي للعاقل أن يدين الله به في نفسه أن يعلم ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من ممكن ومحال ولا كلّ محال نافذ الإقتدار واسع العطاء، ليس لإيجاده تعالىٰ تكرار، بل أمثال تحدث في جوهر أوجد، وشاء بقائه؛ ولو شاء أفناه مع الأنفاس.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

هذا آخر كلامه في هذا الباب أي في إيجاد العالم وإيجاد آدم من العلو إلى السفل، ومن السفل إلى العلو، وقد سبق من كلام مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين علي بن أبى طالب﵇ في هذه المقدّمة وأمثال ذلك بالنّسبة إليهما، وقد (مرّت) قاعدتنا في هذا الكتاب وغيره، أعني إذا أجرىٰ منّا كلام في تحقيق شيء من الأشياء، لابدّ وأن يقوّم بالإستشهاد فيه أوّلاً كلام الله تعالىٰ ثمّ كلام أنبيائه ثمّ كلام أوليائه، ثمّ كلام المشايخ، ومن المشايخ أعظمهم وأشرفهم، ومعلوم أنّ الشيخ الأعظم محيي الدّين الأعرابي (ابن العربي) قدّس الله سرّه من أعظم المشايخ وأشرفهم من المتقدّمين والمتأخّرين، وبرهانه في هذا أوضح، ولا يخفىٰ على أحد صحّته إذا اطّلع على علومه ومقاماته.

وإذا فرغنا من هذا الباب من كلامه، فلنشرع في باب آخر من كلامه في هذا المعنىٰ، أي في إيجاد العالم وترتيبه، وإيجاد الإنسان وتحقيقه،هو هذا وبالله العصمة والتوفيق.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب ستّون*

في معرفة العناصر وسلطان العالم العِلوي على العالم السِفلي وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصىٰ وأيّة روحانيّة لنا.

(الحقائق الإلهيّة الأربعة ومراتب العلوم الأربعة)

إعلم أنّ كلّ شيء من الأكوان لابدّ أن يكون إستناده إلىٰ حقائق إلهيّة، فكلّ علم، مُدرَج في «العلم الإلّهي»، ومنه تفرعّت العلوم كلّها، وهي منحصرة في أربع مراتب، وكلّ مرتبة تنقسم إلى أنواع معلومة محصورة عند العلماء، وهو العلم المنطقي، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي، والعلم الالّهي.

والعالَم يطلب من الحقائق الالّهيّة أربع نسب: الحياة، والعلم، والإرادة،

---

*. قوله: الباب ستّون.

الفتوحات المكيّة، ج ١، ص ٢٩٢، وج ٤، طبع عثمان يحيى.

والقدرة، إذا تثبت هذه الأربع النِّسب للواجب الوجود، صحّ أنّه الموجد للعالم بلا شك.

فالحياة والعلم، أصلان في النِّسب، والإرادة والقدرة دونهما، والأصل الحياة، فإنّها الشرط في وجود العلم، والعلم له عموم التعلّق فإنّه يتعلّق بالواجب الوجود، وبالممكن، وبالمحال، والإرادة دونه في التعلّق، فإنّه لا تعلّق لها إلاّ بالممكن، في ترجيحه بإحدى الحالتين من الوجود والعدم، فكأنّ الإرادة تطلبها الحياة فهي كالمنفعلة عنها فإنّها أعم تعلقاً من القدرة، والقدرة أخصّ تعلقاً فإنّها تتعلّق بإيجاد الممكن لا بإعدامه فكأنّها كالمنفعلة عن العلم لأنّها من الإرادة بمنزلة العلم من الحياة.

(الأصول الأربعة لظهور صور العالم)

فلمّا تميّزت المراتب في هذه النّسب الإلّهيّة، تميّز الفاعل عن المنفعل، خرج العالم على هذه الصورة: فاعلاً ومنفعلاً. فالعالم بالنّسبة إلى الله من حيث الجملة منفعل محدّث وبالنّظر إلى نفسه فمنه فاعل ومنفعل.

فأوجد الله سبحانه العقل الأوّل من نسبة الحياة وأوجد النّفس من نسبة العلم، فكان العقل شرطاً في وجود النفس كالحياة، شرط في وجود العلم، وكان المنفعلان عن العقل والنّفس: الهباء والجسم الكلّ، فهذه الأربعة أصل ظهور الصور في العالم.

(مرتبة الطبيعة وحقائقها الأربعة)

غير أنّ بين النّفس والهباء مرتبة الطبيعة، وهي على أربع حقائق، منها إثنان فاعلان واثنان منفعلان، وكلّها في رتبة الإنفعال بالنظر إلى من

صدرت عنه، فكانت الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة،. فاليبوسة منفعلة عن الحرارة، والرطوبة منفعلة عن البرودة، فالحرارة من العقل والعقل عن الحياة، ولذلك طبع الحياة في الأجسام العنصريّة: الحرارة، والبرودة من النّفس، والنفس من العلم ولهذا يوصف العلم إذا استقرّ ببرد اليقين وبالثلج، ومنه قوله ﷺ، حين وجد برد الأنامل بين ثدييه:

«فعلم علم الأوّلين والآخرين».[١٥٨]

ولمّا انفعلت اليبوسة والرطوبة عن الحرارة والبرودة، طلبت الإرادة اليبوسة لأنّها في مرتبتها، وطلبت القدرة الرطوبة لأنّها في مرتبتها، ولمّا كانت القدرة ما لها تعلّق إلاّ بالإيجاد خاصةً، كان الأحقّ بها طبع الحياة وهي الحرارة والرطوبة في الأجسام، وظهرت الصورة والأشكال في الهباء والجسم الكلّ فظهرت السماء والأرض مرتوقة غير متميزة.

(مراتب العناصر، وماهيتها، ومصدرها)

ثمّ إنّ الله تعالىٰ توجّه إلى فتق هذا الرتق، ليميز أعيانها، وكان الأصل الماء في وجودها، ولهذا قال:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ولحياته وصف بالتسبيح، فنظم الله أوّلاً هذه الطبائع الأربع نظماً مخصوصاً، فضمّ الحرارة إلى اليبوسة، فكانت النار البسيطة المعقولة، فظهر

---

(١٥٨) قوله: فعلم علم الأوّلين والآخرين.

قد مرّ الإشارة إلى مصادره في التعليق ٥، وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٧٣، التعليق ٣٠.

حكمها في جسم العرش الّذي هو الفلك الأقصىٰ والجسم الكلّ في ثلاثة أماكن منها: المكان الواحد سمّاه «حملاً»، والمكان الثاني وهو الخامس من الأمكنة المقدرة فيه سمّاه «أسداً» والمكان الثالث وهو التاسع من الأماكن المقدرة فيه سمّاه «قوساً».

ثمّ ضمّ البرودة إلى اليبوسة، وأظهر سلطانهما في ثلاثة أمكنة من هذاالفلك، وهو التراب البسيط المعقول، فسَمّى المكان الواحد «ثوراً» والآخر «سُنبلة»، والثالث «جَدْيا»، ثمّ ضمّ الحرارة إلى الرطوبة، فكان الهواء البسيط المعقول، وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك الأقصى، سَمّى المكان الواحد «الجوزاء»، والآخر «الميزان»، والثالث «الدالي»، ثمّ ضم البرودة إلى الرطوبة، فكان الماء البسيط، وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من الفلك الأقصى، سَمّى المكان الواحد «السرطان»، وسَمّى الآخر بـ«العقرب»، وسمّى الثالث بـ«الحوت»، فهذا تقسيم فلك البروج على إثنا عشر قسماً مفروضة، تعيّنها الكواكب الثمانية والعشرون وذلك بتقدير العزيز العليم.

(فتق دائرة الوجود بعد رتقه)

فلمّا أحكم (الله) صنعتها وترتيبها وأدارها، فظهر الوجود مرتوقاً، فأراد الحقّ فتقه، وففصل بين السماء والأرض، كما قال تعالىٰ:

﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣١].

أي ميّز بعضها عن بعض، فأخذت السماء علواً دخاناً، فحدث فيما بين السماء والأرض ركنان من المركبات: الركن الواحد: الماء المركب ممّا يلي الأرض لأنّه بارد رطب فلم يكن له قوّة الصعود، فبقي على الأرض

تُمسكه بما فيها من اليبوسة عليها، و(الركن) الآخر: النار وهي أكرة الأثير ممّا يلي السماء لأنّه حار يابس، فلم يكن له طبع النزول إلى الأرض، فبقي ممّا يلي السماء من أجل حرارته واليبوسة تمسكه هناك.

وحدث ما بين النار والماء ركن الهواء من حرارة النار ورطوبة الماء، فلا يستطيع أن يلحق بالنار، فإنّ ثقل الرطوبة يمنعه أن يكون بحيث النار، وإن طلبت الرطوبة (أن) تنزله إلى أن يكون بحيث الماء، تمنعه الحرارة من النزول، فلمّا تمانعا لم يبق إلاّ أن يكون (الهواء) بين الماء والنار، لأنّهما يتجاذبانه على السواء، فذلك المسمّى هواء. فقد بان لك مراتب العناصر وماهيتها، ومِن أين ظهرت وأصل الطبيعة.

(ظهور «الخليفة» في دورة العذراء)

ولمّا دارت الأفلاك، ومخضت الأركان بما حملته مما ألقت فيها في هذا «النكاح المعنوي»، وظهرت المولّدات من كلّ ركن بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الركن، فظهرت أمم العالم وظهرت الحركة المنكوسة والحركة الأفقية، فلمّا إنتهى الحكم إلى «السنبلة» ظهرت النشاة الإنسانية، بتقدير العزيز العليم، فأنشأ الله ﷻ «الإنسان»، من حيث جسمه، خلقاً سوياً وأعطاه الحركة المستقيمة وجعل الله لها (لدورة السنبلة = العذراء)، من الولاية في العالم العنصري، سبعة آلاف سنة.

(زمان القيامة – دولة الفضل والعدل – في دورة الميزان)

وينتقل الحكم (بعد دورة السنبلة) إلى «الميزان»، وهو زمان القيامة

وفيه يضع الله ﴿الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ولمّا لم يكن الحكم له، مما أودع الله فيه من العدل في الدنيا، شرع (الله) الموازين فلم يعمل بها إلاّ القليل من الناس، وهم النبيّون خاصة، ومن كان محفوظاً من الأولياء، ولمّا كانت القيامة محل سلطان «الميزان» لم تظلم نفس شيئاً. قال تعالىٰ:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ - يعنى من العمل ﴿أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(رمزيّة العدد: ٧ والعدد: ١٢)

ولمّا كان للعذراة سبعة من الأعداد، كانت لها السبعة والسبعون والسبعمأة من الأعداد، في تضاعف الأجور وضرب الأمثال في الصدقات، قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

إلى سبعة آلاف إلى سبعين ألفاً إلى سبع مائة ألف إلى ما لانهاية له ولكن من حساب السبعة.

وإنّما كانت الفروض المقدرة في الفلك الأطلس إثنا عشر فرضاً؛ لأنّ منتهى أسماء العدد إلى إثنى عشر اسما، وهو من الواحد إلىٰ العشرة، إلى المائة، وهو الحادي عشر إلى الألف وهو الثاني عشر، وليس ورائه مرتبة أخرى ويكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصّة.

(دولة القرار والإستقرار بعد ذبح كبش الموت بين الجنّــة والنــار)

ويدخل الناس الجنّة والنار، وذلك في أوّل الحادية إحدى عشرة درجة من «الجوزاء» وتستقرّ كلّ طائفة في دارها ولا يبقىٰ في «النار» من يخرج بشفاعة ولا بعناية إلٰهيّة، و«يذبح الموت بين الجنّة والنار»(١٥٩)، ويرجع

---

(١٥٩) قوله: يذبح الموت بين الجنّة والنار.

هناك حديث معروف رواه الفريقين في كتبهم بألفاظ مختلفه وباسانيد متعدّدة، أخرج البخاري في صحيحه ج ٦ كتاب التفسير في سورة مريم باب ٤٠٥ الحديث ١١٥٥، ص ٤٤٨، في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، باسناده عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال:

«يؤتىٰ بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادياً أهل الجـنّة فـيشرئبّون ويـنظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، وكلّهم قد رآه، ثمّ ينادي يا أهـل النار فيشرئبّون ينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، وكـلّهم رآه، فيذبح ثمّ يقول: يا أهل الجنّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثمّ قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مـريم: ٣٩.

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢١٨٨، الحديث ٤٠، من كتاب الجنة الباب ١٣، وفيه احاديث أخر قريب منه اعنى الحديث ٤٢ و٤٣، فراجع.

وروى مثله مع تفاوت في بعض الألفاظ، القمي في تفسيره ج ٢ ص ٥٠ سورة مـريم الآية ٣٩، باسناده عن الصادق عليه السلام، وعنه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٨ ص ٣٤٦

الحكم في أهل الجنّة، بحسب ما يعطيه الأمر الإلٓهيّ الّذي أودع الله في حركات الفلك الأقصى، وبه يقع التكوين في الجنة، بحسب ما تعطيه نشأة الدار الآخرة، فإن الحكم أبداً في القوابل، فإن الحركة واحدة وآثارها تختلف بحسب القوابل وسبب ذلك حتى لا يستقلّ أحد من الخلق بفعل لا بأمر دون مشاركة، فتميّز بذلك فعل الله الّذي يفعل لا بمشاركة من فعل المخلوق، فالمخلوق أبداً في محل الإفتقار والعجز، والله هو الغنيّ العزيز.

ويكون الحكم في أهل النار، بحسب ما يعطيه الأمر الإلٓهي،أودعه الله تعالىٰ في حركات الفلك الأقصى وفي الكواكب الثابتة، وفي سباحة الدراريّ السبعة المطموسة الأنوار، فهي كواكب لكنّها ليست بثواقب فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة، فيقرب حكم النار من حكم الدنيا، فلبس بعذاب خالص ولا بنعيم خالص ولهذا قال تعالىٰ:

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طـه: ٧٤].

فلم يخلصه إلى أحد الوجهين وكذلك قال - ﷺ -: «**أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنّهم لا يموتون فيها ولا يحيون**».

وقد قدمنا في الباب الّذي قبل هذا صورة النعيم والعذاب، وسبب ذلك أنّه بقى ما أودع الله عليهم، في الأفلاك وحركات الكواكب من الأمر الإلٓهي، وتغيّر منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبديل ومن الكواكب بالطمس والإنتثار، فالختلف حكمها بزيادة ونقص؛ لأنّ التغيير

⊃ الحديث ٤ و٦ وفيه أحاديث أخرى في المقام فراجع، وروى أيضاً قريب منه في ج ٧ عن «معاني لاأخبار»، ص ٥٩ الحديث ٥، ورویٰ أيضاً قريب منه في حديث طويل ج ٦٠ ص ٢٦١، راجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ٧٨، التعليق ٣١.

وقع في الصور لا في الذوات.

(الملائكة المهيمة:
الكرّوبيون: الحاجب، الكاتب، اللوح)

واعلم أنّ الله تعالىٰ لمّا تسمّى بـ«الملك» رتّب العالم ترتيب المملكة، فجعل له خواصّ من عباده وهم «الملائكة المهيمة» جلساء الحق تعالىٰ بالذّكر.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ و٢٠].

(من الملائكة المسمّى بـ: «النون» و «القلم»)

ثمّ اتخذ «حاجبا» من «الكروبين» واحداً، أعطاه علمه في خلقه وهو علم مفصّل في إجمال، فعلمه سبحانه كان فيه مجلىٰ له وسَمّى ذلك المَلَك «نوّن»، فلا يزال معتكفاً في حضرة علمه ﷻ وهو رأس الديـوان الإلـهي والحقّ من كونه «عليماً» لا يحتجب عنه.

ثمّ عيّن سبحانه من ملائكته ملكاً آخر، دونه في الرتبة (المرتبة) سمّاه «القلم» وجعل منزلته دون «النّوّن» واتخذه «كاتباً» فيعلّمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة «النّون»، ولكن من «العـلم الإجـمالي» ومما يحوى عليه «العلم الإجمالي» «علم التفصيل» وهو من بعض علوم الإجمال، لأنّ العلوم لها مراتب، من جملتها «علم التـفصيل»، فـما عـند «القلم الإلٓهي» من مراتب العلوم المجملة إلاّ «علم التفصيل» مطلقا وبعض العلوم المفصّلة لا غير.

وأتخذ (الله) هذا المَلَك «كاتب ديوانه» وتجلّى له من اسمه «القادر»، فأمدّه من هذا التجلّي الإلٓهي، وجعل نظره إلى جهة «عالم التدوين والتسطير» فخلق له «لوحاً» وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصة وأنزله منه منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوجّهت عليه هنا الإرادة الإلٓهيّة فخصّصت له هذا القدر من العلوم المفصّلة وله تجلّيان من الحق بلا واسطة وليس لـ«النّون» سوى تجلٍّ واحد في مقام أشرف، فإنّه لا يدل تعدّد التجلّيات ولا كثرتها على الأشرفية وإنّما الأشرف: من له «المقام الأعم».

فأمر الله «النّون» أن يمد «القلم» بثلاث مائة وستين علماً من علوم الإجمال تحت كلّ علم تفاصيل ولكن معينة منحصرة لم يعطه غيرها، يتضمّن كلّ علم إجمالي من تلك العلوم ثلاث مائة ستين علماً من علوم التفصيل، فإذا ضربت ثلاث مائة وستين في مثلها فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالىٰ في خلقه إلى يوم القيامة خاصة، ليس عند «اللّوح» من العلم الّذي كتبه فيه هذا «القلم» أكثر من هذا لا يزيد ولا ينقص، ولهذه الحقيقة الإلٓهيّة جعل الله الفلك الأقصى ثلاث مائة وستين درجة وكلّ درجة مجملة لما تحوى عليه من تفصيل الدقائق والثواني والثوالث إلى ماشاء الله سبحانه مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة وسمّى (الله) هذا «القلم» «الكاتب».

(الملائكة المدبرة: الولاة الإثنا عشر لعالم الخلق)

ثمّ إن الله سبحانه وتعالىٰ أمر أن يولّي على عالم الخلق اثنى عشر والياً يكون مقرّهم في الفلك الأقصى منّا في بروج فقسّم الفلك الأقصى إثنى

عشر قسماً جعل كلّ قسم منها برجاً لسكنى هؤلاء الولاة مثل أبراج سور المدينة، فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها كلّ وال على تخت في برجه ورفع الله الحجاب الّذي بينهم وبين «اللوح المحفوظ». فرأوا فيه مسطراً أسمائهم ومراتبهم وما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كلّه في نفوسهم وعلّموه علماً محفوظاً لا يتبدل ولا يتغير.

ثمّ جعل الله لكلّ واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفّذان أوامرهم إلى نوّابهم، وجعل بين كلّ حاجبين سفيراً يمشي بينهما بما يلقي إليه كلّ واحد منهما، وعيّن الله لهؤلاء الّذين جعلهم الله حجاباً لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها وأنزلهم إليها هي الثمانية والعشرون منزلة الّتي تسمّى «المنازل» الّتي ذكرها الله في كتابه، فقال: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥].

يعني في سيره ينزل كلّ ليلة منزلة منها إلى أن ينتهي إلى آخرها، ثمّ يدور دورة أخرىٰ ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بسيره وسير الشمس فيها و«الخنّس» ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، وكلّ شيء فصّله الحق لنا تفصيلاً. فأسكن في هذه «المنازل» هذه الملائكة وهم حجّاب أولئك الولاة الذين في الفلك الأقصى.

(نقباء الولاة الإثنى عشر في السماوات السبع)

ثمّ إنّ الله تعالىٰ أمر هؤلاء الولاة أن يجعلوا نواباً لهم ونقباء في السماوات السبع: في كلّ سماء نقيباً كالحاجب لهم ينظر في مصالح العالم العنصري بما يلقون إليهم هؤلاء الولاة، ويأمرونهم به، وهو قوله: ﴿وَأَوْحَى

﴿فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصّلت: ١٢٠].

وجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساماً نيّرة مستديرة، ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السماوات السبع: في كلّ سماء واحد منهم وقال لهم: «قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء «الإثنى عشر والياً»، بواسطة الحجّاب الذين هم ثمانية وعشرون كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ».

ثمّ جعل الله لكلّ نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكاً يسبح فيه، هو له كالجواد للراكب، وهكذا الحجّاب لهم أفلاك يسبحون فيها، إذ كان لهم التصرّف في حوادث العالم والاستشراف عليه، ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الألف، وأعطاهم الله مراكب سمّاها أفلاكا، فهم أيضاً يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كلّ يوم مرة، فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلاً من ملك السماوات والأرض، فيدور الولاة وهؤلاء الحجّاب والنقباء والسدنة، كلّهم في خدمة هؤلاء الولاة، والكلّ مسخّرون في حقّنا إذ كنا المقصود من العالم، قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

وأنزل في التوراة: «يا ابن آدم! خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي».

(الملك والملك والمملكة)

وهكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كلّ يوم على أحوال أهل ملكه، يقول تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

لأنّه ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، بلسان حال ولسان مقال، ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظ الْعَالَمِ وَهُو العَليّ العَظِيم﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فما له شغل إلاّ بها. يقول تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ [الرّعد: ٢].

ولو لا وجود المُلك ما سمّي المَلك مَلكاً: فحفظه لمُلكه حفظه لبقاء إسم «الملك» عليه، وإن كان كما قال:

﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] = فما جاء باسم «المَلك» فإن أسماء الإضافة لا تكون إلاّ بالمضاف.

(كلّ سلطان منعزل عن قدرته بعدم عدله)

فكلّ سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل فيهم، ولا يعاملهم بالإحسان الّذي يليق بهم فقد عزل نفسه في نفس الأمر.

يقول الفقهاء: «إنّ الحاكم إذا فسق أو جار فقد انعزل شرعاً»

ولكن عندنا انعزل شرعاً فيما فسق فيه خاصة، لأنّه ما حكم بما شُرع له أن يحكم به، فقد أثبتهم رسول الله ﷺ ولاة مع جورهم، فقال ﷺ فينا وفيهم:

«فإن عدلوا فلكم ولهم، وإن جاروا فلكم وعليهم» ونهى «أن يخرج يدا من طاعة»، وما خصّ بذلك والياً من وال فلذلك زدنا في «عزله شرعاً»: إنما ذلك «فيما فسق فيه».

فالمَلك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج مما حُدّ له من الأحكام في رعاياه وفي نفسه، فإنّه والٍ على نفسه.

«كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته».(١٦٠)

فالإنسان راع على نفسه فما زاد ولذلك قال ﷺ:

«إن لنفسك عليك حقّاً ولعينك عليك حقاً» - الحديث - فمن لم يف لمن بايعه بما بايعه عليه، فقد عزل نفسه وليس بملك وإن كان حاكماً، فما كلّ حاكم يكون سلطانا، فإن السلطان من تكون له الحجة، لا عليه.

ولهذا جعل الله الأفلاك تدور علينا كلّ يوم دورة لتنظر الولاة ما تدعو حاجة الخلق إليهم، فيسدون الخلل وينفّذون أحكام الله تعالىٰ من كونه مريداً في خلقه لا من كونه آمرا، فينفّذون أحكامه الّتي أمرهم سبحانه أن ينفّذوها فيهم - وهو القضاء والقدر - في أزمان مختلفة، «فكلّ شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس»، «وكلّ صغير وكبير مستطر» في اللوح المحفوظ فما فيه إلاّ ما يقع ولا ينفّذ هؤلاء الولاة في العالم إلاّ ما فيه، «والله على كلّ شيء رقيب».

---

(١٦٠) قوله: كلّكم راع.

أخرجه السيوطي في جامع الصغير ج ٢ الحديث ٦٣٧٠، ومسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٤٥٩ الحديث ٢٠، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٨ الحديث ٤٤٩، وذكره المجلسي في بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٨، وتمام الحديث كما يلي:

«ألا كلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيّته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيّته، فالرّجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيّتها، والخادم راع في مال سيّده وهو مسئول عن رعيّته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيّته، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيّته».

ومع هذا كلّه فإن الله له مع كلّ واحد من المملكة أمر خاص في نفسه يعلمه الولاة والحجّاب والنقباء، فهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه، «ذلك ليعلموا ﴿أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾، وأنّه رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، و﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤].

(الملائكة المسخرة تحت أيدى الملائكة الولاة)

ولمّا جعل الله زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة، وأقعد مَن أقعد منهم في برجه ومسكنه، الّذي فيه تخت ملكه، وأنزل مَن أنزل مِن الحجّاب والنقباء إلى منازلهم في سماواتهم، وجعل في كلّ سماء ملائكة مسخّرة تحت أيدي هؤلاء الولاة (الملائكة المدبّرة)، وجعل تسخيرهم على طبقات: فمهنم أهل العروج بالبل والنهار من الحق إلينا ومنّا إلى الحقّ، في كلّ صباح ومساء، وما يقولون إلاّ خيرا في حقّنا، ومنهم المستغفرون لمن في الأرض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الإلّهيّة عليهم، كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض، ومنهم الموكّلون بإيصال الشرايع - ومنهم أيضاً الموكّلون باللمّات - ومنهم الموكّلون بالإلهام وهم المصلون العلوم إلى القلوب ومنهم الموكلون بالأرحام ومنهم الموكلون بتصوير ما يكوّن في الأرحام ومنهم الموكلون بنفخ الأرواح ومنهم الموكّلون بالأرزاق ومنهم الموكلون بالأمطار ولذلك قالوا:

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

وما من حادث يحدث الله في العالَم إلاّ وقد وكّل الله بإجرائه ملائكته، ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة، كما منهم أيضاً: الصافات والزاجرات

والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات، ومع هذا فما يزالون (أي الملائكة المسخّرة) تحت سلطان هؤلاء الولاة، إلاّ الأرواح المهيّمة فهم خصائص الله ومَن دونهم فإنّهم ينفّذون أوامر الله في خلقه، ثمّ إنّ العامة ما تشاهد إلاّ منازلهم والخاصّة يشهدونهم في منازلهم، كما أيضاً تشاهد العامّة أجرام الكواكب، ولا تشاهد أعيان الحجّاب ولا النقباء.

(الرقائق والمناسبات بين عالم العناصر والولاة في الأفلاك)

وجعل الله في العالم العنصري خلقاً من جنسهم، فمنهم الرّسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور العالم، وجعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاةً في الأرض من أهلها بينهم وبين هؤلاء «الولاة» في الأفلاك، مناسبات ورقائق تمتدّ إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل، مطهّرةً من الشوائب، مقدّسة عن العيوب، فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين منهم بحسب استعداداتهم، فمن كان استعداده قويا حسنا قبل ذلك الأمر على صورته طاهراً مطهراً؛ فكان والى عدل وإمام فضل، ومن كان استعداده رديئاً، قبل ذلك الأمر الظاهر، وردّه إلى شكله من الردائة والقبح، فكان والى جور ونائب ظلم وبخل، فلا يلومنّ (أحد) إلاّ نفسه!

فقد أبنت لك سلطنة العالَم العلوي على العالَم السفلي وكيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب، وما ذكرنا من ذلك إلاّ الأمّهات لا غير، يقول الله تعالىٰ:

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصّلت: ١٢].

وقال:

﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

ويكفي هذا القدر من هذا الباب، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

هذا آخر هذا الباب، وفي ضمّه إلى الأبواب الّتي سبقت من كلامه قدّس الله سرّه قبل هذا الباب كان لنا أغراض:

منها ترتيب العالم وتحقيقه من العلو إلى السفل أو بالعكس. ومنها تحقيق الكتاب الإلٰهيّة وتعيين الدوات والقلم والصادر منهما من الأزل إلى الأبد، حيث نحن في بحث القرآن وتعيين الكتاب الآفاقي والأنفسي.

ومنها تعيين الملائكة، وترتيب طبقاتهم، وترتيب المملكة الإلٰهيّة، وتعيين الولاة بالحجّاب، والنقباء والسدنة وغير ذلك، وتعيين الموكّلين منهم على كلّ نوع نوع من أجناس العالم وأشخاصه وأصنافه.

ومنها تعداد الولاة الحقيقيّة الإلٰهيّة العلويّة المنحصرة في اثنتي عشر ولاة تطبيقاً بالأئمة الإثني عشرة من أهل بيت النّبيّ ﷺ الّذين سبق ذكرهم مفصّلاً ومجملاً بوجوه مختلفة، واعتراض بعض النّاس في تخصيص هذا العدد بهم دون غيره، وجوابه بالبروج الإثني عشرة والنقباء من بني إسرائيل وغير ذلك، فإنّها كذلك والدائرة الآفاقيّة والأنفسيّة الّتي مثلنا به في صورة الجداول، وترتيب العالم الصوري بالعالم المعنوي والأقطاب والأئمّة في السبعة والإثني عشرة، فإن كلام الشيخ حجّة في ذلك مع المعترض، فإنّ الشيخ عيّن في هذا الباب أنّ بعد الله تعالىٰ والملائكة المهيمة العالم كلّه في تصرّف هؤلاء الولاة الإثني عشرة، وأرواح الأنبياء والرّسل والخلفاء والأولياء والملوك والسلاطين فأخذ

منهم ومن فيضهم في هذا العالم العنصري الشهادي.

فالشيعة من هذا قالوا إنّ الأئمّة الإثني عشرة ﷺ علىٰ عددهم، وجميع كمالاتهم وعلومهم وحقائقهم منهم، وهو مظاهر تلك الولاة ومجاليهم.

ولا يجوز أن يكون عددهم أكثر من ذلك إلاّ (أنّ) غير هم من الولاة ليسوا كذلك ولا يوافق عددهم عددهم ولا أخلاقهم أخلاقهم ولا صفاتهم صفاتهم من العصمة والطّهارة والعدل في الأفعال والقسط في الأقسام وغير ذلك كما ذكر الشيخ في قوله: وهي هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات ودقائق تمتدّ إليهم من هٰولاء الولاة بالعدل، مطهرة من الشوائب، مقدّسة عن العيوب، وهذا في الباب.

فأمّا في الفصل الثالث من باب أحد والسبعون وثلاثمأة من المجلد الخامس (الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٣٣) في بيان الفلك الأطلس والبروج ... وهو قوله:

«إعلم أنّ الله خلق في جوف هذا الكرسي الّذي ذكرناه جسماً شفّافاً مستديراً، قسّمه إثني عشر قسماً، سمّى الأقسام بروجاً وهي الّتي أقسم بها لنا في كتابه، فقال تعالىٰ:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

وأسكن كلّ برج منها ملكاً هم لأهل الجنّة كالعناصر لأهل الدنيا، فهم ما بين مائيّ، وترابي، وهوائي، وناري، وعن هٰولاء يتكوّن في الجنّات ما يتكوّن، ويستحيل فيها ما يستحيل، ويفسد ما يفسد، وأعني ينفسد بتغيير (بتغيّر) نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا تتوهّم.

ومن هنا قالت الإماميّة بالإثني عشر إماما*، فإنّ هٰولاء الملائكة أئمّة العالم الّذي تحت أحاطتهم، ومن كون هولاء الإثني عشر لا يتغيّرون عن منازلهم، لذلك قالت الإماميّة بعصمة الإئمّة، لكنّهم لا يشعرون، أنّ الإمداد يأتي إليهم من هذا المكان وإذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل والقضاء لأنّها (النافذ بهم) إلى هذا الفلك تنتهى لا تتعدّاه، فإنّها لا تعتقد سواه.

فهم وإن كانوا إثني عشر فهم على أربع مراتب، لأنّ العرش على أربع قوائم، والمنازل ثلاثة: دنيا وبرزخ وآخرة وما ثمّ رابع، ولكلّ منزل من هذه المنازل أربعة لابدّ منهم، لهم الحكم في أهل هذه المنازل، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضرب إثني عشر فلذلك كانوا إثني عشر برجاً».

وهذا الباب والفصل، فيهما أمثال ذلك كثيرة لا تعلّق لها بهذا المقام غير هذا، وهذا البحث دلالة على صحّة ما قلناه في المقدّمة الأولىٰ من فضيلة الأئمّة وتعدادهم في العدد المعيّن وغير ذلك.

وإذا تقرّر هذا وكان الغرض الأوّل من نقل هذه الأبواب بأسرها تحقيق العالم وترتيبه بعد أن بيّناه مفصّلاً ومجملاً فلنشرع في تعيين الملائكة والجنّ وكيفيّة إيجادهم، لأنّ ذلك أيضاً من تمامه ترتيب العالم وإيجاده، فبحث الملائكة قد سبق بعضه في خطبة مولانا وسيّدنا أميرالمؤمنين

---

*. قوله: ومن هنا قالت الإماميّة.

قد مرّ التعليق على هذه العبارة في التفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٥١٢ التعليق ٢٣٣ وص ٥١٧ التعليق ٢٣٤، فراجع.

عليّ عليه السلام وبعضه في هذا الباب، والزايد على ذلك يوجد في مظّانه.

وأمّا بحث الجنّ فله باب آخر في تعيين تخليقهم وتركيبهم وكيفيّة صدورهم من العلويّات والسّفليّات نذكره ونرجع إلى غيره.

والغرض الأعظم والأحوج إلى تعيين الملك والجنّ وهو أنّ في نفس التأويل سيجيء ذكر آدم وحوّاء والملائكة والجنّ وإبليس والشيطان والسجود والترك، وذلك المكان يحتاج إلى تعيينهم وتفضيلهم ويخرج البحث عن المقصد فهذا المكان الأولىٰ به، لأنّا إذا وصلنا في التّأويل إلى هذا المكان أمرنا الطالب أن يرجع إلى المقدّمات وإلى الموضع الفلائي ويظفر بمطلوبه، وهذا أنسب وأليق من ذكرهم في نفس التأويل.

والحمد لله الّذي ألهمنا لهذا وهدانا إليه وما كنّا لنهتدي لو لا هدانا الله، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

والباب المخصوص ببحث الجنّ وهو هذا:

الباب التاسع

في معرفة وجود الأرواح المارجية الناريّة المعبّر عنهما بالجنّ في الكتاب والسنّة

إعلم أنّ هذا الباب وإن كان مخصوصاً ببحث الجنّ وتخليقهم لكن يعلم فيه علوم جمّة وأسرار كثيرة غير متعلّقة ببحث الجنّ من حيث العالم وآدم والملائكة وإبليس وغير ذلك، وأوّل الباب قوله:

(خلق الجان والملائكة والإنسان)

قال الله تعالىٰ:

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

وورد في الحديث الصحيح:

«إنّ الله خلق الملائكة من نور، وخلق الله الجانّ من نار، وخلق الإنسان مما قيل لكم».*

فأما قوله -ﷺ- في خلق الإنسان:

«مما قيل لكم» ولم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة والجانّ، طلباً للإختصار، فإنّه:

*. قوله: إنّ الله خلق الملائكة.

روى المجلسي عن الإختصاص ص ١٠٩ في حديث عن الصادق عليه السلام قال: «انّ الله خلق الملائكة من نور وخلق الجان من النار وخلق آدم من صفحة الطين». بحار الأنوار، ج ١١، ص ١٠٢، الحديث ٨، وروى قريب منه عن «الدرّ المنثور». بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ١٠٨، الحديث ٧٢.

روى الشيخ المفيد في الإختصاص ص ١٠٩ باب القياس بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ أوّل من قاس إبليس فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين ولو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه، ثمّ قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق الملائكة من النور وخلق الجانّ من النار وخلق الجن - صنفاً من الجانّ - من الريح وخلق صنفاً من الجنّ من الماء، وخلق آدم من سفحة الطين، ثمّ أجرى في آدم النّور والنار والريح والماء».

«أوتي جوامع الكلم».*

وهذا منها، فإن الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجانّ، وأمّا الإنسان (فقد) اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق: فخلق آدم لا يشبه خلق حواء وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم، وخلق عيسىﷺ لا يشبه خلق من ذكرنا، فقصد الرّسولﷺ الإختصار وأحال على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان، فآدم من طين، وحواء من ضلع، وعيسى من نفخ روح (القدس) وبنوآدم من ﴿مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

(الالتحام المعنوي بين السماء والأرض)

ولمّا أنشأ الله الإركان الأربعة، وعلا الدخان إلى مقعّر فلك الكواكب الثابتة، وفتق في ذلك الدخان سبع سماوات، ميّز بعضها عن بعض، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ بعد ما ﴿قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصّلت: ٩]. وذلك كلّه «في أربعة أيام». ثمّ قال تعالىٰ للسماوات والأرض: ﴿اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ [فصّلت: ١١] أي أجيبا إذا دعيتما لما يراد منكما، مما أمّنتما عليه أن تُبرزاه، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

فجعل سبحانه بين السماء والأرض التحاماً معنوياً، وتوجّهاً لما يريد سبحانه أن يوجده في هذه الأرض من المولّدات، من معدن ونبات وحيوان، وجعل الأرض كالأهل وجعل السماء كالبعل، والسماء تلقي إلى الأرض من الأمر الّذي أوحي الله فيها، كما يلقي الرجل الماء بالجماع في

---

*. قوليه، أوتي جوامع الكلم.

راجع التعليق ٣٤.

المرأة، وتبرز الأرض عند الإلقاء ما خبأ الحق فيها من التكوينات على طبقاتها.

(العناصر الأربعة وتكوين الجانّ والإنسان)

فكان من ذلك أنّ الهواء لمّا اشتعل وحَمِي، اتقد مثل السراج، وهو اشتعال النار، ذلك اللهب (أي ذلك هو اشتعال النار)، الّذي هو إحتراق الهواء (أي الناشيء عن احتراق الهواء)، و(هذا) هو المارج وإنما سمّى (الجانّ) مارجاً لأنّه نار مختلط بهواء، وهو الهواء المشتعل، فإنّ المرج (هو) الاختلاط، ومنه سمي المرج مرجاً لاختلاط النبات فيه.

فهو من عنصرين، هواء ونار، أعني الجانّ، كما كان آدم من عنصرين، ماء وتراب، عجن به (بهما) فحدث له اسم الطين، كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارج، ففتح سبحانه في ذلك المارج صورة الجانّ، فما فيه من الهواء، يتشكل (الجانّ) في أي صورة شاء وبما فيه من النار، سخُف وعظُم لطفه، وكان فيه طلب القهر والإستكبار والعزّة، فإنّ النار أرفع الأركان مكاناً وله سلطان عظيم على إحالة الأشياء الّتي تقتضيها الطبيعة، وهو السبب الموجب لكونه استكبر عن السجود لآدم عند ما أمره الله ﷻ بتأويل أدّاه أن يقول:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]

يعني بحكم الأصل الّذي فضّل الله به بين الأركان الأربعة.

وما علم (الجانّ) أن سلطان الماء، الّذي خلق منه آدم، أقوى منه: فإنّه يذهبه، وأنّ التراب أثبت منه (أى من النار) للبرد واليبس. فلآدم القوة والثبوت لغلبة الركنين اللذين أوحده الله منهما، وإن كان فيه بقية الأركان،

ولكن ليس لها ذلك السلطان وهو الهواء والنار كما كان في الجان من بقية الأركان، ولذا سمّي (الجانّ) مارجاً ولكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان.

وأُعطي آدم التواضع للطينية بالطبع، فإن تكبر فلأمر يعرض له، يقبله لما فيه من النارية، كما يقبل اختلاف الصور في خياله وفي أحواله (لما فيه) من الهوائية، وأُعطي الجانّ التكبر بالطبع للنارية (التي فيه)، فإن تواضع فلأمر يعرض له، يقبله بما فيه من الترابية، كما يقبل الثبات على الإغواء إن كان شيطانا والثبات على الطاعات إن لم يكن شيطانا.

(الجانّ عند تلاوة سورة الرحمن)

وقد أخبر النّبيّ ﷺ لمّا تلا «سورة الرحمن» على أصحابه، قال:

«إنّي تلوتها على الجن فكانوا أحسن إستماعاً لها منكم، فكانوا يقولون: ولا بشيء من آلاء ربّنا نكذّب! إذا قلت: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (فكانوا) ثابتين عليه، ما تزلزلوا عند ما كان يقول لهم ﷺ في تلاوته: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وذلك بما فيه (أي الجانّ) من الترابية، وبما فيه من المائية (اللتين) ذهبتا بحميّة النارية، فمنهم الطابع والعاصي مثلنا، ولهم التشكل في الصور كالملائكة.

(الصورة الأصليّة الّتي ينسب إليها الرّوحانيّ)

وأخذ الله بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلاّ إذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم، ولمّا كانوا (أي الجانّ) من عالم السخافة واللطف، قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسيّة، فالصورة الأصليّة الّتي ينسب

إليها الرّوحانيّ إنما هي أوّل سورة قبل عندما أوجده الله ثمّ تختلف عليه الصور بحسب ما يريد الله أن يدخل فيها، ولو كشف الله عن أبصارنا حتى نرى ما تصوّره القوة المصوّرة، الّتي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيّل منّا، لرأيت مع الآنات الإنسان في صور مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا.

(التناسل في الجان والإنسان)

ولمّا نفخ الرّوح في اللهب وهو (أى لهب) كثير الإضطراب لسخافته - زاده النفخ اضطرابا - وغلب الهواء عليه، وعدم قراره على حالة واحدة، ظهر عالم الجانّ على تلك الصورة، وكما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرحم فكانت الذرية والتوالد في هذا الصنف البشري الآدمي، كذلك وقع التناسل في الجان بإلقاء الهواء في رحم الأنثى منهم فكانت الذرية والتوالد في صنف الجان، وكان وجودهم بالقوس وهو ناريّ، هكذا ذكر الوارد حفظه الله.

(ما بين خلق الجان والإنسان من السنين)

فكان بين خلق الجان وخلق آدم ستون ألف سنة، وكان ينبغي على ما يزعم بعض الناس أن ينقطع التوالد من الجان بعد انقضاء أربعة آلاف سنة، و(أن) ينقضى التوالد من البشر بعد إنقضاء سبعة آلاف سنة، ولم يقع الأمر على ذلك، بل الأمر راجع إلى ما يريده الله، فالتوالد في الجن، إلى اليوم باق، وكذلك (التوالد إلى يوم باق) فينا، ولم يتحقّق مبدأ آدم (و) كم له (أى لذريته) من السنين فتحقق بهذا كم لآدم وكم بقي إلى إنقضاء الدنيا وفناء البشر عن ظهرها وإنقلابهم إلى الدار الآخرة؟ وليس هذا بمذهب

الراسخين في العلم، وإنما قال به شرذمة لا يعتد بقولها.

(الجان برزخ بين الملك والإنسان)

فالملائلكة أرواح منفوخة في أنوار، والجان أرواح منفوخة في رياح، والأناسي أرواح منفوخة في أشباح، ويقال: إنّه لم يُفصل عن الموجود الأوّل من الجان أنثى، كما فصلت حواء من آدم، قال بعضهم: إنّ الله خلق للموجود الأوّل من الجان فرجاً في نفسه فنكح بعضه ببعضه، فولد مثل ذرية آدم، ذكرانا وأناثا، ثمّ نكح بعضهم بعضاً فكان خلقه حنثي، ولذلك هم (أى) الجان من عالم البرزخ: لهم شبه بالبشر وشبه بالملائكة، كالخنثى يشبه الذكر والأنثى. وقد روينا فيما رويناه من الأخبار عن بعض أئمة الدين أنه رأى رجلا ومعه ولدان - وكان خنثى - الواحد من ظهره والآخر من بطنه: نكح فوُلد له، ونُكح فوَلد، وسمى (الخنثى) خنثى من الانخناث، وهو الاسترخاء والرخاوة، وعدم القوة والشدة، فلم تقو فيه (أى في الخنثى) قوة الذكورية فيكون ذكراً، ولم تقو فيه قوة الأنوثة فيكون انثى، فاسترخى عن هاتين القوتين، فسمي خنثى ـ والله أعلم ـ

(غذاء الجان ونكاحهم)

ولما غلب على الجان عنصر الهواء والنار، لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الواء مما في العظام من الدسم، فإن الله جاعل لهم فيها رزقاً، فإنّا نشاهد جوهر العظم وما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء، فعلمنا قطعاً أن الله جاعل لهم (أى للجانّ) فيها رزقاً، ولهذا قال النّبيّ ﷺ في العظام:

«إنّها زاد إخوانكم من الجن»، وفي حديث:*

«إن الله جاعل لهم فيها رزقاً».

وأخبرني بعض المكاشفين أنه رأى الجنّ يأتون إلى العظم فيشمونه كما تشم السباع، ثمّ يرجعون وقد أخذوا رزقهم، وغذاؤهم في ذلك الشم، فسبحان اللطيف الخبير.

وأما اجتماع بعضهم ببعض، عند النكاح، فالتواء: مثل ما تبصر الدخان الخارج من الأتّون أو من قرن الفخّار، يدخل بعضه في بعض، فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل، ويكون ما يلقونه كلِقاح النخلة بمجرد الرائحة، كغذائهم سوائاً (بسواء).

(قبائل الجان وعشائرهم)

وهم قبائل وعشائر، وقد ذكر أنّهم محصورون في اثنتي عشر قبيلة أصولاً ثمّ يتفرعون إلى أفخاذ وتقع بينهم حروب عظيمة، وبعض الزوابع قد يكون عين حربهم، فإن الزوبعة (هي) تقابل ريحين، تمنع كلّ واحدة صاحبتها أن تخترقها، فيؤدّي ذلك المنع إلى الدور المشهود في الغبرة في الحس، الّتي آثارها تقابل الريحين المتضادين، فمثل ذلك يكون حربهم،ما كل زوبعة حربهم، وقصة عمرو الجني ﷺ مشهورة مروية، وقتله في الزوبعة التي أبصرت فانقشعت عنه وهو على الموت، فما لبث أن ماتكان عبداً صالحاً من الجانّ، ولو كان هذا الكتاب مبناه على إيراد أخبار وحكايات

---

*. قوله: إنّها زاد إخوانكم.

ذكره المجلسي في بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٣١.

لذكرنا منها طرفاً، وإنّما هذا كتاب علم المعاني، فـلتنظر حكـاياتهم فـي تواريخ الأدب وأشعارهم.

(تشكل العالم الرّوحانيّ)

ثمّ نرجع ونقول: وإنّ هذا العالم الرّوحانيّ إذا تشكل وظهر في سورة حسية، يقيّده البصر بحيث لا يقدر (الرّوحانيّ) أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ينظر إليه بالخاصية، ولكن من الإنسان، فإذا قيده (البصر من الإنسان) ولم يبرح ناظراً إليه، وليس له (أي للروحاني) مـوضع يـتوارى فيه، أظهر له هـذا الرّوحـانيّ صـورة جـعلها عـليه كـالستر، ثـمّ يـخيل (الرّوحانيّ) له مشيء تلك الصورة إلى جهة مخصوصة، فيتبعها (الإنسان) بصره فإذا أتبعها بصره، خرج الرّوحانيّ عن تقييده، فـغاب عـنه، بـمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الّذي أتبعها بصره، فإنّها (أي الصـورة) للروحاني، كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره، فإذا غاب جسـم السراج، فُقِد ذلك النور، فهكذا هذه الصورة، فمن يعرف هذا ويحب تقييده (أي تقييد الرّوحانيّ ببصره) لا يتبع الصورة بـصره، وهـذا مـن الأسـرار الإلٓهيّة الّتي لا تعرف إلاّ بتعريف الله، وليست الصورة غير عين الرّوحانيّ، بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان، أو في كل مكان ومختلفة الأشكال.

وإذا إتفق قتل صورة من تلك الصور وماتت (الصورة) في ظاهر الأمر، انتقل ذلك الرّوحانيّ من الحياة الدنيا إلى برزخ، كما ننتقل نحن بالموت، ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواءاً (بسـواء)، وتسـمى تـلك الصور المحسوسة الّتي تظهر فيها الرّوحانيّات، أجساداً وهو قوله تعالىٰ:

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ [ص: ٣٤].

وقوله:

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨].

والفرق بين الجانّ والملائكة وإن اشتركوا في الرّوحانيّة، أن الجانّ غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطبيعيّة من المطاعم، والملائكة ليست كذلك، ولهذا ذكر الله في قصة ضيف إبراهيم الخليل:

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠].

يعنى إلى العجل الحنيذ، أى لا يأكلون منه وخاف.

(نشأة عالم الجان)

وحين جاء وقت إنشاء عالم الجان، توجه من الأمناء الذين في الفلك الأوّل من الملائكة ثلاثة، ثمّ أخذوا من نوّابهم من السماء الثانية ما يحتاجون إليه منهم في هذا النشء، ثمّ نزلوا إلى السماوات، فأخذوا من النواب اثنين من السماء الثانية والسادسة من هناك، ونزلوا إلى الأركان، فهيئوا المحل، واتّبعتهم ثلاثة أخر من الأمناء، وأخذوا من (السماء) الثانية ما يحتاجون إليه من نوابهم ثمّ نزلوا إلى السماء الثالثة والخامسة من هناك، فأخذوا ملكين، ومرّوا بالسماء السادسة، فأخذوا نائباً آخر من الملائكة،نزلوا إلى الأركان ليكلمّوا التسوية فنزلت الستة الباقية وأخذت ما بقى من النواب في السماء الثانية وفي السماوات، فاجتمع الكل على تسوية هذه النشأة، بإذن العليم الحكيم.

فلمّا تمت نشأته (أى نشأة عالم الجان)، واستقامت بنيته، توجّه الرّوح من عالم الأمر فنفخ في تلك الصورة روحاً، سرت فيه بوحودها الحياة، فقام ناطقاً بالحمد والثناء لمن أوجده: جبلّة جبل عليها، وفي نفسه عزة

وعظمة لا يعرف سببها ولا على من يعتز بها، إذ لم يكن ثَمّ مخلوق آخر من عالم الطبائع سواه، فيقى عابداً لربّه، مصرّاً على عزّته، متواضعاً لربوبيّة موجده، بما يعرض له مما هو عليه في نشأته، إلى أن خلق آدم، فلمّا رأى الجانّ صورته غلب على واحد منهم -إسمه الحارث- بغض تلك النشأة، وتجهّم وجهه لرؤيته تلك الصورة الآدميّة، وظهر ذلك منه لجنسه، فعتبوه لذلك لما رأه عليه من الغم والحزن لها، فلمّا كان من أمر آدم ما كان، أظهر الحارث ما كان يجد في نفسه منه، وأبى عن إمتثال أمر خالقه بالسجود لآدم، واستكبر على آدم بنشأته، وافتخر بأصله، وغاب عنه سرّ قوة الماء الذي جعل الله منه كلّ شيء حيّ، ومنه كانت حياة الجانّ وهم لا يشعرون.

(خلق آدم ونشأة الإنسان)

وتأمل، إن كنت من أهل الفهم، قوله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

فحيي العرش (بالماء) وما حوى عليه من المخلوقات.

﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فجاء بالنكرة، ولا يسبّح إلا حيّ، ورد في الحديث الحسن عن رسول الله ﷺ:*

«إنّ الملائكة قالت: يا رب!» - في حديث طويل -

---

*. قوله: عن رسول الله - أشدّ من الماء.

روى قريب منه الصدوق في الخصال، ج ٢، ص ٤٤٠، الحديث ٣٣، عن أميرالمؤمنين، فهو حديث طويل فراجع، وعنه بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٣٨، الحديث ١.

«هل خلقت شيئاً أشدّ من النار؟ قال: نعم! الماء».

فجعل الماء أقوى من النار، فلو كان عنصر الهواء في نشأة الجان غير مشتعل بالنار، لكان الجان أقوى من بني آدم، فإن الهواء أقوى من الماء، فإن الملائكة قالت في هذا الحديث:

«يا رب! فهل خلقت شيئاً أشدّ الماء؟ قال: نعم الهواء، ثمّ قالت: يا ربّ فهل خلقت أشدّ من الهواء؟ قال: نعم! ابن آدم»، الحديث.

فجعل (الله) نشأة الإنسانيّة أقوى من الهواء، وجعل الماء أقوى من النار، وهو (أي الماء) العنصر الأعظم في الإنسان، كما أنّ النار (هي) العنصر الأعظم في الجانّ، ولهذا قال تعالىٰ في الشيطان:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٦].

فلم ينسب إليه من القوة شيئاً، ولم يردّ على العزيز (عزيز مصر) في قوله:

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨].

ولا أكذبه مع ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل،

«فإن النساء ناقصات عقل ودين»* ، فما ظنّك بقوّة الرجل؟

---

*. قوله: فإنّ النساء.

قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ١٨ ص ١٩٩: في الحديث المرفوع:

«إنّهن ناقصات عقل ودين».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد فراغه من حرب الجمل:

«معاشر الناس! إنّ النّساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول».

نهج البلاغة الخطبة ٨٠.

وسبب ذلك أن النشأة الإنسانية تعطي التؤدة في الأمور والأناة والفكر والتدبير، لغلبة العنصرين الماء والتراب على مزاجه، فيكون (الإنسان) وافر العقل لأنّ التراب يثبّطه ويمسكه، والماء يليّنه ويسهّله، والجانّ ليس كذلك فإنّه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الّذي للإنسان، ولهذا يقال: فلان خفيف العقل وسخيف العقل إذا كان ضعيف الرأى هِلباجة! وهذا هو نعت الجانّ وبه ضلّ عن طريق الهدى، لخفّة عقله وعدم تثبّته في نظره، فقال:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، فجمع بين الجهل وسوء الأدب، لخفته.

(الشيطان الأوّل من الجان)

فمن عصى من الجانّ كان شيطاناً، أي معبودا من رحمة الله، وكان أوّل من سمّي شيطاناً من الجنّ الحارث، فأبلسه الله أي طرده من رحمته،طرد الرحمة عنه، ومنه تفرّعت الشياطين بأجمعها، فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس، التحقّ بالمؤمنين من الجن، ومن بقي على كفره كان شيطاناً، وهي مسألة خلاف بين علماء الشريعة، فقال بعضهم: إن الشيطان لا يسلم أبدا، وتأوّل قوله ﷺ في شيطانه وهو القرين الموكل به: «إنّ الله أعانه عليه فأسلم»(١٦١) – روي برفع الميم وفتحها أيضاً –

---

(١٦١) قوله: إنّ الله أعانه.

في «كشف الغمّة» ج ١ ص ٥١٣: وروي أنّ آدم عليه السلام قال: «**إنّي لسيّد البشر يوم القيامة إلاّ رجل من ذرّيتي نبيّ من الأنبياء يقال أحمد، فضل عليّ باثنتين: زوجته عاونته**

فتأول هذا القائل الرفع بأنّه قال (ﷺ): فأسلم منه، أي ليس له عليّ سبيل، وهكذا تأوله المخالف وتأول الفتح فيه على الانقياد، قال: فمعناه انقاد مع كونه عدوا، فهو بعينه لا يأمرني إلاّ بخير، جبراً من الله وعصمة لرسول الله ﷺ. وقال المخالف: معنى فأسلم - بالفتح - أي آمن بالله، كما يسلم الكافر عندنا فيرجع مؤمنا وهو الأولى والأوجه.

(إبليس أوّل الأشقياء من الجن)

وأكثر الناس يزعمون أنّه (أي حارث) أول الجن، (وهو) بمنزلة آدم من الناس وليس كذلك (الأمر) عندنا، بل (الحارث) هو واحد من الجن، وأنّ الأوّل فيهم، (الذي) بمنزلة آدم من البشر إنّما هو غيره، ولذلك قال تعالىٰ:

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠].

أي من هذا الصنف من المخلوقين، كما كان قابيل من البشر وكتبه الله شقيا، فهو أول الأشقياء من البشر وإبليس أوّل الأشقياء من الجنّ، وعذاب الشياطين من الجنّ في جهنّم أكثر ما يكون بالزّمهرير لا بالحرور، وقد يعذب (الشيطان) بالنار، وبنو آدم عذابهم بالنار.

ووقفت يوما على مخبول العقل من الأولياء، وعيناه تدمعان، وهو يقول للناس: «لا تقفوا مع قوله تعالىٰ:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ [ص: ٨٥]. لإبليس فقط، بل انظروا في إشارته

⊃ وكانت له عونا وكانت زوجتي علي عوناً، وإنّ الله أعانه على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني». وعنه بحار الأنوار ج ١٦ ص ١٢.

سبحانه لكم، بقوله لإبليس: «جهنم منك»، فإنّه مخلوق من النار، فيعود - لعنه الله - إلى أصله. وإن عُذّب (إبليس) به، فعذاب الفخّار بالنار أشد فتحفّظوا، فما نظر هذا الوليّ من ذكر جهنّم إلاّ النار خاصة، وغفل عن أنّ جهنّم اسم لحرورها وزمهريرها، ولجهامتها (بجملتها) سميت جهنم، لأنّها كريهة المنظر. والجهام (هو) السحاب قد هرق مائه، والغيث (هو) رحمة الله، فلما أزال الله الغيث من السحاب بإنزاله، أطلق عليه إسم الجهام، لزوال الرحمة - الّذي هو الغيث - منه. كذلك الرحمة: أزالها الله من جهنّم فكانت كريهة المنظر والمخبر، وسميت أيضاً جهنم لبعد قعرها، يقال: «ركيّةٌ جهنّام»، إذا كانت بعيدة القعر، نسأل الله العظيم لنا وللمؤمنين الأمن منها، ويكفى هذا القدر من هذا الباب».

..... وجوده[١٦٢]، ويمتنع بإبداعه في الفطرة الإنسانيّة وركزه فيها، لأنّ ظهوره وبروزه إلى الفعل بتفصيل ما جمع فيه وصيرورته فرقاناً إنّما يكون بحسب النّهاية ما ذكر الفرقان كما ذكره في قوله:

﴿تَبَارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

لأنّه من باب الرحمة الرحيميّة لا الرّحمانية: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٢].

أي لمّا أبدع فطرته وأودع العقل القرآني فيها وأبرزه في هذه النشأة بخلقه في هذه الصورة العجيبه، ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أي النطق المميّز إيّاه عن جيمع ما سواه من المخلوقات ليخبر به عمّا في باطنه من العقل القرآني.

---

(١٦٢) قوله: وجوده.

مع الأسف قبل هذه العبارة لا يوجد في النسخة المخطوطة فهو مفقود.

(تعليم الإنسان الأسماء وجعله مظهراً للإسم الله والرحمن)

وإذا عرفت هذا فنقول فيه الّذي هو معناه الحقيقي وهو:

أنّ الحق تعالىٰ الّذي هو المعلّم الحقيقي والأستاذ الأقدم الأسبق والشيخ الأعظم الأكمل لقوله:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

ولقوله:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:١١٣].

(الإنسان هو نفس العقل والعرش)

لمّا فرغ من تعليم آدم الحقيقي والإنسان الكبير الآفاقي المخلوق على صورته لقول النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«خلق الله تعالىٰ آدم على صورته».(١٦٣)

وجعله من حيث المعنى مظهراً لإسم الله ومن حيث الصورة مظهراً لإسم الرحمن، وسمّاه بالنّسبة إلى الأوّل العقل الأوّل وبالنّسبة إلى الثاني العرش، أمره بتعليم أولاده وذرّيته المعنويّة والصوريّة المسمّاه بالموجودات والمخلوقات قوّة وفعلاً، خصوصاً بتعليم ولده الخاصّ وهو مظهر إسم الرّحيم المسمّى بالإنسان الصغير والخليفة الأصغر.

---

(١٦٣) قوله: خلق الله تعالىٰ آدم على صورته.

راجع التعليق ٥٥.

وهذا التعليم أزل الآزال وأبدا الآباد يكون على هذا الوجه من غير تغيير ولا تبديل:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

(إيجاد الإنسان في عالم الذرّ)

وتقديره: أنّ الرّحمن الّذي هو المعلّم الثاني والخليفة الأوّل «علّم القرآن» أي العلم الجمعي الإجمالي الإلهي ذرّيته المعنويّة والصّوريّة أوّلاً في عالم القوّة والقابليّة بطريق الإبداع والأمانة أعني أودع العلوم كلّها في فطرتهم وجبلّتهم بالقوّة وأخذ العهد منهم بظهورها بالفعل ليصروا به إنساناً كاملاً وتظهر العلّة الغائيّة من إيجادهم لقوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثمّ أوجدهم ثانياً في عالم الشّهادة والصّورة بالفعل، وطلب منهم إظهار تلك العلوم والحقائق من طريق البيان والبرهان ليصيروا بها كاملاً مكمّلاً إنساناً حقيقيّاً مستحقّاً للخلافة والوراثة جعلنا الله منهم، وإن صعب عليك هذه العبارة، فبعبارة أخرىٰ نقول حتّى تعرفه كما ينبغي:

إعلم أنّه تعالىٰ لمّا أوجدهم في ظهر آدم الحقيقي كالذّر مثلاً وعلّمهم العلم المذكور أعني ركزه في جبلّتهم وفطرتهم بالقوّة فقال لهم:

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

أي ألست بموجدكم ومعلّمكم ومربّيكم ومخرجكم من العدم إلى الوجود، ومن العلم إلى العين، ومن القوّة إلى الفعل؟ قالوا: ﴿بَلَى﴾، والمراد

بـ: ﴿بَلَى﴾ هاهنا جواب تقديريّ فرضيّ بمعنى أنّهم لو كانوا موجودين وكان لهم نطق ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أو جواب حقيقيّ وجوديّ واقع بمعنى أنّهم ﴿قَالُوا بَلَى﴾ بلسان العقل أو النّفس أو الرّوح، كما أنّ المراد بـ: «الظهر» أيضاً ليس الظهر الصّوري من آدم الصّوري، وإن كان ذلك أيضاً صحيح، بل المراد بالظهر عالم الجبروت المسمّى بالعقل وعالم الإجمال والريق.

وعلى هذه التقدير بالنّسبة إلى هذا العالم يكون تعليمهم عبارة عن تسويتهم وتعديلهم من حيث القابليّة والإستعداد المعبّر عنه بالخلق لقوله:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

أعني إذا علّمتهم القرآن في مظهر الإسم الرّحمن وعدّلتهم إعتدالاً حقيقيّاً وقوّيتهم تقويماً معنويّاً المشار إليه في قولنا:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

(خلق الإنسان في عالم الشهادة وتعليمه البيان)

خلقهم في عالم الشهادة مرّة أخرىٰ دون عالم الغيب على الوضع المعلوم والشكل المستقيم الموضوع المشار إليه في قولنا:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

﴿وَعَلَّمَهُمُ الْبَيَانَ﴾ أي بيان العلم القرآني الجمعي والفرقانيّ الحقيقي التفصيلي حتّى إذا كملت صورتهم المعنويّة والصّوريّة، وظهرت علومهم الفعليّة والإنفعاليّة، إستحقّوا خلافتي في مملكتي واستعدّوا للقرب إلى حضرتي، وأمرت الكاينات بسجودهم سيّما المَلَك الّذي هو أشرف الكلّ لقولنا:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

(المراد من سجدة الملائكة لآدم: المطاوعة والمراد من آدم نوع الإنساني)

وهذه السّجدة أيضاً ليست سجدة صوريّة شخصيّة وضعيّة، بل السجدة عبارة عن الإنقياد والمطاوعة، وآدم عن النوع الإنساني مطلقاً.

ومعلوم أنّ جيمع الموجودات مطيع منقاد له بالطّبع وهو رئيسهم وكبيرهم وآمرهم وناهيهم لقوله تعالىٰ:

﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠ والجاثية: ١٣].

فالمراد بـ: «آدم»: أبو النوع الإنساني، وبـ: «إبليس»: أبو النوع الجنّي. وهذه التقابل لا يزال كذلك، وكذلك:

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

شاهد على صدقه.

وقد سبق هذا البحث في المقدّمات ولا يحتمل هذا المكان أكثر من هذا فنرجع ونقول:

(إنسانيّة الإنسان بعلمه بالقرآن)

إعلم أنّ صعوبة هذا البحث من صعوبة تركيب القرآن لأنّ قوله تعالىٰ:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤-١].

بحسب الظاهر ليس على الترتيب التركيبي العرفي، لأنّ الترتيب التركيبي يقتضي أنّه يقول: الرّحمن خلق الإنسان ثمّ علّمه القرآن ثمّ علّمه البيان، وجلّ جنابه عن السّهو والنسيان وحاشا من الغلط والزّيادة في القرآن، لكن يحتاج تحقيقه إلى نظر دقيق وفيه ثلاثة أوجه ممّا سنح لنا

من الله الجواد غير ما مرّ:

الأولىٰ بالنّسبة إلى آدم الحقيقي والرّحمن الّذي هو المعلّم الحقيقي، وهو أنّ الرّحمن لمّا علّم القرآن لهذا الخليفة لقوله:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

صار إنساناً وإلاّ لم يكن قبل التعليم إنساناً بالحقيقة وإن كان له الإنسانيّة فصدق حينئذ أنّه علّمه القرآن، ثمّ جعله إنساناً حقيقيّاً وعالماً ربّانيّاً، ثمّ علّمه البيان أي تكميل الغير وتعليمه بتلك العلوم والمعارف لئلاّ يلزم منه الإخلال بالواجب المذموم عقلاً وشرعاً لقوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

[آل عمران: ١٨٧].

والثانية، بالنّسبة إلى آدم الصّوري الّذي هو أبوناعليه السلام فإنّه ما صار نبيّاً ولا إنساناً ولا خليفة حتّى تعلّم من آدم الحقيقي الّذي هو مظهر إسم الرّحمن القرآن الحقيقي الّذي هو العلم بالموجودات إجمالاً وتفصيلاً بقدر القابليّة والإستعداد.

والثالثة، بالنّسبة إلى كلّ واحد واحد من أولاده وذرّيته، لأنّ الإنسان مادام عارياً من العلوم سيّما من علم القرآن فهو ليس بإنسان بل هو حيوان وأخسّ من الحيوان لقوله تعالىٰ:

﴿أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولقوله:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

فأمّا إذا تعلّم العلم المعبّر عنه بالقرآن الّذي هو العلم الإجمالي بالله

وذاته وصفاته وأفعاله، والعلم التفصيلي بالمخلوقات والموجودات صار عالماً كبيراً وإنساناً شريفاً مستعدّاً للبيان والبرهان ومستحقّاً للتبيان والترجمان، وجعله خليفة في أرضه كما كان خليفة في سمائه، ونائباً ووزيراً في بلاده وعباده لقوله فيهم:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وإن قلت: إنّ الحقّ تعالىٰ جلّ ذكره نفى الولد والنسل عن الرّحمن بقوله:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزّخرف: ٨١].

وأنت أثبت وهذا تناقض.

أجبت: بأنّ مظر الرحمن (على) خلاف الرحمن لأنّا إذا قلنا: الرّحمن من حيث هو الرحمن.... أنّ الإسم غير المسمّى ما أردنا به إلاّ الله الّذي هو عين الذّات لقوله:

﴿قُلْ ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأسراء: ١١٠].

وأمّا إذا قلنا مظهر الرحمن فأردنا به الإنسان الكبير المسمّى بالعقل والرّوح وغير ذلك كما إذا قلنا مظهر الرّحيم أردنا به الإنسان الصغير المسمّى بالنّفس الكلّيّة واللوح المحفوظ وغير ذلك ممّا يطول ذكره.

وهاهنا أبحاث بالنّسبة إلى القرب (القرابة) الحقيقي والميراث الحقيقي وكيفيّة حصول ذلك الميراث بالنّسب الصّوريّة والمعنويّة وأمثال ذلك تركناها خوفاً عن الإطالة واحترازاً عن الملال فارجع إلى كتابنا الموسوم

بجامع الإسرار فان فيه تجده والله أعلم وأحكم.

هذا اخر الوجوه الثلاثة، وإذا تقرّر هذا وعرفت هذه المقدّمات فلنشرع في المقصود الّذي هو التعليم الرّحماني وكيفيّة ذلك التعليم.

(الوحي والتعليم الرحماني)

إعلم أنّ الوحي الإلّهي والإلهام الرّباني والعلوم اللدنيّة والحقائق الكشفيّة كلّها ظهور عن حضرة هذا الرحمن نازلة على قلوب الإنسان نبيّاً كان ذلك الإنسان أو وليّاً أو وصيّاً أو غيرهم، وكذلك إلى الملك والجنّ، وعند التحقيق إلى الكلّ كما بيّناه في المقدّمة الثانية.

وبيان ذلك وهو أنّ هذا «الرحمن» لسان الحقّ تعالىٰ وترجمانه لقوله:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن ٤-١].

ولقوله:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ و٤].

وهذا الكلام وإن كان المراد به نبيّناًﷺ لكن هو أيضاً يرجع إليه وإلى حقيقته، لأنّ حقيقة الرّحمن حقيقته وعلمه علمه، ولا يصدق عليه:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».(١٦٤)

إلاّ في هذه الحالة، فكلّ ما يصدر عنه عند التحقيق يكون صادراً عن الحقّ جلّ ذكره، لقوله أيضاً:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

---

(١٦٤) قوله: كنت نبيّاً.

راجع التعليق ٨٤.

لأنّ الرّحمن الّذي هو الإنسان الكبير حقيقة نبيّ مطلق، ونبيّنا الّذي هو الإنسان الصغير صورة نبيّ مقيّد والكلّ واحد لقوله ﷺ:

«أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً».(١٦٥)

والأوّل صورة الرّحمن والآخر صورة الرّحيم وليس بينهما فرق، وإنّك:

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وأمّا كيفيّة الصدور:

(نَفَس الرحمن ونَفَس الإنسان)

فاعلم أنّ صدور هذه العلوم من الرّحمن بعينه صدور العلوم الظاهر من الإنسان، أو صدور وجود الموجودات الخارجيّة منه كصدور أنواع الصنائع والأفعال من الإنسان، لأنّ للرّحمن لسان وبيان وخطوط ورقوم كما لهذا الإنسان، وقوله تعالىٰ:

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]و

إشارة إلى هذين الإسمين ومظهريهما، لأنّ القلم إشارة إلى «الرّحمن» ومظهره الّذي هو العقل الأوّل والإنسان الكبير، والنون إلى «الرّحيم» ومظهره الذي هو النّفس الكلّيّة والإنسان الصغير لقوله تعالىٰ:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥].

ولقول نبيّنا ﷺ:

---

(١٦٥) قوله: أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً.

ذكره أيضاً الفيض في «علم اليقين» ج ١ ص ٤٥٧.

«أوّل ما خلق الله القلم فقال: أكتب وكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».(١٦٦)

وقال:

«جفّ القلم بما هو كائن».(١٦٧)

فالنّون كاللّوح على هذا التقدير، والقلم كالكاتب وما يصدر منهما، ويسطر على أوراق الوجود كالخطّ الصادر بواسطة اللّوح والقلم من الكاتب الصّوري، وهذا المعني ورد في إصطلاحهم منسوباً إلى النَفَس الرّحماني وهو قولهم: النّفس الرّحماني الرّباني هو الوجود الإضافي الوحداني الحقيقيّة (الحقيقي) المتكثّر بصور المعاني الّتي هي الأعيان، وأحوالها في الحضرة الواحديّة، سمّي به تشبيهاً بنَفَس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هوآء ساذجاً في نفسه، ونظراً إلى الغاية الّتي هي ترويج الأسماء الداخلة تحت حيطة الإسم «الرّحمن» غير (عن) كونها وهو كمون الأشياء فيها، وكونها بالقوّة كترويح الإنسان بالنّفس.

هذا إجمال يحتاج إلى تفصيل.

فاعلم أنّ الكتاب القرآني كما أنّ له دوات وقلم وكاتب وأوراق معيّنة مخصوصة، وكما أنّ له حروف وكلمات وآيات مخصوصة معدودة وكذلك الكتاب الآفاقي فإنّ له أيضاً دوات وقلم وكاتب وأوراق معيّنة مخصوصة

---

(١٦٦) قوله: أوّل ما خلق الله القلم.

راجع التعليق ٢٩.

(١٦٧) قوله: جفّ القلم.

راجع التعليق: ٣٠ و ٣٣.

كليّة لا جزئيّة وكذلك له حروف وكلمات وآيات من حيث الكلّيات لا من حيث الجزئيّات لقوله تعالىٰ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ومعلوم أنّ هذا الإتّساع في الكلمات لا يصدق على كلمات القرآنيّة، فإنّها معدودة معلومة.

أمّا دوات القرآن وأقلامه وأوراقه وكذلك آياته وكلماته وحروفه فمعلوم مشهور غنيّ عن التعريف.

وأمّا دوات الكتاب الآفاقي عند البعض: عالم الجبروت، وأقلامه: عالم الملكوت، وأوراقه: عالم الملك، أو صفحات الوجود مطلقاً أو صفحات الوجود الإضافي المتقدّم ذكره، وعند البعض: الدوات عبارة عن الجوهر الأوّل، والقلم عن العقل الأوّل، والورق عن النّفس الكلّيّة وما تحتها من العوالم، وعند البعض الدوات هو العقل الأوّل والقلم النّفس الكليّة، والأوراق ما تحتها من الأفلاك والأجرام والعناصر والمواليد.

والأوّل أنسب وأليق لأنّ الّذي ورد في الشرع يشهد بأنّ القلم هو العقل الأوّل واللّوح هو النّفس الكلّيّة إذا كانت الكلمات والآيات معنويّة، وأمّا إذا كانت صوريّة فاللّوح والأوراق لا يصدق إلاّ على الهيولىٰ الكلّيّة أو الجسم الكلّ أو الوجود الإضافي أو غير ذلك من الوجودات، وعلى هذا التقدير لا يكون الدّوات إلاّ عالم الجبروت لأنّه ليس فوق الملكوت إلاّ الجبروت لأنّ فوق الأرواح والنّفوس لا يكون إلاّ العقول والمجرّدات، والقلم دائماً لا يأخذ ألاّ من الدّوات، والفيض لا يكون إلاّ من طرف الأعلىٰ إلى الأسفل كفيض الجبروت على الملكوت، والملكوت على

الملك، فالعقل حينئذ يكون كالقلم لأخذه من النّون الّذي هو الجبروت والجبروت يكون له كالدواة لفيضه على العقل الأوّل، والمراد بعالم الجبروت باتّفاق أهل الله عالم الأسماء والصفات، بالملكوت عالم الأرواح والنفوس المقدّسة، وبالملك عالم الأجسام والجسمانيّات.

وقد أشار الشيخ الأعظم قدّس الله سرّه في فتوحاته إلى هذا القلم والدّوات وعظمة شأنهما وهو قوله:

«اللّوح هو محلّ الإلقاء للعقل بمنزلة حوّا لآدم عليه السلام، ونونه الّتي هي الدّوات عبارة عما يحمله من ذاته من العلوم بطريق الإجمال فلا يظهر لها تفصيل إلاّ في النّفس الّتي هو اللّوح فهو محلّ التجميل والنّفس محلّ التفصيل.

وهذا القلم له ثلاث مأة وستّون سنا من حيث ما هو قلم، وثلاث مأة وستّون وعيا من حيث ما هو عقل، وثلاث مأة وستّون لسانا من حيث ما هو روح حتى حم عن الله تعالىٰ ويستمد كلّ سن وثلاث مأة وستين بحراً وهي أصناف العلوم وسمّيت بحراً لاتساعها.

وهذا البحور هي إجمال الكلمات الّتي لا تنفد واللّوح قلم لما دونه هكذا كلّ فاعل ومنفعل.

والمراد بهذه الكتابة من هذه الدّوات بالقلم المعلوم تعيّن الأشياء .... عالم الجبروت مطلقاً الّذي هو بمثابة الدوات في الظاهر، ثمّ تعيّنها في عالم العقول والمجرّدات إجمالاً الّذي هو بمثابة القلم في الظاهر، ثمّ في عالم النفوس والأرواح تفصيلاً الّذي هو بمثابة اللّوح، وإن شئت عبّرت الدّوات والقلم بالعقل كما قرّرناه أوّلاً، والنّفس باللّوح والموجودات بالأوراق، وأو العقل بالقلم والنّفس باللّوح والجسم بالورق لأنّ الكلّ واحد

في الحقيقة.

ونظراً إلى هذا المجموع وإلى هذا الكتاب قال:

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال:

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

والّذي ورد أيضاً:

«انّ الله تعالىٰ فرغ من أربع من الخلق والخلق والرزق والأجل».

إشارة إلى هذا أو إلى كلّيات الأمور وكلماته التامّة والّذي نزل أنّه:

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ونزل:

وهو الّذي:﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾.

إشارة إلى جزئيّات الأمور وتفصيل الآيات والكلمات (لتكون) العوالم السّفليّة مطابقاً لما سبق في العلويّات ويسمّى الأوّليّات الكلّيّات بالقضاء والأمر والآخريّات الجزئيّات بالقدر والتدبير لأنّ القضاء عبارة عن تعيين الأشياء في العقل الكلّي إجمالاً والقدر عن إخراجها مطابقاً لما في العقل في العالم السفل تفصيلاً، وقوله تعالىٰ

﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾[الطور: ٣-١].

إلى آخره إشارة إلى هذا الترتيب كناية عن هذا التركيب، لأنّ «الطّور» كما سبق ذكره في المقدّمات إشارة إلى العرش الحقيقي الّذي هو العقل الأوّل والرّوح الأعظم لعلوّ شأنه وعظم منزلته، «وكتاب مسطور» إشارة إلى اللوح المحفوظ والنّفس الكلّيّة المسمّى بالكرسيّ، و«الرقّ المنشور» إلى الوجود الإضافي الوحداني بذاته المتكثّر بأوصافه، أو الهيولىٰ الكلّيّة

القابلة للصّور والأشكال، «والبيت المعمور» إلى قلب الإنسان الكامل الفائض منه هذه العلوم والمعارف على من تحتها من العقول والنفوس، و«السقف المرفوع» إلى هذه الأفلاك العالية الرّفيعة وما اشتمل عليها من الأجرام والكواكب، و«البحر المسجور» إلى العناصر الأربعة البسيطة الصّادرة منها هذه المخلوقات الغير المتناهية المسمّاه عند أهل الله بالكلمات الإلٓهيّة، والمناسبة بينها وبين البحر لكثرة ما فيها من الصّور والحقائق.

وإن شئت التطبيق فالطّور يكون إشارة إلى الرّوح الجزئي الإنساني الّذي في الدّماغ لأنّ الدّماغ بمثابة العرش في الإنسان الصغير، كما أنّ العرش بمثابة الدّماغ في الإنسان الكبير، و«الكتاب المسطور» إشارة إلى نفسه الحيوانيّة الّتي هي بمثابة اللّوح لقبولها النقوش والصور، أو إلى العقل الجزئي لقبوله أيضاً العلوم والحقائق وصور المعلومات مطلقاً، و«الرقّ المنشور» إلى الجسد ومادونه قبل الفتق فإنّها في حالة رتقها يكون كالرّق لقابليّتها الصور والأشكال، أو إلى الهيولىٰ العنصريّة المختصّة بالمواليد الثلاثة دون غيرها من القوى البدنيّة، و«البيت المعمور» إلى قلبه الّذي هو أعمر البيوت وأحسنها، لأنّ بيت الله الأعظم والمسجد الأقصى عند التحقيق هو القلب الحقيقي المسمّى بعرش الله لقوله:

«قلب المؤمن عرش الله».[168]

---

(١٦٨) قوله: قلب المؤمن عرش الله.

اخرج قريب منه «الجامع الصغير» ج ١ ص ٣٦٤ الحديث ٢٣٧٥، و«كنز العمّال» ج

ج

ولقوله:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن».(١٦٩)

و«السقف المرفوع» إلى صورة هذا القلب بحسب الظاهر المشار إليها في البحث السابق بالشكل الصنوبري المعلّق في طرف اليسار من البدن لأنّه أرفع عضو وأشرف جوارح في بدن الإنسان لقول النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«في جسد ابن آدم لمضغة لو صلحت لصلح بها جميع الجسد وإن فسدت فسد بها جميع الجسد ألا وهي القلب».*

وورد عن أبي يزيد البسطامي رحمة الله عليه بالنّسبة إلى القلب الحقيقي دون الصّوري إنّه قال:

«لو أنّ العرش وما حواه في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ بها».

ص ٢٤١ الحديث ١٢٠٧.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٣ ص ٣١٣ التعليق ١٥٦.

(١٦٩) قوله: لا يسعني أرضي.

راجع التعليق ٤٤.

*. قوله: في جسد ابن آدم.

في بحار الأنوار ج ٦١ ص ١٠٣ قال عليه السلام:

«إنّ في الجسم لمضغة أذا صلحت صلح سائره وإذا فسدت فسد سائره وهي القلب». وأيضاً في ج ٧١ ص ١٩٠، ورواه أيضاً «عوالى اللئالي» ج ٤ ص ٧ وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ١١ ص ١٨١.

والبحث في القلب أكثر وأعظم من أن يحتمل هذا الموضع ولا أمثاله بأضعاف أضعافه، ويكفي في إتّساعه وشرفه الحديث القدسي السّماوي، لأنّه إذا اتّسع الحقّ تعالىٰ مع عظمة شأنه فلم يبق هناك اتّساع آخر ينسب إليه، وإذا صار هو بيتاً له ومحلاًّ لكماله وجلاله فلم يبق هناك شرف ينسب إليه، وذلك لا يخفىٰ على أهله، وإليه أشار بقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وإذا تحقّقت هذا وعرفت كيفيّة تعليم الرّحماني فلا بدّ لك من أن تعرف كيفيّة نزول الوحي والقرآن على الأنبياء والرّسل عليهم السلام وكيفيّة نزول العلوم اللّدنيّة والكشفيّة على غيرهم من نوع الإنسان، وحيث إنّه بحث طويل وله بسط عظيم نجعله في مقالة أخرىٰ برأسه ليكون مجال الكلام فيه متّسع وهو هذا وبالله التوفيق.

المقالة الخامسة

في بيان نزول القرآن والوحي والعلوم كلّها بطريق الفيض

إعلم أنّ الله تعالىٰ إذا أراد إيجاد أمر من الأمور بمقتضي قوله:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

يحكم بإنزال ذلك الأمر أوّلاً من حضرة أحديّته وجناب صمديّته الّتي هي حضرت الذّات، وجناب الإطلاق إلى حضرت واحديّته وألوهيّته الّتي هي حضرت الأسماء والصّفات وعالم الجبروت والإجمال المسمّى بالعقل الأوّل والعرش الحقيقي، ثمّ إلى النّفس الكلّيّة المسمّاة باللّوح تفصيلاً، ثمّ إلى الأفلاك السبعة تدريجاً، ثمّ إلى العوالم السفليّة والمواليد الثلاثة تكويناً وتصويراً وتكسيه على أيدي خزّان الطبيعة كسوة مناسبة لحاله من الجواهر الأربعة الّتي هي جوهر الماء وجوهر التراب وجوهر الهواء جوهر النار، لقوله فيهم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ

مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

[الحج: ٥].

ولقوله:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾

[الكهف: ٣٨].

ولقوله الجامع لجميع هذه المراتب:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[المؤمنون: ١٤-١٢].

هذا إذا كان نزول ذلك الأمر موكولاً إلى الأسباب الخارجيّة والأركان الطبيعيّة الّتي هي عبارة عن حركة أعضاء الإنسان الكبير وجوارحه المعبّر عنها بالسّماوات والأرض وما بينهما من الموجودات، لأنّ السّماوات إشارة إلى يده اليمنىٰ لقوله:

﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

والأرضون إلى يده اليسرىٰ لقوله:

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقد تقدّم هذا البحث في المقدّمات عند بحث آدم، وقوله تعالىٰ:

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

فإنّ اليدين إمّا إشارة إلى السّماوات والأرض أو إلى الأسماء الجلاليّة والجماليّة الّذين هما أيضاً بمثابة اليدين كما مرّ وكلاهما صحيح لأنّ السّماوات والأرض هما مظهر الإسمين المذكورين، و:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

أيضاً إشارة إليهما.

وأمّا إذا كان موكولاً إلى الأسباب الداخليّة والآلات القوليّة دون الفعليّة أعني حركات اللسان والحنك ومخارج الحروف الإلٰهيّة من الإنسان الكبير الّذي هو عقله المترجم عنه بلسان الحال، يكسيه الله تعالىٰ أيضاً على أيدى الخزّان المعنويّة كسوة مناسبة بحاله من العقل والرّوح والقلم والأمر ويسمّيه كلاماً وقولاً ووحياً وإلهاماً، وكلّ هذا صادق على القرآن وعلى كتب الله السّماويّة، وكذلك بالنّسبة إلى الكلمات والآيات دون الكلام والقول.

وبالجملة الأمر النازل من تلك الحضرات له وجودان:

وجود في عالم الغيب والأمر والملكوت، ووجود في عالم الشهادة والخلق والملك الّذي بإزائه.

فالوجود الأوّل يسمّى كلاماً وقولاً ووحياً وإلهاماً، وحياً في حضرة القدس وعالم العقل، وإلهاماً في حضرة الملكوت وحضرت النّفس الكلّيّة، وكلاماً في عالم الأفلاك العلويّة، وقولاً في حضرات العوالم السفليّة.

ويطلق تارة على الكلام علماً، وعلى القول أمراً، وعلى الإلهام حدساً، وعلى الوحي كشفاً، ويجوز أن يسمّى أيضاً: الأوّل حروفاً، والثاني كلمات، والثالث آيات، والرابع حركات من النصب والرفع والجرّ الآتي بيانها عند بيان الحروف والكلمات.

والوجود الثاني يسمّى كتاب الله الآفاقي وقرآنه التفصيلي المعبّر عنه بالفرقان، ويختلف إسمها باختلاف الحضرات والعوالم، لأنّ إسمه في الحضرت العقليّة: «أمّ الكتاب»، وفي الحضرت النفسيّة: «الكتاب

المبين»، وفي الحضرت الملكوتيّة والعوالم العلويّة: «الكتاب الحكيم»، وفي الحضرت العنصريّة والعوالم السفليّة: «الكتاب المسطور».

وكلّ هذه الأسماء وردت (واردة) في القرآن.

أمّا «أمّ الكتاب» فلقوله:

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأمّا الكتاب المبين فلقوله:

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [انعام ٥٩].

وأمّا الكتاب الحكيم فلقوله:

﴿الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣-١].

وأمّا الكتاب المسطور فلقوله:

﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطّور: ٣-١].

وقد عرفت تفصيل هذا البحث في المقدّمات مراراً.

والّذي ورد في تعيين (تعين) الكلمات وتحقيق الآيات يشهد بذلك وهو قولهم:

«الكلمة يكّنى بها عن كلّ واحدة من الماهيّات والأعيان والحقائق والموجودات الخارجيّة، وفي الجملة عن كلّ متعيّن، وقد تخصّ المعقولات بين الماهيّات والحقائق والأعيان والموجودات بالكلمة المعنويّة والغيبيّة، والخارجيات بالكلمة الوجوديّة، والمجرّدات والمفارقات بالكلمة التامّة».

وقد سبق هذا البحث أيضاً مبسوطاً عند بحث الكلمات في المقدّمة الرابعة.

هذا بالنّسبة إلى الكتاب الآفاقي وكلماته وآياته، وأمّا بالنّسبة إلى الكتاب الأنفسي وكلماته وآياته صورة ومعنىً:

فاعلم، أنّ الكلمات الصادرة من الإنسان مثلاً لا يخلو من وجهين: إمّا أن يكون لها وجود في اللفظ والقول، وإمّا في الرّقوم والكتابة، فإن كان الأوّل فينزل ذلك الكلام من حضرة روحه إلى حضرة قلبه، ومن حضرت قلبه إلى حضرة خياله، ومن حضرت خياله إلى حضرت شهادته، ومن حضرت شهادته إلى حضرت حواسّه، ثمّ لها طريقان فإن أراد ظهوره وبروزه من طريق النطق والتلفّظ بالسان فيعطيه لباساً مناسباً بحاله من الحلل الأربعة الّتي هي الهواء والنّفس والحرف والصوت ليصر بذلك كلاماً وقولاً وينتفع بهما المستمع والمخاطب، ويكون بقاء هذا النوع من الكلام ببقاء القائل والناطق والقابل والمستمع.

وإن كان الثاني فإذا نزل ذلك المعنى من الحضرات المذكورة على الترتيب، فإن أراد ظهوره وبروزه من حيث الكتابة والرقوم فيعطيه لباساً مناسباً بحاله من الحلل الأربعة الّتي هي الزّاج والصمغ والعفص والدّخان المسمّى بالمداد ليصير كلماته وكتاباً ويبقى بعده بين بني النوع زماناً طويلاً (أو) امّا قيصرا على قدر ما شاء الله بقاه.

فكذلك الكلمات الإلٓهيّة الآفاقيّة فإنّها إن ظهرت من حيث اللفظ والقول من نَفَس الرّحمن مخاطباً لبعض الرّوحانيّات العلويّات وتبقى ببقاء القابل والمستمع وتسمّى هذه الكلمات كلمات معنويّة.

وإن ظهرت من حيث الكتابة والرقوم من نَفَس الرّحمن المذكور مخاطباً لبعض السّفليّات الجسمانيّات وتبقى ببقاء ذلك المخاطب ويسمّى هذه الكلمات، كلمات صوريّة وإلى هذين القسمين من الكلمات أشار

الحقّ تعالىٰ في كتابه وقال:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

وإلى بقائها ودوامها أشار أيضاً وقال:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وإذا تقرّر هذا فاعلم أنّ القرآن النازل من حضرت.... النّفس الرحماني الّذي هو خليفته، ينزل أوّلاً إلى العقل الأوّل الّذي هو جبرئيل عند الأكثرين وواسطة بين الأنبياء والرّسلعليهم السلام في إيصال الوحي إليهم.

ثمّ إلى النّفس الكلّيّة بطريق الفيض والإستفاضة.

ثمّ إلى الأفلاك السبعة كذلك، ثمّ إلى العناصر والمواليد، ثمّ إلى الإنسان، ويسمّى هذا إفاضة العقل الكلّي إلى الجزئي تدريجاً وهذا معنى قوله تعالىٰ:

﴿نَزَلَ بِهِ الرّوح الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقد سبق من (في) كلامنا وكلام الغزّالي:

(تعريف الوحي والإلهام)

أنّ الوحي عبارة عن إفاضة العقل الكلّي العلوم والمعارف على العقل الجزئي الّذي هو عقل الأنبياء والرّسلعليهم السلام. وإلهام عبارة عن إفاضة النّفس الكلّيّة العلوم والمعارف على النّفس الجزئيّة الّتي هي نفس الأولياء والأوصياء صلّى الله عليهم أجميعن.

هذا إذا قلنا أنّ جبرئيل (عندهم) العقل الأوّل أو العقل الفعّال، وأمّا إذا

قلنا أنّ جبرئيل ملك مقرّب ينزل بشخصه في صورة الإنسان على نبيّ من الأنبياء ويوحي إليه الوحي الحامل من الله... هذا جبرئيل كواحد من الناس مثلاً الّذي استفيد من أستاذ مثله ويفيد إلى غيره فإنّ جبرئيل يستفيض من العقل الأوّل والرّحمن المذكور الّذي هو أستاذه ويفيض إلى الأنبياء والرّسل الذين هم تلامذته مثلاً بواسطة نزوله من الأعلى إلى الأسفل و... إليهم.

وعلى هذا ليس بين القولين مغايرة وهذا معنى قوله:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥ و٦].

وهذا المكان يحتاج إلى بيان أربعة أشياء ليتحقق هذا، البحث الأوّل إلى بيان الوحي ثمّ إلى بيان الإلهام ثمّ الكشف ثمّ الحدس المسمّى بالفراسة والتوسّم، هذه الأنواع قد سبق.

وأمّا تقسيمها:

(في بيان الوحي والإلهام والحدس والتوسّم)

فاعلم أنّ الوحي على قسمين جلّي وخفيّ، أمّا الجليّ فكوحيه إلى الأنبياء والرّسل بواسطة وغير واسطة، بواسطة كقوله:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وبغير واسطة لقوله:

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠].

وأمّا الخفيّ فكقوله:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ [النحل: ٦٨].

وكقوله:

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصّلت: ١٢].

والإلهام أيضاً على قسمين خاصّ وعام أمّا الخاص فهو للأولياء خاصّة لقوله:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧و٨].

وأمّا العام فهو لجميع المخلوقات لقوله:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

.... أي بمصالحه ومفاسده وحفظه البذر والنوع لينتظم أحوال الوجود بوجودهم.

وأمّا الكشف فإنّه أيضاً على قسمين صوري ومعنوي:

أمّا الصوري فهو عام لأنّه حاصل للكافر والمسلم والمؤمن والمنافق ويعرف ذلك من مظانّه، وهو طريق مشهور وقد بسطنا الكلام فيه في كتبنا المذكورة وهو قد يحصل للبراهمة والرهبانيين والسحرة والكهنة إمّا بالرياضة أو بخواصّ بعض النفوس الشريرة، وإما يحصل للأنبياء (للأخيار) والأولياء والذين في مرامهم بسبب من الأسباب.

وأمّا المعنوي فهو خاصّ بالأنبياء والرّسل والأولياء والأئمّة وتابعيهم على قدم الصدق والعدل لقوله تعالىٰ:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وأمّا الحدس المسمّىٰ في الشرع بالفراسة والتوسّم فهو أيضاً على قسمين: عامّ وخاصّ:

أمّا العام فهو يكون للمؤمن والكافر والمشرك والمنافق، فإنّه قريب إلى الكشف الصّوري.

وإمّا الخاصّ المسمّى بـالفراسـة فـهو مـخصوص بـالأنبياء والرّسـل والمؤمنين من تابعيهم لقوله تعالىٰ فيهم:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

والمتوسّم هو المتفرّس ولقول النّبيّ ﷺ:

«إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله».(١٧٠)

---

(١٧٠) قوله: إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله.

حديث مشهور ورد عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة أهل البيت عليهم السلام بأسناد مختلفة، في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر: ٧٥.

أخرجه ابن أثير جزري في «جامع الأصول» ج ٢ ص ٢٠٥ الحديث ٦٨٣، وأبـوبكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٧٣ الحديث ١٧٩٣٩، وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٩٠٣ في تفسير الآية المذكورة، بأسناد مختلفة عن النّبيّ ﷺ.

وقال السيوطي في «درّ المنثور» ج ٥ ص ٩٠ في سـورة الحـجر فـي تـفسير الآيـة، وأخرجه البخاري في تاريخه والترمذي وابن جرير وأبي حاكم وأبي السنى وأبو نعيم في الطب، وابن مردويه والخطيب، عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله، ثمّ قرأ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

وفيه بطرق آخر أيضاً:

«إحذورا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله».

ورواه أيضاً الطبرسي في «مجمع البيان» في تفسير الآية المذكورة وقال:

«عن مجاهد: وقد صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله، وقال: «إنّ لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم»، ثمّ قرأ هذه الآية.

وقال الطبرسي بعد ذلك: وروي عن أبي عبدالله عليه السلام إنّه قال:

«نحن المتوسّمون والسبيل فينا مقيم، والسبيل طريق الجنّة»

ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره».

وروى المفيد في «الإختصاص» ص ٣٠٦ باسناده عن الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

قال: **«هم الأئمّة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»».**

وروى أيضاً فيه ص ٣٠٢، باسناده عن الباقر عليه السلام قال:

«إنّه ليس من مخلوق إلاّ بين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، ذلك محجوب عنكم وليس بمحجوب عن الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ ليس يدخل عليهم أحد إلاّ عرفوه مؤمن أو كافر،

ثمّ تلا هذه الآية:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

فهم المتوسّمون».

روي المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٢٤، عن «عيون أخبار الرضا» للصدوق، باسناده عن الحسين بن الجهم قال: سئل الرّضا عليه السلام: **ما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟**

قال: **إما بلغك قول رسول الله صلى الله عليه وآله:**

وإذا تحقّق هذا فنرجع إلى الغرض فنقول:

(الولاية أعظم من النبوّة كما أنّ النبوّة أعظم من الرسالة)

إعلم أنّ كلّ نبيّ نبوّته متقدّمة على رسالته، وأنّ كلّ نبيّ ولايته متقدّمة على نبوّته،، لأنّ النّبوّة لا يمكن حصولها إلاّ بعد الولاية، والرّسالة لا يتصوّر وجودها إلاّ بعد النّبوّة، لأنّ كلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ برسول، وكلّ نبيّ وليّ وليس كلّ وليّ بنبيّ وإن كانت الولاية أعظم من النّبوّة والنّبوّة من الرّسالة، مع إعتبار هذه الثلاث في شخص واحد لا بالإنفراد كما سبق تحقيقه.

فإنّ الولاية أعظم من النّبوّة وإن كان النّبيّ أعظم من الوليّ، وكذلك النّبوّة والرّسالة، فإنّ النّبوّة في نفس الأمر أعظم من الرّسالة وإن كان الرّسول أعظم من النّبيّ وهكذا، لأنّ النّبيّ له نبوّة وولاية وليس للولي إلاّ

⊃ «إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»؟

قال: بلى، قال: فما من مؤمن إلاّ وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله للأئمّة ما فرّقه في جميع المؤمنين، وقال عزّ وجلّ في كتابه:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

فأوّل المتوسّمين رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام من بعده، ثمّ الحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام إلى يوم القيامة».

اقول: الأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً فراجع بحار الأنوار ج ٢٤ كتاب الإمامة باب ٤٢ إنّهم عليهم السلام المتوسّمون، وج ٢٥ ص ٢١ الحديث ٣٢، وج ٣٨ ص ٧٩ الحديث ٢.

الولاية فقط فيكون حينئذ النّبيّ أعظم، لأنّ له مرتبتين والوليّ له مرتبة واحدة، وكذلك النّبيّ والرّسول، لأنّ الرّسول له نبوّة وولاية ورسالة فيكون أعظم من النّبيّ والوليّ، لأنّ له ثلاثة مراتب ولهولاء (إثنتان) وفرق كبير بينهما وهو لا يخفىٰ على أهله.

وههنا أبحاث والغرض أنّ كلّ رسول مرسل إلى الخلق كنبيّنا وغيره من الأنبياء، والرّسل لهم أربع مقامات:

الأولىٰ حالة غلبة الولاية (...) إلى وجود الغرض والغرض التّام فكلّ ما يصدر عنهم في هذه الحالة يسمّى..... وقول نبيّناﷺ:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل». *

كان في تلك الحالة، وكذلك قول جبرئيل:

«لو دنوت أنملة لأحترقت». (١٧١)

والثانية حالة غلبة النّبوّة ومطالعة حقائق الأشياء على ما هي عليها الّتي هي من إقتضاء وصولهم إلى مرتبة الملكيّة ومقام التنزيه والتقديس فكلّ ما يصدر عنهم من هذه الحالة يسمّى حديثاً قدسيّاً إلهيّاً لقول نبيّناﷺ مخبراً عنه تعالىٰ:

---

*. قوله: لي مع الله وقت.

راجع التعليق ٢٧٠.

(١٧١) قوله: لو دنوت أنملة.

رواه ابن شهر آشوب في كتابه «مناقب آل أبي طالب» ج ١ ص ١٧٩ عن ابن عبّاس في حديث المعراج.

وقد مرّ تفصيله في «تفسير المحيط الأعظم» ج ٣ ص ١٣٢، التعليق ٧٢، فراجع.

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر».(١٧٢)

والثالثة حالة غلبة الرّسالة وابلاغ ما حصل له في طرف النّبوّة والولاية إلى طالبيها ومستحقيها ليكمّلهم ويهذّبهم به، فكلّ ما يصدر عنهم في هذه الحالة يسمّى حديثاً نبويّاً، لقوله:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والرابعة حالة البشريّة وتكميل قوى الشهويّة والغضبيّة على طريق الإعتدال لئلاّ يترجّح أحدهما على الآخرة ويتّصف صاحبهما بطرفي الإفراط والتفريط، فكلّ ما يصدر عنهم في هذه الحالة يسمّى حديثاً نفسانيّاً وكلاماً بشريّاً لقوله تعالىٰ فيه:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولقوله من لسان أمّته:

﴿مَالِ هَذَا الرَّسول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وحيث إنّ شدّة هذه المراتب وضعفها يتعلّق باستعداد الشخص وضعفه وشدّته فكلّ ما كان النّبيّ أعظم يكون مقامه أعظم، وكلّ ما كان مقامه أعظم يكون كلامه أعظم، وكلّ ما كان كلامه أعظم كان كتابه أعظم، ولهذا

---

(١٧٢) قوله: قوله: اعددت لعبادي.

راجع التعليق ١٣.

صار كتاب نبيّنا عليه السلام الّذي هو القرآن إعظم الكتب وأشرفها، ونسخ الكلّ بوجوده، وهو باق إلى يوم القيامة.

والمراد من أوّل البحث إلى هذا المقام أن يتحقّق عندك وعند غيرك أنّ جميع هذه العلوم والحقائق نازلة عن حضرت الرّحمن الّذي هو الإنسان الكبير إلى حضرت الرّحيم الّذي هو الإنسان الصغير، وأنّ الكتاب الكبير الآفاقي كما تمّ وكمل بوجود الرّحمن صورة ومعنىً، كذلك الكتاب القرآني تمّ وكمل بوجود الرّحيم صورة ومعنى، وليس في الوجود غير هذه الثلاث ومظهرها حقيقة أعني: «الله» و«الرحمن» و«الرحيم» المعبّر عنها بالحقّ والعالم والإنسان.

وإذا تحقّق هذا وعرفت مرتبة إسمي الرّحمن والرّحيم وعظم شأنهما وسبب إلحاقهما بالإسم الأعظم الأقدم، فلنشرع في البحث السّادس من الأبحاث السّتة المذكورة بعون الله وحسن توفيقه.

البحث السادس

في تطبيق حروف بسم الله الرحمن الرحيم بالعوالم الكلّيّة ومراتبها منحصرة في تسعة عشرة مرتبة كلّيّة

إعلم أنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» تسعة عشر حرفاً في الكتابة، وأنّ كلّ حرف منها بمثابة عالم من العوالم الكلّيّة كما قرّرناه وبيّناه وسنبيّنه إن شاء الله، وأمّا الخبر الّذي يشهد بصحّة ذلك فهو الّذي سبق ذكره وورد عن النّبيّ ﷺ:

«من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» ليجعل الله لكلّ حرف منها جنّة من واحد منها».(١٧٣)

---

(١٧٣) قوله: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية.

أخرجه السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ١ ص ٢٦، في تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»، عن وكيع والثعلبي، عن ابن مسعود.

ورواه الطبرسي في «مجمع البيان» ج ١ في تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» عن ابن

وههنا بالنّسبة إلى هذا الخبر لطيفة شريفة نقرّرها ثمّ نرجع إلى الغرض، وتلك اللطيفة وهي:

أنّ الزبانية والجحيم والحور والجنّة وما اشتمل على أمثال هذه الإشارات إشارة إلى تعلّقات الإنسان وإحتجابه بها لأنّه لو لم يكن كذلك لكانت الزبانية عشرة أو عشرين، والجحيم إمّا ثمانية أو تسعة أو أقلّ أو أكثر، وكذلك الحور والجنّة (...)(١٧٤) هذه المراتب وتعداد هذه الأصناف لا بدّ وأن يكون من حكمة ربّانيّة وأسرار إلّهيّة وقد تقدّم بحث التعلّقات وتعداها (سبعة وسبعين) ألفاً عند الخبر النّبوي:

«أنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن».(١٧٥)

وتطبيقه في الآفاق في المقدّمة الأولى مبسوطاً ما نحتاج إلى تكرارها

➲ مسعود.

ورواه جامع الأخبار ص ١١٩ الحديث ٣/٢١٥، الفصل الثاني والعشرون، عن ابن مسعود، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وعنه «بحار الأنوار» ج ٩٢ ص ٢٥٧، الحديث ٥٢.

(١٧٤)

أيّها القارىء العزيز سترىٰ هذه العلامة (...) توجد كثيراً من هنا إلى آخر الكتاب، فاعلم أنّها تنبيه بأنّ كلّ موضع وضعت هذه العلامة فيه بأنّ في ذلك الموضع يوجد سقط في نسخة الكتاب المخطوطة، وذلك السقط كثيراً مّا كان أكثر من كلمة أو أكثر من سطور.

وبما عندنا لا يوجد إلاّ نسخة واحدة وهي مخطوطة بيد المؤلّف الجليل المباركة لم نتمكّن تصحيح الموارد كلّها وإن صحّحنا في بعضها بالسعي الكثير.

(١٧٥) قوله: أنّ للقرآن ظهراً وبطناً.

راجع التعليق ٣.

مرّة أخرى لكن قوله:

«من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر» الحديث.

إشارة إلى أنّ من يريد أن يخلّص من الزبانية المعنويّة الّتي موجبة للتعذيب في الحشر والمعاد فليخلّص من التعلّقات الصوريّة الّتي هي بإزاء تلك المعذّبات المعنويّة، وذلك لأنّ المدبّرات في البرازخ العلويّة والعوالم السفليّة سبعة المشار إليها في القرآن لقوله تعالىٰ:

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ [النازعات: ٣-٥].

ولقوله:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

وهذه السبعة سيرها وحركاتها في هذه البروج السّماويّة الّتي هي إثنتا عشر برجاً لقوله:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

لينتظم بها أحوال العالم بحسب الظاهر والباطن أيضاً فيكون المجموع تسعة عشر فمن تعلّق الشخص بكلّ ما يتعلّق بهذه التّسعة عشر يحصل له ملكات رديّة وأخلاق ذميمة يكون في المعاد معذّباً بها فكلّ من تخلّص من هذا تخلّص من ذاك وقد عرفت ترتيب تلك التعلّقات وتقسيمها في المقدّمة الأولىٰ وكيفيّة الخلاص منها، وإليها الإشارة في قوله:

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدّثر: ٣٠].

وحيث إنّ حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» مطابقة لهذه العوالم وكلّ حرف منها بإزاء كلّ عالم من تلك العوالم، فهذا أيضاً شاهد على صدق هذا المعنى، وإشارة إلى كلّ من يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» على هذا

الوجه ويعرف معناها على هذه الصورة ويجتهد في خلاصه من التعلّق بهذه العوالم ينجيه الله تعالىٰ من الزبانية المذكورة، وهذا صحيح واقع صدق رسول الله، هذا بالنّسبة إلى الآفاق.

وأمّا بالنّسبة إلى الأنفس فالمدبّرات السبعة فيها القوى السبعة من الجاذبة والماسكة والهاضمة والدّافعة والمغيرة والغاذية والنامية الّتي هي بإزاء الكواكب السبعة السيّارة والبروج الإثنا عشرة والحواسّ العشرة الّتي هي بحسب الظاهر: اللامسة والذائقة والشّامة والسامعة والباصرة،بحسب الباطن: المخيّلة والوهم والحسّ المشترك والحافظة والذاكرة مع قوى الشهويّة والغضبيّة الّتي هي بإزاء هذه البروج.

وكلّ من يخلص من إقتضاء هذه القوى والحواسّ لا شكّ أنّه يخلص من الزبانية المذكورة المترتبة على التعلّقات الآفاقية والأنفسية، خلّصنا الله وإيّاكم منها بفضله وكرمه لأنّ من يكون في هذا السجن متعلّقة بهذه التعلّقات التسعة عشر محبوساً في الظلمات الطبيعة والشهوات بسببها فبعد خروجه من هذا السجن بتعطيل هذه الآلات والأدوات لقوله:

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

يكون منزله ومأواه السجين وقرينه وقرناه الزبانيّة المذكورة لقوله تعالىٰ:

﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطفّفين: ٧-١٢].

والكتاب هو النّفس الأمّارة، والرقوم أفعالها الرديّة المرقومة في ألواح النفوس الشريرة بقلم الملكات المذمومة الرّاسخة فيها رسوخ الخط في

لوح من حديد، ولذلك قال في إزائه بالنّسبة إلى من ينقلع عن نفسه هذه التعلّقات ويعرج إلى أعلىٰ علّيين الترك والتجريد من جميع الجهات.

﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦-١٨].

وهذا إشارة إلى كلّيات التعلّق وإلاّ جزئيّاتها غير معدودة في عدد مع أنّا بيّناها وضبطناها بقدر الوسع عند الخبر النّبوي، وذلك لأنّ هذه التسعة عشر من المراتب الكلّيّة إذا أسقطت منها المرتبة الإنسانيّة الّتي إليها (...) كلّها.

تبقي هناك ثمانية عشر مرتبة وهي عبارة عن العقل والنّفس والعرش والكرسي والأفلاك السبعة والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة (...)العرش والكرسيّ والأفلاك التسعة مع العناصر والمواليد وإذا اعتبرت هذا في الظاهر والملك واعتبرت مثل هذا في الباطن والملكوت طابقت بينهما خرج لك ستّ وثلاثون مرتبة وسته وثلاثون (سبعة وسبعون) يسقط منها أيضاً مرتبة الإنسان وعالمه بعد يصر خمساً وثلاثين عالماً يضاف إليها مثل ذلك يصير سبعين ألفاً كلّيّاً ويطابق قوله تعالىٰ:

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ [الحاقّة: ٣٢].

وإذا اعتبرت كلّ كلّي من هذه الكلّيات مشتملة على ألف جزئي بحكم قوله تعالىٰ:

﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

خرج لك سبعين ألف عالم وسبعون ألف تعلّق معبّر عنها سبعين ألف

حجاب لقول النّبيّ ﷺ:

«إن لله تعالىٰ سبعين ألف حجاباً من نور وظلمة، لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».(١٧٦)

(...) إلى ثمانية عشر عالم أيضاً فيصدق قول من قال من العلماء:

أنّ العالم ثمانية عشر ألف عالم لأنّ الثمانية عشر كالكلّيات المشتملة على الجزئيّات الّتي (...) و**﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٣].

وإذا عرفت هذا وفرغنا من اللطيفة المتعلّقة بالخبر النبوي فلنشرع في تطبيق حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» بالعوالم الكلّيّة على ما شرطناه بطرق متعدّدة بعون الله وحسن توفيقه.

أمّا الصوفيّة فأحسن ما قالت فيها وهو الّذي أشار إليها مولانا كمال الدين في أوّل تأويله المذكور، وقد عرفت ترتيبه وتفسيره عند البحث الثالث من الأبحاث الستّة الكلّيّة في تعيين السين والميم اللّذين هما بعد باء «بسم الله» وتطبيقهما بعالم من العوالم الكلّيّة الّتي هي عالم الجبروت وعالم الملكوت والعرش والكرسي والسّماوات السبع الّتي (...) واحدة بعد أخرى والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة، فإنّ هذه العوالم الثمانية عشر بإزاء الثمانية عشر من حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» والعالم الإنساني الّذي هو قلنا (قدّمنا) بإزاء حرف الأخير الّذي يبقي من التسعة عشر، هذا على سبيل الإجمال وأمّا على سبيل التفصيل:

---

(١٧٦) قوله: إن لله سبعين ألف حجابا.

راجع التعليق ١٠٣.

ومن ذلك الباء «بسم الله» فإنّها بإزاء عالم الجبروت الّذي (...) المشار إليه بالحضرة الواحديّة والحضرة الإمكان والتعيّن الأوّل وغير ذلك.

ومن ذلك السين من «بسم الله» فإنّها بإزاء عالم الملكوت الّذي (...) الأرواح المحيطة والنفوس الناطقة العامة (...) المشار إليه بالحضرة الرّبوبيّة وحضرة الأفعال والمظهر الثاني.

ومن ذلك الميم من بسم الله بإزاء العرش الّذي (...) أعظم المخلوقات فيها ومظهر الإسم الرحمن ومحلّ (إمارة) صورة ومعنى لقوله تعالىٰ:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

ولقوله:

﴿حم * تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصّلت: ٣-١].

ومن ذلك الألف من إسم «الله» فإنّها بإزاء الكرسي الّذي هو الفلك الثامن والمحيط (...) وهو مظهر إسم الرحيم ومحلّ (إمارته) صورة ومعنى ليس (...) عن ابن عبّاس ﷺ إنّه قال: قال النّبيّ ﷺ: ٭

ما السّماوات السبع والأرضين السبع في الكرسي إلاّ كحلقة.

ومن ذلك اللام الأولىٰ من إسم «الله» فإنّها بإزاء الفلك السابع الّذي هو فلك زحل (...) مقام إبراهيم الخليل(...) ﷺ إذا عرج إلى السماء (...).

من ذلك اللام الثانية من إسم «الله» فإنّها بإزاء الفلك السادس الّذي هو فلك المشتري، مظهر للإسم العليم ومعدن العلم والمعارف (...) مقام

٭. قوله: قال النبي ﷺ: ما السماوات.

راجع التعليق ١٦.

موسى صلوات الله عليه.

ومن ذلك الهاء من إسم «الله» فإنّها بإزاء الفلك الخامس الّذي هو فلك المريخ مظهر إسم القهار (...) الملك الجبار (...) الشكوة (...)الإقتدار مقام هارون عليه السلام.

ومن ذلك الألف من «الرحمن» فإنّها بإزاء الفلك الرابع الّذي فلك الشمس مظهر الإسم المحيي والنور، امّا المحيي (...) فلأنّها السبب الأعظم في الحياة الصّوريّة الجسمانيّة، وأمّا النّور فلأنّها أعظم المنيرات وأشرفها بهما يحصل الأنوار الجسمانيّة كلّها، مقام عيسى روح الله عليه السلام وقيل مقام إدريس عليه السلام وسبب ذلك إختلاف الروايات.

ومن ذلك اللام من «الرحمن» فإنّها بإزاء الفلك الثالث الّذي هو فلك الزهرة مظهر الإسم (المصوّر) معدن الحسن والملاحة ومنبع الأخلاق الجميلة والأوصاف الحميدة، ومقام يوسف عليه السلام.

ومن ذلك الراء من «الرحمن» فإنّها بإزاء الفلك الثاني الّذي هو فلك العطارد مظهر الإسم الباري الّذي (يبرأ) برائة عمله من تفاوت والإختلاف كما قال:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

والباريء تحت الإسم «الرحمن» للمناسبة لأنّه قريب إلى الخالق فهو إسم الأفعال مقام يحيى عليه السلام.

ومن ذلك الحاء من «الرحمن»، فإنّها بإزاء الفلك الأوّل الّذي هو فلك القمر مظهر الإسم الخالق الّذي (...) الخلق على إختلاف صورهم، لأنّ كلّ إسم من أسماء الله تعالىٰ هو مخصوص بفعل من أفعاله كما عرفت ذلك عند بحث الأسماء مقام آدم عليه السلام.

(...) الصفة الغالبة على الرّوحانيّة الفلك المنسوب إليه ذلك الإسم وكذلك الأنبياء المذكورة المنسوبون إليها اذا (...) إكثر العارفين وأكثر الحكماء المتألّهين ومن هذا عيّن الشارع الجنّات في الثمانية والجحيميّة السبعة لأنّ الثمانية الجنانية إشارة إلى الأفلاك الثمانية المذكورة والتاسع فيها سقف جنّة الثمانية وبالجملة سقف الجنّة وقيل صحن الجنّة الفلك الثامن وسقفها التاسع، والسبعة الجحيميّه إشارة إلى الأبواب السبعة (...) قوله:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

إشارة إلى هذا فافهم (...) في رسالتنا الموسوم برسالة المعاد (...)ارجع إليها (...).

ومن ذلك الميم من «الرحمن»، فإنّها بإزاء كرة النارالّتي هي أوّل العناصر الأربعة وعالم الجن والأبالسة........والنفوس الشريرة المخصوص بعزرائيل عليه السلام كما أشرنا إليه عند بيان حروف «الله» الأربعة.

ومن ذلك النون من «الرحمن»، فإنّها بإزاء كرة الهواء الّتي هي الثانية من العناصر وعالم الطيور والحيوانات الهوائيّة المخصوص بإسرافيل عليه السلام، لأنّ الهواء هو سبب الحياة الصّوريّة كما انّ إسرافيل سبب الحياة الصورّة والمناسبة بينهما ظاهرة.

ومن ذلك الألف من «الرحيم»، فإنّها بإزاء كرة الماء الّتي هي الثالثة من العناصر وعالم الحيوان والدّوابّ البحريّة المخصوص بجبرئيل عليه السلام، لأنّ الماء كما أنّه سبب الأرزاق الصوريّة، جبرئيل عليه السلام سبب الأرزاق المعنويّة الّتي هي العلوم والحقائق لأنّ بقاء الصورة كما أنّه من الماء الصوري لقوله:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فكذلك بقاء المعنى (...) بالماء الحقيقي المسمّى بالعلم أعني بقائه كما أنّه بالماء فكذلك بقاء الرّوح فإنّها بعلم وهاهنا أبحاث.

ومن ذلك اللاّم من «الرحيم»، فأنّها بإزاء كرة الأرض الّتي هي الرابعة من العناصر وعالم الدّوابّ والحشرات الأرضيّة، ومرجع الموتى، ومعدن الأرزاق، المخصوص للميكائيل؏ لأنّ ميكائيل كما أنّه سبب الأرزاق الصوريّة للخلق، وكذلك الأرض فإنّها سبب الأرزاق الصوريّة للمخلق ومعدنها ومنبعها.

ومن ذلك الراء من «الرحيم»، فإنّها بإزاء المرتبة الحيوانيّة الّتي أوّل المواليد الثلاثة وبها تتعلّق جميع الحيوانات من الإنس والجنّ والبهائم والطيور، وكلّ ما يصدق عليه إسم الحيوان من الدّواب والحشرات أيضاً.

ومن ذلك الحاء من «الرحيم» فإنّها بإزاء المرتبة النباتيّة الّتي هي الثانية من المواليد وبها يتعلّق جميع النبات والأشجار وكلّ ما يصدق عليه النبات.

ومن ذلك الياء من «الرحيم» فإنّها بإزاء المرتبة المعدنيّة من المواليد، وبها يتعلّق جميع المعدنيّات (...) وغير ذلك وكلّ ما يصدق عليه أنّه معدن.

ومن ذلك الميم من «الرحيم» فإنّها بإزاء المرتبة الإنسانيّة الّتي هي الجامعة للكلّ (...) للمجموع فإنّه كالبذر أو النواة (...) وشجرة العالم وأغصانها وأوراقها وبالأخير هو الثمرة للذلك (...) و:

«لو لاك لما خلقت الأفلاك»

(إشارة إلى) هذا والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدى السبيل.

هذا على طريقة (...) وأمّا على طريقة الحكماء (...) وقد عرفت

إجماله عند بحث السين والميم المذكورين بأنّها عبارة عن عالم الأمر والعقل والنّفس والطبيعة والأفلاك التسعة والهيولیٰ العنصريّة والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة المحويّة بواحدة منها.

وأمّا على سبيل التفصيل

فالباء في «بسم الله»..... (الأمر)..... والمرتبة الأولیٰ من الموجودات وإليه يرجع الأمر كلّه فأنّه المبدأ وإليه المعاد وليس فوق هذه المرتبة مرتبة، وعند كلّ طائفة له إسم (...) يعرف به كمال لموجده فإنّه كذلك، (فانّها) تسمّیٰ ممكناً وإبداعاً وإختراعاً وفيضاً وأثراً وإيجاداً وإحداثاً وإمكاناً وخلقاً، وأمّا إسم الموجد ويسمّى واجباً ومبدعاً ومخترعاً وموجداً ومؤثراً (...) والسين في «بسم الله» بإزاء العقل الأوّل الّذي هو أوّل (موجود) صدر من الأمر بغير واسطة ولهذا قالوا:

العقل فعل صادر (...) بواسطة ويسمّى هذا الفعل الواحد المتكثّر الهيولیٰ الكلّيّة والجوهر الأوّل وجنس الأجناس (...) وكاف الأمر ونون الإيجاد (...) والقلم الأعلیٰ والذوات الأعظم (...) والإنسان المطلق وآدم الحقيقي (...) وأمثال ذلك، وكلّ ما صدر من هذا الجوهر وبرز من القوّة إلى الفعل كان في ذاته (...) بالفعل الشجرة في النواة والنبات في البذور والطير في البيض والإنسان في النطفة.

والميم في «بسم الله» بإزاء النّفس الكلّيّة الصادر من الأمر بواسطة العقل ويسمّى هذا الموجود باللوح والكرسي والنّفس الكلّيّة ونون الأمر والإنسان الثاني وحواء الحقيقي الصادرة من الجنب الأيسر من آدم الحقيقي المراد بالأيسر الطرف الّذي إلى العالم السفلى، فان الطرف إلى العالم العلوي ينسب إلى السماوات، فقال في الأوّل:

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الثاني:

﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

والألف في «الله» بإزاء الطبيعة كلّيّة الصادرة من الأمر (...) الطبيعة نسبتها إلى النّفس الكلّيّة كنسبة النّفس إلى العقل (...) ووزيرها وقهرمانها (...) ولا يصدر منها شيء بأمره وإشارته وهي مادّة الأفلاك والأجرام أصل مفردات الطبائع والعناصر ومن حيث إنّها كانت مرتبة رابعة من الموجودات اشتملت طبيعتها على البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة بمثابة الأركان الأربعة (للبناء) في عالم الظاهر.

واللاّم الأوّل في «الله» فإنّها بإزاء الفلك المستقيم الّذي يدورعلى الإستقامة دائماً وفق الحركة من المشرق إلى المغرب حركة واحدة بلا (تفاوت) والإتّصال وتحرك الكلّ بتلك الحركة حركة قسرية غير إراديّة عند البعض (...) هذا الفلك بالفلك الأقصى وفلك الأفلاك والأطلس والأملس والفلك الأعظم والفلك الأعلىٰ والمحيط والمحدّد وأمثال ذلك.

واللاّم الثانية في «الله» بإزاء فلك البروج الّذي (...) إلى إثنى عشر قسمة فرضية وثمانية وعشرين منزلاً تقديريّة وتكون حركته من المغرب إلى الشمرق ويسمّى بالفلك الثوابت وتكون حركته بالليل والنهار حركة واحدة أيضاً.

والهاء من «الله» فإنّها بإزاء الفلك زحل الّذي تكون حركته مخالفاً لهذا الحركات ويكون دورة في مدّة ثلثين سنة كاملة.

وألف «الرحمن» بإزاء فلك المشتري الّذي تكون حركته تارة من المشرق إلى المغرب وتارة من المغرب إلى المشرق، ويكون دوره في

إثني عشرة سنة كاملة.

ولام «الرحمن» بإزاء فلك المريخ الّذي تكون حركته أيضاً كحركة المشتري ويكون دوره في سنة ونصف.

وراء «الرحمن» بإزاء فلك الشمس الّذي حركته على وتيرة واحدة هي (...) من غير رجعة ويكون دوره في سنة كاملة.

وحاء «الرحمن» بإزاء فلك القمر (...) حركته أيضاً فأنّه يتحرّك تارة من المشرق إلى المغرب وتارة من المغرب إلى المشرق، ويكون دوره في (...) شهر.

وميم «الرحمن» بإزاء فلك العطارد الّذي (...) حركته أيضاً، ويكون دوره إحدى عشر شهر وذلك (...)

ونون «الرحمن» بإزاء القمر الّذي حركته (...) مثل الشمس وهي حركة من المغرب إلى المشرق دائماً على وتيرة واحدة... ويكون دوريّة في ثمانية وعشرين يوماً وثلث يوم على ما تقرّر عند أرباب النجوم.

وألف «الرحيم» بإزاء (...) الصادرة من الأمر بواسطة (...)كلّها.

ولام «الرحيم» بإزاء جوهر النار من العناصر الأربعة الّذي هو المحيط العناصر كما (...) أنّ الأفلاك (...)

وراء «الرحيم» بإزاء (...) تحت الأرض وفوق الماء

وحاء «الرحيم»، (...) فوق الأرض وتحت الهواء، وياء «الرحيم» بإزاء كرة الأرض الّتي هي (...) التنزّل وأوّل المراتب المشار إليها بأسفل السافلين (...) بأعلىٰ علّيين والجوهر الأوّل (...) صارت الأرض أوّل (...) صارت الأرض أوّل خلقة (...) الإنسان بحسب الصورة كما صار العقل الأوّل أوّل خلقة بحسب المعنى، أشار إلى الأوّل في قوله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[آل عمران: ٥٩].

وإلى الثاني في قوله:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[الحجر: ٢٩].

وميم «الرحيم»، بإزاء المواليد الثلاث من المعدن والنبات والحيوان الّتي هي آخر المراتب في البسائط والمفردات وأوّل المراتب في المركبات والعنصريات وانتهى الأمر إلى الصورة الّتي كانت في الأوّل وفق صورة الإنسان وحقيقته موسومة بالعقل تارة وبالرّوح أخرىٰ، وذلك ليكون الإفتتاح بالعقل والإختتام بالعاقل و﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[الأنعام: ٩٦].

هذا آخر (...) تسعة عشر من الموجودات على رأى الحكيم الّتي هي بإزاء حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» (...) والأعتماد على ما قال (...) تطبيق حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» بالعوالم الكلّيّة بوجوه واقعيّة مختلفة متنوعة وكان البحث (...) من الأبحاث في الألف الّذي هو منبع الكلّ ومصدره وموجد الكلّ ومعدنه (...) المقام نشرع في بحث الأفلاك (...) في المقدّمة الرابعة من المقدّمات السبعة ونقول الّذي سنح لنا من الله الجواد المطابق (...) الصرفة والوجود المطلق الواجب كما أنّ الباء بإزاء (...) الواحديّة والوجود المقيّد الممكن (...) هي الإسم والفعل والصفة فكذلك في الألف عند تنزله إلىٰ مرتبة الباء ثلاث اعتبارات (...) من نقط أقلّها ثلاث فلهدا حصل (...) وكذلك الحقّ تعالىٰ فإنّه في حدّ ذاته منزه عن نسبة الإسم والفعل والصفة إليه لكن حصل له هذا عند تنزله إلى الحضرة الواحديّة (...) الإمكان والتقييد والكثرة، وسمّيت بذلك عقلاً ونفساً وروحاً وغير ذلك من الأسماء (الأسامي) كالقلم والجوهر والنور (...)ليس في الحضرة الواحديّة والأحديّة والرّبوبيّة والعقل والنّفس والرّوح

عند التحقيق إلاّ هو لأنّ الكلّ مطلق مع قيد الإضافة (...) قال:

﴿هُوَ الأَوَّل وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

(...) وقيل:

«ليس في الوجود سوى الله وأسمائه وصفاته وأفعاله والكلّ هو وبه ومنه وإليه»

وإليه (أشار ابن العربي) وقال نظماً:

ففي الخلق عين الحقّ ان كنت ذاعين   وفي الحقّ عين الخلق إن كنت ذا عقل
وإن كنت ذاعين وعقل فما يرى   سوىعينشيء واحد فيه بالشكل(١٧٧)

ويعرف هذا في (من) صورة (...) والخط والسطح والجسم أو من الطول والعرض والعمق المعتبر في حدّ الجسم (...) في العقل الأوّل وهو قولهم: العقل واحد من جميع الجهات ولكنّه صار مبدئاً للكثرة بالإعتبارات الثلاث الّتي فيه وهي إمكانه وتعقّل ذاته وتعقّل ذات الواجب وما عرفوا لهذا الإعتبارات في العقل من الإعتبارات المذكورة من الإسم والصفة والفعل في ذات الواحداني ومظهره الأوّل والكلّ يرجع إلى النقطة الأحديّة المسمّاة بالذات كما أنّ في الحروف الكلّ يرجع إلى النقطة الأولىٔ في الألف. فالنقطة هي الأصل (...) أمّا النقطة تحت الباء (...) التعينيّة أو النقط التركيبيّة الّتي أقلّها ثلاث، وكذلك الكتب الإلٓهيّة والكلمات الرّبانية..... فإنّها أيضاً أوّلاً تكون نقطة ثمّ تصير (...) الألف من البسيطة أو مركبة (...)

---

(١٧٧)قوله: و إليه اشار ابن العربي، شعر.

قاله في الفتوحات المكيّة ج ٣ص ٢٩٠، مع تفاوت في بعض الألفاظ فراجع، ذكرنا في تفسير المحيط الأعظم ج ٣ص ٢١٧ التعليق ١١٦.

البسيطة أو المركبة (...) كان في صورة الباء في «**بسم الله الرحمن الرحيم**» فأول اختفاء الحقّ تعالىٰ في صورة الموجود الّذي هو في صورة الباء لقول النّبيّ ﷺ:

«**أوّل ما خلق الله تعالى نوري**».(١٧٨)

ولقوله:

«**بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود**».(١٧٩)

واختفاء الثاني للألف كما كان في صورة اسم الرحمن كان اختفاء الثاني للحقّ في صورة العرش الّذي هو مظهر للرحمن لقوله:

﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥].

واختفاء الثالث (...) كما كان في صورة اسم الرحيم كان اختفاء (...) في صورة الكرسيّ الّذي هو مظهر الرحيم وإلى هذه أشار مولانا عبد الرزاق في تأويله(١٨٠)، بقوله: «والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر، والمكتوبة تسعة عشر، وإذا انفصلت الكلمات، انفصلت الحروف إلى إثنين وعشرين، فالثمانية عشر إشارة إلى العوالم المعبّر عنها بثمانية عشر

---

(١٧٨) قوله: أوّل ما خلق الله تعالى نوري.

راجع التعليق ٣٢.

(١٧٩) قوله: بالباء ظهر الوجود.

راجع التعليق ٣٧.

(١٨٠) قوله: وإلى هذا اشار مولانا.

راجع تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ٨، لعبد الرزاق القاساني، المطبوع باسم ابن العربي سهواً.

ألف عالم، إذا الألف هو العدد التامّ المشتمل على باقي مراتب الأعداد فهو أمّ المراتب الّذي لا عدد فوقه، فعبّر بها عن أمهات العوالم الّتي هي عالم الجبروت، وعالم الملكوت، والعرش والكرسي والسماوات السبع والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة، الّتي ينفصل كلّ واحد منها إلى جزئيّاته، والتسعة عشر إشارة إليها مع العالم الإنساني، فإنّه وإن كان داخلاً في عالم الحيوان إلاّ أنّه بإعتبار شرفه وجامعيّته للكلّ وحصره للوجود عالم آخر له شأن جنس برأسه، له برهان كجبرئيل من بين الملائكة في قوله تعالىٰ:

﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

والألفات الثلاثة المحتجبة الّتي هي تتمّة الإثنين والعشرين عند الإنفصال إشارة إلى العالم الإلٓهي الحقّ باعتبار الذات والصفات والأفعال، فهي ثلاثة عوالم عند التفصيل وعالم واحد عند التحقيق، والثلاثة المكتوبة إشارة إلى ظهور تلك العوالم على المظهر الأعظم (الأعظمي) الإنساني ولإحتجاب العالم الإلٓهي حين سئل رسول الله ﷺ عن ألف الرحمن (الباء) أين ذهبت؟ قال: سرقها الشيطان وامر بتطويل تاء «بسم الله» تعويضاً عن ألفها إشارة إلى اخفاء (احتجاب) الهويّة الإلٓهيّة في صورة الرحمة الإنتشاريّة وطهورها في صورة الإنسانية بحسث لا يعرفها إلاّ أهلها وقد ورد في الحديث:

«إنّ الله تعالىٰ خلق آدم على صورته».(١٨١)

---

(١٨١) قوله: خلق الله آدم.

راجع التعليق ٥٥.

فالذات محجوبة بالصفات والصفات بالأفعال والأفعال بالأكوان والآثار فمن تجلّت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكّل، ومن تجلّت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلم، ومن تجلّت عليه الذّات بانكشاف حجب الصفات فنى في الوحدة فصار موحّداً فاعلاً ما فعل قارياً ما قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» وقد سبقت هذه الكلمات مرّة أخرىٰ (...) بيان (...) مظاهر الأسماء والصفات والأفعال الّتي هي الإنسان الكبير والكتاب المبين (...) واحتجابه في مظهر الذات الإلٰهيّة الّذي هو الإنسان الصغير والكتاب الجامع (...) تفصيلاً واحتجابه في صورة «بسم الله» (...) العالم كلّه أعلاه وأسفله كالكتاب الجامع للحروف والكلمات كلّها وهو بمثابة القرآن والإنسان الجامع لهذه المجموع كالآية المركّبة (...) بمثابة «بسم الله الرحمن الرحيم» فكما أنّ (...) خفي في صورة الحروف كلّها كما بيّناه فكذلك الحقّ تعالىٰ فإنّه خفي في صورة العالم كلّه وكما أنّ الألف (...) بسم الله الرحمن الرحيم (...) الحق تعالىٰ فإنّه خفي (...) بسم الله الرحمن الرحيم ...... ولهذا قيل: إنّ الله تعالىٰ أراد أن يظهر قدرته وفعله (...) فخلق آدم ومن هذا (...) العالم فإنّه مظاهر لأحكامه وأفعاله وأسمائه وصفاته جعلنا «بسم الله الرحمن الرحيم» (...) الإنسان فإنّه مظاهر (...) قول النّبيّ ﷺ:

«خلق الله تعالىٰ آدم على صورته».(١٨٢)

وفي الحديث القدسي:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي

---

(١٨٢) قوله: خلق الله تعالىٰ آدم على صورته.

راجع التعليق ٥٥.

المؤمن».(١٨٣)

وقوله في القرآن:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وقول النّبيّ ﷺ أيضاً:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».(١٨٤)

فإنّهما مثلان....... غير منفكّين أحدهما عن الآخر (...) كالبرودة مع الماء، والحرارة مع النار (...) في قوله:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة»

[نهج البلاغه: الخطبة ١].

وقوله تعالىٰ:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

(...)

و:

«قلب المؤمن عرش الله».(١٨٥)

---

(١٨٣) قوله: لا يسعني أرضي.

راجع التعليق ٤٤.

(١٨٤) قوله: من عرف نفسه.

حديث معروف عن النّبيّ ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام راجع تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢٤٣ التعليق ٣٠.

(١٨٥) قوله: قلب المؤمن عرش الله.

راجع التعليق ١٦٢.

كذلك في (...) قولهم:

سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثمّ بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل الشارب(١٨٦)

وهاهنا أسرار كثيرة لا يجوز إفشائها أكثر من هذا ورد في الخبر: «**إفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر وهتك أستار الألوهيّة زندقة**».(١٨٧)

---

(١٨٦) قوله: سبحان من أظهر (شعر).

قاله أبو مغيث حسين بن منصور الحلاّج، ديوان حلاّج ص ٤١، «عبهر العاشقين» ص ١٤٨.

(١٨٧) قوله: إفشاء سرّ الرّبوبيّة.

لم أجد لفظه في كتب الأحاديث ولكن هناك أحاديث وردت في كتمان اسرار الله واسرار الأئمّة أهل البيت عليهم السلام وعدم جواز إذاعتها. ذكرها الكليني في أصول الكافي في بابين: باب الكتمان ج ٢ ص ٢٢١، وباب الإذاعة ج ٢ ص ٣٦٩ فراجع، منها: روى في الحديث ج ص ٢٢٢ باسناده عن الباقر عليه السلام قال:

«**لاتبثو سرّنا ولا تذيعوا أمرنا**»

وأيضاً روى باسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«**إنّ أمرنا مستور مقنّع بالميثاق، فمن هتك علينا أذلّه الله**» الحديث ١٥ ص ٢٢٦.

وروى باسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«**من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقّنا**» الحديث ٢ ص ٣٧٠.

وباسناده أيضاً عن الصادق عليه السلام قال:

«**المذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين**» الحديث ١١ ص ٣٧٢.

(...)

وحيث فرغنا من تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» وتأويلها وتحقيقها فلنشرع في الفاتحة من أوّلها إلى آخرها ونبيّن ما عندنا من تفسيرها وتأويلها على ما شرطناه........ وهو هذا:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

إعلم أنّ هذه السورة لها فضائل كثيرة (...) قد سبق بعضها (...) تأويلها...... يحتاج إلى أقسام ستّة:

القسم الأوّل في: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

القسم الثاني في: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

القسم الثالث في: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

القسم الرابع في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

القسم الخامس في: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

القسم السادس في: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

وأيضاً باسناده عنه عليه السلام قال:

«من استفتح نهاده بإذاعة سرّنا سلّط الله عليه حرّ الحديد وضيق المحابس» الحديث ١٢ ص ٣٧٢.

وراجع «التفسير المحيط الأعظم» ج ١ المقدمة ص ١١٨ وص له. وأيضاً ج ١ ص ٣٨٢ التعليق ٩٨.

هذا وقد تمّ بحمد الله والمنّة الجزء الخامس من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي ﷺ حسب تجزئتنا ويليه الجزء السادس إن شاء الله .

* * *



الفهرس

المقدّمة الثانية

المقدّمة الثّالثة

البحث الأوّل

تذنـيب

القاعدة الثانية

القاعدة الثالثة

الباب السادس

الباب السّابع

الباب ستّون

الباب التاسع

المقالة الخامسة

البحث السادس

